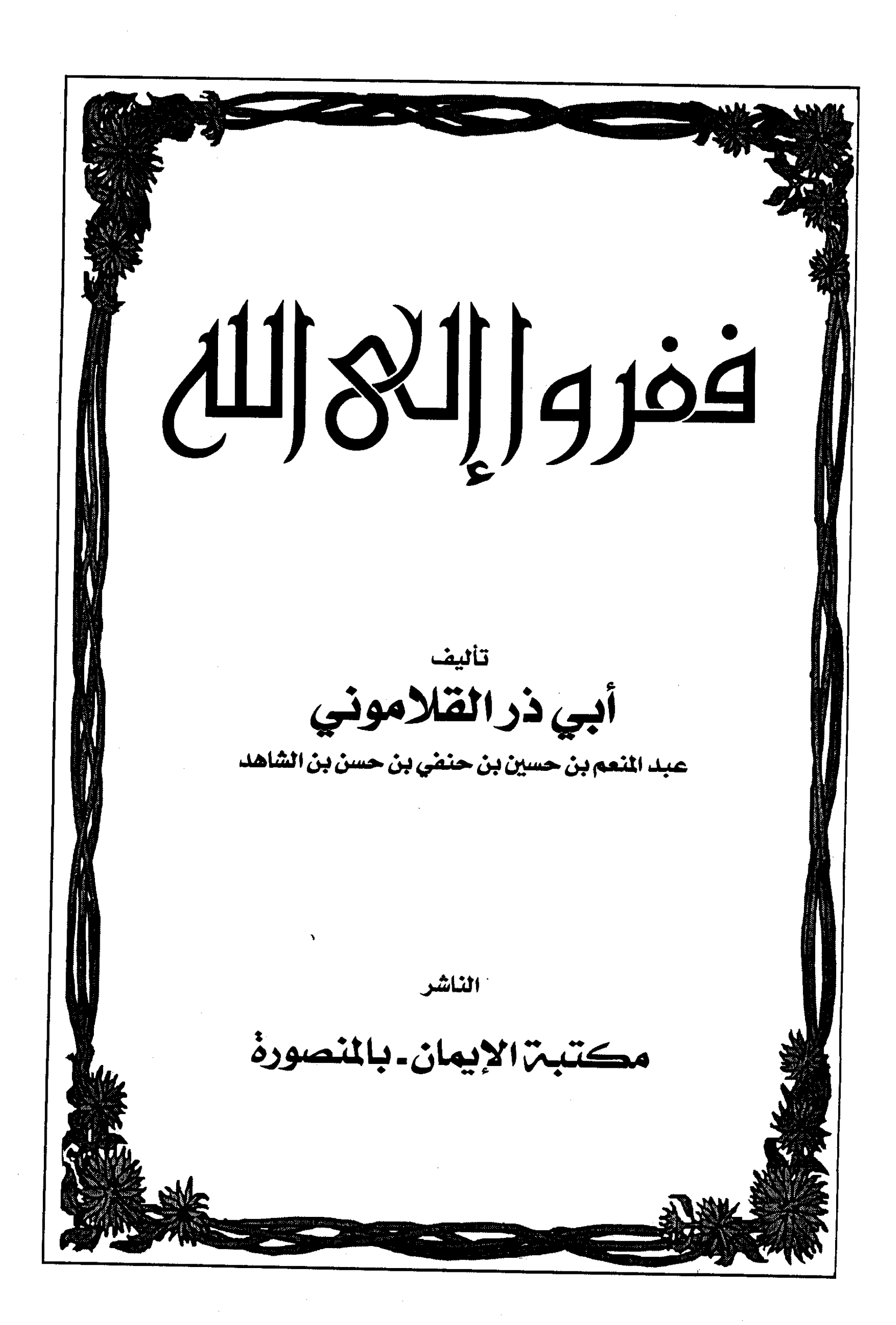


ففروا إلى الله

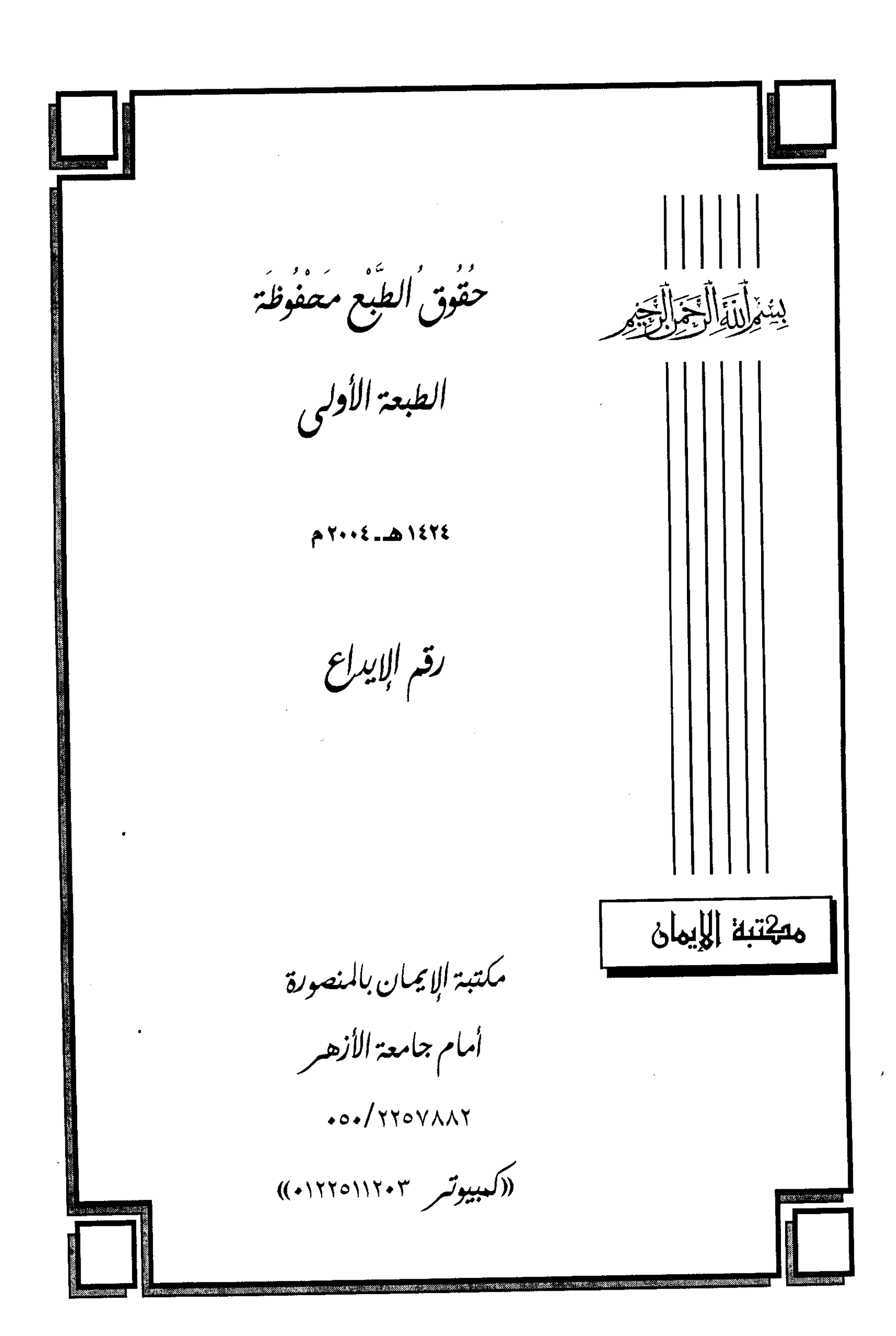
تأليف

أبي ذر القلاموني

عبد المنعم بن حسين بن حنفي بن حسن بن الشاهد

الناشر

مكتبة الإيمان - بالمنصورة



بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة الإيمان

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

((كمبيوتر ٠١٢٢٥١١٢٠٣))

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد... فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد (ﷺ)، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠] ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٤] ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧] ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[المؤمنون: ١٠٩] ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ - ٩] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥] ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

يا رب: أدعوك وأنا العبد الذليل، وأنت الرب العزيز، يا رب: أسألك من فضلك ورحمتك لي ولكل المسلمين، فإنه لا يملكها إلا أنت، اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا

ما علمت الوفاة خيرًا لنا، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا وارزقنا.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد (ﷺ)، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك محمد (ﷺ)، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيرًا. آمين، وصل اللهم على محمد وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

قال الله (تعالى): **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾** [الإسراء: ٤٤].

جاء في مختصر تفسير ابن كثير رحمه الله ما مختصره: أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله **﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** أي لا تفهمون تسبيحهم لأنها بخلاف لغاتكم، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات، كما في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وفي حديث أبي ذر أن النبي (ﷺ) أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كطنين النحل، وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم)[(١)]. وقال الإمام أحمد: عن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ): أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: **«اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكرًا لله منه»**[(٢)]. قال بعض السلف: صرير الباب تسبيحه، وخرير الماء تسبيحه، وقال آخرون: إنما يسبح من كان فيه روح من حيوان ونبات. وقوله: **﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾** أي لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر[(٣)].

• • •

تنبيهات

• وضع هذه العلامة في الهامش * () أي قبل القوسين: تعني أن ما في هذا الهامش من كلامي سواء أكان تعليقًا على ما هو مكتوب في الأصل، أو كان الكلام لي ابتداء.

• وضع هذه العلامة [] في وسط الشرح: تعني إيضاحًا مني لما هو مكتوب في الأصل.

• كلمة أولاً أو ثانيًا... إلخ: تعني في غالب الأحوال ابتداء نقطة جديدة.

• كلمة انتهى: تعني أن الكلام قد انتهى من الكتاب المشار إليه، وبعدها أبدأ في التعليق على هذا الكلام أو في الانتقال إلى نقطة أخرى.

• كلمة مختصر: تعني أنني قد قمت بالاختصار لهذا الموضوع، وذلك في كل المواضيع التي أذكر فيها كلمة مختصر، إلا كتابي «مختصر تفسير ابن كثير، ومختصر منهاج القاصدين» فكنت إذا أردت اختصار أحدهما كتبت: جاء في مختصر... ما مختصره:

---

(١) قال ابن كثير: وهو حديث مشهور في المسانيد.

(٢) الحديث إلى قوله: «والأسواق» صححه الألباني في صحيح الجامع بلفظ «وتدعوها».

(٣) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني أثابه الله تعالى جـ ٢ صـ ٣٧٩ ، ٣٨٠.

الهدف من وراء هذا الكتاب:

أن يتقبله الله صدقة جارية لكل مسلم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وأن يهديني الله به والحيارى من المسلمين إلى الطريق المستقيم، وأن يتمم الله به إيمان المسلمات التائهات، اللاتي يكمن الإيمان في قلوبهن كما يكمن نور الشمس حين يولي النهار ولكنهن معذورات لا يعرفن الطريق.

موضوعات الكتاب:

١- التوبة.

٢- توبة المرأة (الحجاب).

٣- الدنيا.

٤- الموت.

٥- الصلاة.

٦- الدعاء.

٧- الذكر.

٨- حكم الإسلام في الغناء.

٩- داء العشق ودواؤه.

١٠- آداب وأحكام من سورة النور.

١١- حكم تغطية وجه المرأة خصوصًا الشابة.

١٢- حكم عمل المرأة خارج البيت.

١٣- كيفية تعليم المرأة.

١٤- علاج الصرع وعلاج السحر وفك الربط.

١٥- الدين النصيحة.

وفي النهاية أقول: إن العصمة لله وحده. ويأبى الله إلا أن يتم نوره. وأنه لو كانت الذنوب تعمي البصر ما استطعت أن تنظر في كلامي. وإنني لا أطمع إلا في رحمته سبحانه، التي لا يملكها إلا هو. وإني أطلب منك الدعاء بظهر الغيب، خصوصًا أن: يجعلني الله وإياك وسائر المسلمين من عتقائه من النار، ويا حظ من زحزح عن النار وأدخل الجنة: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

ففروا إلى الله... ففروا إلى الله... ففروا إلى الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) «آل عمران: ١٨٥».

الباب الأول

التوبة

قال الله (تعالى): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى) في تفسيره العظيم: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا (ﷺ) فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما فعلناه كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[1] وعن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **«ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾»**[2] إلى آخر الآية.

وعن عمرو بن عنبسة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ) شيخ كبير يدعم على عصا له فقال: يا رسول الله (ﷺ) إن لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي؟ فقال (ﷺ): **«ألست تشهد أن لا إله إلا الله؟»**، قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله، فقال (ﷺ): **«قد غفر لك غدراتك وفجراتك»**[3]. وروى الإمام أحمد، عن أسماء بنت يزيد (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقرأ: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ وسمعته (ﷺ) يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4].

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة، ولا يقنط عبد من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع، قال الله (تعالى): ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[التوبة: ١٠٤]، وقال (عز وجل): ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١١٠] وقال (جل وعلا) في حق المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾[النساء: ١٤٥: ١٤٦]، وقال (تبارك وتعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾[البروج: ١٠]، قال الحسن البصري (رحمه الله): انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، والآيات في هذا كثيرة جدًا، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن نبي الله (ﷺ) قال: **«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم! من يحول بينه وبين التوبة،**

---

(١) أخرجه البخاري ورواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن ثوبان (رضي الله عنه).

(٣) تفرد به أحمد من حديث عمرو بن عنبسة.

(٤) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.

انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان في نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة».

وفي رواية: «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها».

وفي رواية: «فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي، وقال: قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له».

وفي رواية: قال قتادة: قال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها.

وقال ابن عباس في قوله (عز وجل): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، قال: قد دعا الله (تعالى) إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيرًا ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، يقول الله (تعالى) لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]. ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولاً من هؤلاء، من قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله (عز وجل)، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه. وروى الطبراني عن ابن مسعود قال: إن أعظم آية في كتاب الله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، وإن أكثر آية في القرآن فرحًا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، وإن أشد آية في كتاب الله تفويضًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] [الطلاق: ٢، ٣].

ومر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) على قاص وهو يذكر الناس، فقال: يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله؟ ثم قرأ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[2].

ذكر أحاديث فيها نفي القنوط

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله (تعالى) لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله (عز وجل) بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم الله»[3]، عن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) أنه قال حين حضرته الوفاة: قد كنت كتمت منكم شيئًا سمعته من رسول الله (ﷺ) يقول: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله (عز وجل) قومًا يذنبون فيغفر لهم»[4]، وعن ابن عباس رضي الله (تعالى) عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): «كفارة الذنب الندامة»[5]، وقال رسول الله (ﷺ): «لولم تذنبوا لجاء الله (تعالى) بقوم يذنبون فيغفر لهم»[6]، ثم استحث (تبارك وتعالى) عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ إلخ، أي ارجعوا

(١) رواه الطبراني عن ابن مسعود موقوفًا.

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أيضًا.

(٣) تفرد به الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه أحمد ورواه مسلم والترمذي.

(٥) أخرجه أحمد عن ابن عباس مرفوعًا.

(٦) تفرد به الإمام أحمد.

إلى الله واستسلموا له ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾[الزمر: ٥٤] أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة، ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ وهو القرآن العظيم ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ [الزمر: ٥٥] أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون، ثم قال (تعالى): ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾ أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله (عز وجل)، وقوله (تبارك وتعالى): ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾[الزمر: ٥٦] أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق: ﴿أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾[الزمر: ٥٧، ٥٨] أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل، قال ابن عباس: أخبر الله (سبحانه وتعالى) بما يقوله العباد قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، وقال (تعالى): ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[فاطر: ١٤]، ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾[الزمر: ٥٦ـ ٥٨]، فأخبر الله (عز وجل) أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ [الأنعام: ٢٨]، وفي الحديث: «**كل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هداني، فتكون عليه حسرة، قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هداني قال: فيكون له الشكر**»[١]، ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله، قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ [الزمر: ٥٩] أي قد جاءتك أيها العبد النادم في الدار الدنيا وقامت حججي عليك[٢]، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها[٣] انتهى.

أولا - شروط التوبة

جاء في مختصر منهاج القاصدين: "واعلم أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا، وذلك الندم يورث العلم بأن تكون المعاصي حائلاً بين الإنسان وبين محبوبه.

والندم هو توجع القلب عند شعوره بفراق المحبوب، وعلامته طول الحزن والبكاء، فكل من استشعر عقوبة نازلة بولده أو من يعز عليه، طال بكاؤه، واشتدت مصيبته، وأي عزيز أعز عليه من نفسه؟ وأي عقوبة أشد من النار؟ وأي سبب أدل على نزول العقوبة من المعاصي؟ وأي مخبر أصدق من رسول الله (ﷺ)؟ ولو أخبره طبيب أن ولده لا يبرأ من مرضه لاشتد في الحال حزنه، وليس ولده بأعز من نفسه، ولا الطبيب أعلم من الله ورسوله، ولا الموت بأشد من النار، ولا المرض أدل على الموت من المعاصي على سخط الله، والتعرض بها للنار[٤]. انتهى.

وقال النووي (رحمه الله): قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله (تعالى) لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإذا كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه...[٥] انتهى.

(١) أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

*(٣) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: جـ٢ (٢٢٥ ـ ٢٢٧).

*(٤) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة: ٢٥٩، ٢٦٠

*(٥) رياض الصالحين بتحقيق الأرناؤوط صـ١٠، ١١.

ثانيا - آثار المعاصي

جاء في كتاب الجواب الكافي لابن القيم رحمه الله ما مختصره[1]:

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله.

١- فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية، وقال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاص

٢- ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلاً، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة، وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة، وما لجرح بميت إيلام، فلو لم يكن ترك الذنوب إلا حذرًا من وقوع تلك الوحشة، لكان العاقل حريًا بتركها، وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له: إذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس، وليس على القلب أمر من وحشة الذنب، فالله المستعان.

٣- ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشًا من نفسه، وقال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

٤- ومنها: تعسير أموره، فلا يتوجه إلى أمر إلا يجده مغلقًا دونه، أو متعسرًا عليه، وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرًا، فمن عطل التقوى جعل الله له من أمره عسرًا، ويا للعجب! كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين أتى؟

٥- ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر، كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سوادًا حتى يراه كل أحد.

٦- ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن.

أما وهنها للقلب: فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية.

وأما وهنها للبدن: فإن المؤمن قوته في قلبه، وكلما قوي قلبه قوي بدنه، وأما الفاجر - فإنه وإن كان قوي البدن - فهو أضعف شيء عند الحاجة، فتخونه قوته أحوج ما يكون إلى نفسه، فتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم؟!

٧- ومنها: حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بدله، ويقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه طريق ثالثة، ثم رابعة وهلم جرا، فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها، والله المستعان.

(١) راجع كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (رحمه الله تعالى) من ٥٤: ١٠٧.

٨- أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد، فإن البر كما يزيد في العمر فالفجور ينقصه، وسر المسألة: أن عمر الإنسان مدة حياته ولا حياة له إلا بإقباله على ربه، والتنعم بحبه وذكره، وإيثار مرضاته.

٩- ومنها: أن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة: السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة: الحسنة بعدها.

١٠- ومنها: وهو من أخوفها على العبد - أنها تضعف القلب عن إرادته فتقوي فيه إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله، فيأتي بالاستغفار وتوبة الكاذبين باللسان لشيء كثير، وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها، عازم على مواقعتها متى أمكنه، وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.

١١- ومنها: أنه ينسلخ من القلب استقباحها، فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه، وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التفكه وتمام اللذة حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يكن يعلم أنه عملها، فيقول: يا فلان عملت كذا وكذا، وهذا الضرب من الناس لا يعافون، وتسد عليهم طريق التوبة، وتغلق عنهم أبوابها في الغالب، كما قال النبي (ﷺ): **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة: أن يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه، ويقول: يا فلان عملت يوم كذا كذا وكذا، فيهتك نفسه وقد بات يستره ربه»**.

١٢- ومنها: أن كل معصية من المعاصي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله (عز وجل) فاللوطية: ميراث عن قوم لوط، وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقص: ميراث عن قوم شعيب، والعلو في الأرض والفساد: ميراث عن فرعون وقوم فرعون، والتكبر والتجبر: ميراث عن قوم هود، فالعاصي لابس ثياب بعض هذه الأمم وهم أعداء الله.

وقد روى عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك: لا تدخلوا مداخل أعدائي، ولا تلبسوا ملابس أعدائي ولا تركبوا مراكب أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، فتكونون أعدائي كما هم أعدائي.

١٣- ومنها: أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه. قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله (تعالى): ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ**﴾[الحج: ١٨] وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفًا من شرهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه.

١٤- ومنها: أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد، عظم عند الله، وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: **«إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار»**.

١٥- ومنها: أن غيره من الناس والدواب يعود عليه شؤم ذنبه، فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم، قال أبو هريرة: إن الحبارى[1] لتموت في وكرها من ظلم الظالم، وقال مجاهد: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم، وقال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: مُنعنا القطر بذنوب بني آدم، فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له.

١٦- ومنها: أن المعصية تورث الذل ولا بد، فإن العز كل العز في طاعة الله (تعالى)، قال (تعالى):

(١) طائر أكبر من الدجاج الأهلي.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أي فليطلبها بطاعة الله فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله، وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك.

١٧- ومنها: أن المعاصي تفسد العقل، فإن للعقل نورًا، والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، وإذا أطفئ نوره ضعف ونقص، وقال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب (تعالى) وتحت قهره وهو مطلع عليه، وفي داره على بساطه، وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم؟

١٨- ومنها: أن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين كما قال بعض السلف في قوله (تعالى): ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، قال: هو الذنب بعد الذنب.

١٩- ومنها: أن الذنوب تدخل العبد لعنة رسول الله (ﷺ).

٢٠- ومنها: حرمان دعوة رسول الله (ﷺ)، ودعوة الملائكة، فإن الله سبحانه أمر نبيه بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال (تعالى): ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: ٧- ٩].

٢١- ومنها: أنها تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن، قال (تعالى): ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]

٢٢- ومن عقوباتها: أنها تطفئ من القلب نار الغيرة.

والمقصود: أنه كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدًا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك، وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح، بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له، ويدعوه إليه ويحثه عليه، ويسعى له في تحصيله، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله، والجنة عليه حرام، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه لغيره، فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة، وهذا يدلك على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له فلا دين له.

٢٣- ومن عقوباتها: ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه، وفي الصحيحين عنه (ﷺ) أنه قال: **«الحياء خير كله»**، وقال: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**.

والمقصود: أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى ربما أنه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر هو عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يبق في صلاحه مطمع.

٢٤- ومن عقوباتها: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، ومن بعض عقوبة هذا: أن يرفع الله (عز وجل) مهابته من قلوب الخلق، فيهون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمره واستخف به، فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس، وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظم الناس حرماته، وكيف ينتهك عبد حرمات الله، ويطمع ألا ينتهك الناس حرماته؟ أم كيف يهون عليه حق

الله ولا يهوِّنه الله على الناس؟ أو كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق؟

٢٥- ومن عقوباتها: أنها تستدعي نسيان الله لعبده، وتركه، وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة، قال الله (تعالى): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[الحشر: ١٨، ١٩]،

فأخبر أنه عاقب من ترك التقوى بأن أنساه نفسه[1]، أي أنساه مصالحها، وما ينجيه من عذابه، وما يوجب له الحياة الأبدية، فالله (سبحانه وتعالى) يعوض عن كل شيء سواه ولا يعوض منه شيء، ويغني عن كل شيء، ولا يغني عنه شيء، ويمنع من كل شيء ولا يمنع منه شيء، ويجير من كل شيء، ولا يجير منه شيء، وكيف يستغني العبد عن طاعة من هذا شأنه طرفة عين؟ وكيف ينسى ذكره ويضيع أمره حتى ينسيه نفسه، فيخسرها ويظلمها أعظم ظلم، فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه، وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه.

٢٦- ومن عقوباتها: أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه من ثواب المحسنين.

والمقصود: أن الإيمان سبب جالب لكل خير، وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان، فكيف يهون على العبد أن يرتكب شيئًا يخرجه من دائرة الإيمان ويحول بينه وبينه، ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين، فإن استمر على الذنوب وأصر عليها خيف عليه أن يرين على قلبه، فيخرجه عن الإسلام بالكلية، ومن هنا اشتد خوف السلف، كما قال بعضهم: أنتم تخافون الذنوب وأنا أخاف الكفر.

٢٧- ومن عقوباتها: أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، وتعوقه وتوقفه وتعطفه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه.

فالذنب إما أن يميت القلب، أو يمرضه مرضًا مخوفًا، أويضعف قوته ولا بد حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ النبي (ﷺ) منها وهي: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، والعجز، والكسل، والجبن، والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال**».

والمقصود: أن الذنوب من أقوى الأشياء الجالبة لهذه الثمانية، كما أنها من أقوى الأسباب الجالبة: «جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»، ومن أقوى الأسباب الجالبة لزوال نعم الله (تعالى) وتقدس، وتحول عافيته إلى نقمته وتجلب جميع سخطه.

٢٨- ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب، كما قال علي بن أبي طالب (ﷺ): «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة» وقد قال (تعالى): ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

٢٩- ومن عقوباتها: ما يلقيه الله (سبحانه وتعالى) من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفًا مرعوبًا، فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أطاحت به المخاوف من كل جانب.

٣٠- ومن عقوباتها: أنها توقع الوحشة العظيمة في القلب، فيجد المذنب نفسه مستوحشًا، وقد وقعت الوحشة بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، وبينه وبين نفسه، وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة، وأمرُّ العيش عيش المستوحشين الخائفين، وأطيب العيش عيش المستأنسين.

٣١- ومن عقوباتها: أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضًا معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلب كتأثير الأمراض في الأبدان.

٣٢- ومن عقوباتها: أنها تعمي بصر القلب، وتطمس نوره، وتسد طرق العلم، وتحجب مواد الهداية.

* (١) وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله (تعالى) عند الكلام عن نسيان العبد لنفسه تحت رقم (٤٢).

٣٣- ومن عقوباتها: أنها تصغر النفس وتقمعها، وتدنيها وتحقرها حتى تصير أصغر من كل شيء وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتزكيها وتكبرها، قال (تعالى): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]: والمعنى: قد أفلح من أعلاها وكبرها بطاعة الله وأظهرها، وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله.

٣٤- ومن عقوباتها: أن العاصي دائمًا في أسر شيطانه، وسجن شهواته، وقيود هواه، فهو أسير مسجون مقيد، ولا أسير أسوأ من أسير أسره أعدى عدو له، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟ وكيف يخطو خطوة واحدة؟ وإذا تقيد القلب طرقته الآفات من كل جانب بحسب قيوده، ومثل القلب مثل طائر، كلما علا بعد عن الآفات، وكلما نزل استوحشته، وفي الحديث: «**الشيطان ذئب الإنسان**»، وأصل هذا كله: أن القلب كلما كان أبعد من الله كانت الآفات إليه أسرع، وكلما كان أقرب إلى الله بعدت عنه الآفات، والبعد من الله مراتب، بعضها أشد من بعض، فالغفلة تبعد العبد عن الله، وبعد المعصية أعظم من بعد الغفلة، وبعد البدعة أعظم من بعد المعصية، وبعد النفاق والشرك أعظم من ذلك كله.

٣٥- ومن عقوباتها: سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه.

٣٦- ومن عقوباتها: أنها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصَّغار، فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والتقي والمطيع والمنيب والولي والورع والمصلح، والعابد والخائف، والأواب والطيب والمرضي ونحوها، وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والمخالف والمسيء والمفسد والخبيث والمسخوط والزاني والسارق والقاتل والكاذب والخائن واللوطي والغادر وقاطع الرحم وأمثالها، فهذه أسماء الفسوق، ﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١] التي توجب غضب الديان، ودخول النيران، وعيش الخزي والهوان، وتلك أسماء توجب رضاء الرحمن ودخول الجنان، وتوجب شرف المسمى بها على سائر أنواع الإنسان.

٣٧- ومن عقوباتها: إنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل، فلا تجد عاقلين: أحدهما مطيع لله، والآخر عاص إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصح ورأيه أسد، والصواب قرينه، ولهذا تجد خطاب القرآن إنما هو مع أولي الألباب والعقول، كقوله: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٣٨- ومن عقوباتها: أنها تجعل صاحبها من السفلة بعد أن كان مهيئًا لأن يكون من العلية، فإن الله خلق خلقه قسمين: علية، وسفلة، وجعل عليين مستقر العلية، وأسفل سافلين مستقر السفلة، وجعل أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة، وأهل معصيته الأسفلين في الدنيا والآخرة.

٣٩- ومن عقوباتها: أنها تجرئ على العبد ما لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات فتجرئ عليه الشياطين «الإنس والجن» وتجرئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم.

٤٠- ومن عقوباتها: أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه.

والمقصود: أن العبد العاصي إذا وقع في شدة أو كربة أو بلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو أنفع شيء له، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله (تعالى) والإنابة إليه، والحمية عليه، والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه، ولا يطاوعه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه، فلا ينجس القلب على اللسان بحيث يؤثر فيه الذكر ولا ينجس اللسان والقلب على المذكور، بل إن ذكر أو دعا بقلب غافل لاه ساه، ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له، ولم تطاوعه، وهذا كله أثر الذنوب والمعاصي، كمن له جند يدفع عنه الأعداء، فأهمل جنده وضيعهم وأضعفهم، وقطع أقواتهم، ثم أراد منهم عند هجوم العدو عليه أن يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة.

هذا وثم أمر أخوف من ذلك وأدهى وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله

(تعالىٰ)، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيرًا من المحتضرين من أصابهم ذلك، حتىٰ قيل لبعضهم: قل لا إله إلا الله، فقال: شاه ورخ[١] غلبك ثم قضي.

٤١- ومن عقوباتها: أنها مدد من الإنسان يمد به عدوه[٢] عليه، وجيش يقويه به علىٰ حربه.

٤٢- ومن عقوباتها: أنها تنسي العبد نفسه، فإذا نسي نفسه أهملها وأفسدها وأهلكها، فإن قيل: كيف ينسىٰ العبد نفسه؟ وإذا نسي نفسه، فأي شيء يذكر؟ وما معنىٰ نسيانه نفسه؟ قيل: نعم ينسىٰ العبد نفسه أعظم نسيان، قال (تعالىٰ): ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] فلما نسوا ربهم (سبحانه) نسيهم وأنساهم أنفسهم، كما قال (تعالىٰ): ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] فعاقب سبحانه من نسيه عقوبتين: إحداهما: أنه سبحانه نسيه، والثانية: أنه أنساه نفسه، ونسيانه سبحانه للعبد إهماله وتركه وتخليه عنه وإضاعته، فالهلاك أدنىٰ إليه من اليد إلىٰ الفم، وأما إنساؤه نفسه فهو إنساؤه لحظوظها العالية، وأسباب سعادتها وفلاحها وإصلاحها وما يكملها، ينسيه ذلك جميعه، فلا يخطره بباله ولا يجعله علىٰ ذكره، ولا يصرف إليه همته فيرغب فيه، فإنه لا يمر بباله حتىٰ يقصده ويؤثره، وأيضًا ينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها.

٤٣- ومن عقوباتها: أنها تباعد عن العبد وليه، وأنصح الخلق له، وأنفعهم له ومن سعادته في قربه منه - وهو الملك الموكل به - وتدني منه عدوه، وأغش الخلق وأعظمهم ضررًا له - وهو الشيطان - فإن العبد إذا عصىٰ الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتىٰ أنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة، وفي بعض الآثار: **«إذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلاً من نتن ريحه»**[٣]، فإذا كان هذا تباعد الملك؛ منه من كذبة واحدة، فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو أكبر من ذلك، وأفحش منه؟

ولا يزال الملك يقرب من العبد[٤] حتىٰ يصير الحكم والطاعة والغلبة له فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند مبعثه، قال الله (تعالىٰ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

وإذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم علىٰ لسانه وألقىٰ علىٰ لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد، تكلم علىٰ لسانه قول الزور والفحش حتىٰ يرىٰ الرجل يتكلم علىٰ لسان الملك، والرجل يتكلم علىٰ لسان الشيطان.

٤٤- ومنها: المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة، قال (تعالىٰ): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] وقد فسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك، والآيات تتناول ما هو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الإثبات، فإن عمومها من حيث المعنىٰ، فإنه (سبحانه) رتب المعيشة الضنك علىٰ الإعراض عن ذكره، فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب الأماني الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما تتوارىٰ عند سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، إن لم ينضم إلىٰ ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوىٰ وحب الدنيا لا يصحو صاحبه إلا إذا سكر في الأموات، فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله

---

(١) شاه ورخ قطعتان من قطع الشطرنج، والمحتضر يذكرهما لأنهما أخذا عليه لبه وعقله من كثرة اللعب.

(٢) أي إبليس (لعنه الله) والمقصود كما قال ابن القيم (رحمه الله) - بعد إسهاب في الشرح: أن الذنوب والمعاصي سلاح ومدد يمد بها العبد أعداءه، ويعينهم بها علىٰ نفسه، فيقاتلونه بسلاحه والجاهل يكون معهم علىٰ نفسه، وهذا غاية الجهل والسفه فلا يخطر بباله إزالتها وإصلاحها.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٤) أي: العبد الطائع.

على رسوله (ﷺ) في دنياه، وفي البرزخ، ويوم معاده، ولا تقر العين ولا يهدأ القلب ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها، والذي هو حق، وكل معبود سواه باطل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

... إلى أن قال (رحمه الله تعالى) في نهاية الكلام عن آثار المعاصي:

فانظر إلى الآخرة كأنها رأي العين، وتأمل حكمة الله (سبحانه) في الدارين تعلم حينئذ علمًا يقينًا لا شك فيه، أن الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وأنموذجها، وأن منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدها، فمن أعظم الذنوب الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، وبالله التوفيق، انتهى كلام ابن القيم (رحمه الله تعالى)، وأحيطك علمًا بأن تلك النقاط السابقة مجرد عناوين وقليل من الشرح، لما في كتاب «الجواب الكافي» هذا الكتاب القيم لابن القيم.

فائدة:

قال عبد الله بن عباس:

«إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق».

❑ ● ❑

ثالثا: جاء في مختصر منهاج القاصدين ما مختصره:

١- تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر:

اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، وقد كثر الاختلاف فيها، واختلفت الأحاديث في عدد الكبائر.

والأحاديث الصحاح في ذكرها خمسة (نذكر منها):

حديث أبي هريرة (ﷺ)، أن النبي (ﷺ) قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**».

وقد اختلف العلماء فيها على أقوال كثيرة، والأحاديث في الكبائر لا تدل على حصرها فيها، ولعل الشارع قصد الإبهام ليكون الناس على وجل من الذنوب، لكن يعرف من الأحاديث أجناس الكبائر ويعرف أيضًا أكبر الكبائر.

فأما أصغر الصغائر، فلا سبيل إلى معرفته، وقد تكلم العلماء في عدد الكبائر، فروي عن ابن مسعود (ﷺ) أنه قال: هي أربع.

وروي عن ابن عمر (ﷺ) أنه قال: هي سبع، وكان ابن عباس (ﷺ) إذا بلغه قول ابن عمر أنها سبع قال: هي إلى سبعين أقرب منها إلى سبع.

وقال أبو صالح عن ابن عباس: هي ما أوجبت الحد في الدنيا.

وعن ابن مسعود أن الكبائر من فاتحة النساء إلى قوله: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾ [النساء: ٣١].

وقال سعيد بن جبير وغيره: هي كل ذنب أوعد الله عليه النار.

٢ـ فصل في بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب:

منها: الإصرار والمواظبة. وفي الحديث من رواية ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) أنه قال: **«لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع الاستغفار»**[١].

واعلم: أن العفو عن كبيرة قد انقضت ولم يتبعها مثلها، أرجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد.

ومثال ذلك: قطرات من الماء تقع على حجر متواليات، فإنها تؤثر فيه، ولو جمعت تلك القطرات في مرة وصبت عليه لم تؤثر، ولهذا قال (ﷺ): **«أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»**.

ومن الأسباب التي تعظم بها الصغائر: أن يستصغر الذنب، فإن الذنب كلما استعظمه العبد، صغر عند الله (تعالى)، وكلما استصغره العبد، كبر عند الله (تعالى)، فإن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له.

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): **«إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به: هكذا»**، [أخرجاه في الصحيحين].

وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله (تعالى)، فإذا نظر إلى عظمة من عصى، رأى الصغيرة كبيرة.

وفي البخاري من حديث أنس (رضي الله عنه): «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر وإن كنا لنعدها على عهد رسول الله (ﷺ) من الموبقات».

وقال بلال بن سعد (رحمه الله): «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت».

ومن الأسباب: أن يفرح بالصغيرة ويتمدح بها، كما يقول: أما رأيتني كيف مزقت عرض فلان، وذكرت مساويه حتى خجلته، أو يقول التاجر: أما رأيت كيف روجت عليه الزائف، وكيف خدعته وغبنته، فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر.

ومنها: أن يتهاون بستر الله (تعالى) وحلمه عنه وإمهاله إياه، ولا يدري أن ذلك قد يكون مقتًا ليزداد بالإمهال إثمًا.

ومنها: أن يأتي بالذنب ثم يذكره بمحضر من غيره، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن النبي (ﷺ) قال: **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان: عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره الله عليه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»**.

ومنها: أن يكون المذنب عالمًا يقتدى به، فإذا علم منه الذنب، كبر ذنبه[٢].

فإن قيل: ما بال الإنسان يقع في الذنب مع علمه بقبح عواقبه؟ فمن ذلك أجوبة:

منها: أن العقاب الموعود ليس بحاضر.

ومنها: أن المؤمن إذا أذنب لا بد أن يعزم على التوبة، وقد وعد أن التوبة تجبر ما فعل، وطول الأمل

---

(١) رواه أبو الشيخ ومن طريقه الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث سعيد بن سليمان سعدويه، عن أبي شيبة الخراساني، عن ابن أبي ملكية عن ابن عباس... وأبو شيبة الخراساني قال البخاري: لا يتابع على حديثه، وقال الذهبي في «الميزان»: أتى بخبرمنكر رواه عنه سعدويه، فذكره وقد ذكره ابن المنذر في تفسيره من قول ابن عباس.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ٢٥١ ـ ٢٥٨.

غالب على الطباع، فلا يزال يسوف بالتوبة، فلما رجا التوبة أقبل على الذنب.

ومنها: أنه يرجو عفو الله عنه، وعلاج هذه الأسباب: أن يفكر في نفسه أن كل ما هو آت قريب، وأنه لا يأمن هجوم الموت، ويعالج التسويف بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف، والمسوف يبني الأمر على ما ليس إليه، وهو البقاء، فلعله لا يبقى، وإن بقي فربما لا يقدر على الترك غدًا كما يقدر عليه اليوم، وهل عجز عن الحال إلا لغلبة الشهوة، وهي غير مفارقة له غدًا؟ بل يتأكد بالاعتياد، ومن هذا هلك المسوفون، لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين، وما مثال المسوف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة، فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة، فقال: أؤخرها سنة ثم أعود إليها، وهو لا يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه، فالعجب من عجزه - مع قوته - عن مقاومتها في حال ضعفها، كيف ينتظر الغلبة إذا ضعف وقويت.

وأما انتظار عفو الله (تعالى)، فعفو الله (سبحانه) ممكن، إلا أن الإنسان ينبغي له الأخذ بالحزم، وما مثال ذلك إلا كمثل رجل أنفق أمواله كلها، وترك نفسه وعياله فقراء ينتظر من الله (تعالى) أن يرزقه العثور على كنز في خربة، وهذا ممكن إلا أن صاحبه ملقب بالأحمق، والله (سبحانه وتعالى) أعلم[1]. انتهى من كتاب مختصر منهاج القاصدين.

صلاة التوبة

عن أبي بكر (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي - أي ركعتين -**[2] **ثم يستغفر الله إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية**: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾، [آل عمران: ١٣٥ ، ١٣٦]، [رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي والترمذي وقال: حديث حسن].

فائدة:

هل الأفضل للتائب أن يتذكر ذنبه أم ينساه؟

الرأي الأول: الأفضل له أن يتذكره.

الرأي الثاني: الأفضل له أن ينساه.

الرأي الثالث: قال ابن القيم ما معناه: إذا أحس العبد من نفسه العجب فالأفضل له أن يتذكر الذنب، وإن كان في حال منة الله عليه والفرح به والشوق إلى لقائه فنسيان الذنب أولى به وأنفع[3].

رابعًا. اتهام التوبة

قال ابن القيم (رحمه الله تعالى)[4]:

وأما اتهام التوبة فلأنها حق عليه، لا يتيقن أنه أدى هذا الحق على الوجه المطلوب منه، الذي ينبغي له أن يؤديه عليه، فيخاف أنه ما وفاها حقها، وأنها لم تقبل منه، وأنه لم يبذل جهده في صحتها، وأنها توبة علة وهو لا يشعر بها، كتوبة أرباب الحوائج والإفلاس، والمحافظين على حاجاتهم ومنازلهم بين الناس، أو أنه تاب محافظة

* (١) راجع كتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي صـ ٢٥١ - ٢٦٧.
* (٢) لرواية ابن حبان والبيهقي وابن خزيمة، راجع فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق ج - ٢ صـ ٧٢.
* (٣) مدارج السالكين لابن القيم (رحمه الله) جـ١ صـ ٢٠٢.
* (٤) كتاب مدارج السالكين لابن القيم (رحمه الله) جـ١ صـ ١٨٥ - ١٨٧.

على حاله.

فتاب للحال، لا خوفًا من ذي الجلال، أو أنه تاب طلبًا للراحة من الكد في تحصيل الذنب، أو اتقاء ما يخافه على عرضه وماله ومنصبه، أو لضعف داعي المعصية في قلبه، وخمود نار شهوته، أو لمنافاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في كون التوبة خوفًا من الله، وتعظيمًا له ولحرماته، وإجلالاً له، وخشية من سقوط المنزلة عنده وعن البعد والطرد عنه، والحجاب عن رؤية وجهه في الدار الآخرة، فهذه التوبة لون وتوبة أصحاب العلل لون.

ومن اتهام التوبة أيضًا: ضعف العزيمة والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة، وتذكر حلاوة مواقعته، فربما تنفس، وربما هاج هائجه.

ومن اتهام التوبة: طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب، حتى كأنه قد أعطي منشورًا بالأمان، فهذا من علامات التهمة.

ومن علاماتها: جمود العين، واستمرار الغفلة، وألا يستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة.

خامسًا: علامات قبول التوبة

وقال أيضًا (رحمه الله): فالتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات:

منها: أن يكون العبد بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

ومنها: أنه لا يزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠] فهناك يزول الخوف.

ومنها: انخلاع قلبه، وتقطعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها.

وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى: ﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[التوبة: ١١٠] قال: تقطعها بالتوبة، ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة، يوجب انصداع القلب وانخلاعه، وهذا هو تقطعه، وهذا هو حقيقة التوبة، لأنه يتقطع قلبه حسرة على ما فرط منه، وخوفًا من سوء عاقبته، فمن لا يتقطع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفًا، تقطع في الآخرة إذا حقت الحقائق، وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلا بد من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة.

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضًا: كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء. ولا تكون لغير المذنب... إلى أن قال (رحمه الله):

فلله ما أحلى قوله في هذه الحال: أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه.

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

فائدة:

قال أبو الجلد: أوحى الله (تعالى) إلى نبي من الأنبياء: قل لقومك: ما لكم تسترون الذنوب من خلقي، وتظهرونها لي! إن كنتم ترون أني لا أراكم فأنتم مشركون بي، وإن كنتم ترون أني أراكم فلم تجعلونني أهون الناظرين إليكم.

سادسًا: سؤال هام

ما هو حكم المال «العوض» المتحصل من الزنى والغناء والخمر ... بعد التوبة؟ أي إذا تاب والعوض بيده[1]؟

الرأي الأول: يرده إلى مالكه، **الرأي الثاني:** قال ابن القيم (رحمه الله) ما مختصره: بل توبته بالتصدق[2] به، ولا يدفعه إلى من أخذ منه، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وهو أصوب القولين... إلى أن قال (رحمه الله): وهكذا توبة من اختلط ماله الحلال بالحرام، وتعذر عليه تمييزه: أن يتصدق بقدر الحرام، ويطيب باقي ماله والله أعلم.

فائدة ـ مشهد الرحمة في المعصية:

قال ابن القيم (رحمه الله):

فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب، حتى لو قدر عليه لأهلكه، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه، غضبًا منه لله، وحرصًا على ألا يُعصى، فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين الخاطئين، ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء، ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم، والعيب لهم والذم، فإذا جرت عليه المقادير وخلى نفسه واستغاث بالله والتجأ إليه، وتململ بين يديه تململ السليم، ودعاه دعاء المضطر، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة، وتلك القساوة على الخاطئين رحمة ولينًا مع قيامه بحدود الله، وتبدل دعاؤه عليهم دعاء لهم، وجعل لهم وظيفة من عمره، يسأل الله أن يغفر لهم.

فما أنفعه من مشهد، وما أعظم جدواه عليه[3]، والله أعلم.

سابعًا ـ توبة المرأة

أولاً ـ مقدمة:

١ ـ قبل الكلام عن دعوة المرأة المسلمة إلى الله أود أن أقول: إن الإسلام هو الاستسلام والإذعان والانقياد لأمر الله (تعالى)، وطالما أن الأمر كذلك، فإن المسألة ليست مسألة إقناع بقدر ما هي مسألة إيمان وامتثال، فلا يحتاج المسلم في كل تكليف إلى إقناع وبرهان، ولكن طالما أن المسلم قد رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينا وبمحمد (ﷺ) نبيًا ورسولاً ـ طالما أنه قد رضي بذلك ـ فلا يكون أمامه إلا سؤال واحد عند تكليفه بأمر الله (تعالى)، وهو: هل ورد هذا التكليف في كتاب الله (عز وجل)؟ فإن كان واردًا فيه فسمعًا وطاعة، وإن كان هذا التكليف حديثًا للنبي (ﷺ)، فيكون السؤال، هو التأكد من صحة هذا الحديث، فإن ثبت صحة ذلك ـ وهذا من اختصاص العلماء ـ فعليه أن يقول :سمعًا وطاعة أيضًا، إذن يكون موضع البحث، هو: التأكد من أن هذا

* (١) مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله جـ١ صـ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) ما حكم الصدقة بالمال الحرام؟ راجع الإجابة على هذا السؤال في كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، الحديث العاشر: قوله (ﷺ) : «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**» صـ ٨٧ صـ ٩٠ وهو حديث صحيح: رواه مسلم.

* (٣) مدارج السالكين: جـ١ صـ ٤٢٦.

التكليف قد ورد في كتاب الله، أو في سنة رسول الله (ﷺ) ـ مع مراعاة مصادر التشريع الأخرى ـ لا البحث عن الإقناع أو عن أي شيء آخر مما نراه في معظم المسائل بين المسلمين الآن إلا ما رحم ربي من أنك تسمع دائمًا هذا القول: أقنعني أولاً! سبحان الله! إن دين الله (تعالى) كل لا يتجزأ، لا يأتيك كله، إلا إذا أعطيته كلك.

لو أن الرفيق ـ أي الطبيب[1] ـ وصف العلاج للمريض، لوجدته أخذ الدواء دون مناقشة، أيًا كان طعم هذا الدواء، أما حينما يأمر الله بأمر فنجد التقاعس، والتراخي وطلب الإقناع، أيهما تمتثل لأمره بقوة... الخالق أم المخلوق؟ أوَمَا قرأت قول الله (تعالى): ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

يقول الإمام ابن كثير (رحمه الله)[2] في تفسير هذه الآية: فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي، ولا قول. انتهى.

٢ ـ قال (تعالى): ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

يقول ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول (ﷺ) في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرًا وباطنًا، ولهذا قال: ﴿**ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥]. أي إذا حكّموك يطيعونك في بطونهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا، من غير ممانعة ولا مدافعة، ولا منازعة، كما ورد في الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**». ثم يقول الله (تعالى): ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾، [النساء: ٦٦ ـ ٦٨].

قال ابن كثير (رحمه الله): يخبر (تعالى) عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم يرتكبونه من المناهي لما فعلوه، لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه (تبارك وتعالى) بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون، ولهذا قال (تعالى): ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ قال ابن جرير: قال رجل: لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا، فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فقال: «**إن من أمتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي**»، انتهى من ابن كثير.

٣ ـ قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، [النور: ٥١]. فقد علق الله (سبحانه وتعالى) الفلاح في الدنيا والآخرة على طاعته سبحانه.

تنبيه:

من آيات الحجاب قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾، [الأحزاب: ٥٩].

ثانيًا: جاء في كتاب (إلى كل فتاة تؤمن بالله) لفضيلة الشيخ محمد سعيد البوطي ما مختصره:

---

* (١) أقول: رفيق، لقول النبي(ﷺ) لمن ادعى أنه طبيب: «**أنت رجل رفيق وطبيبها الذي خلقها**» [رواه أبو داود وأحمد في المسند]، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، راجع زاد المعاد لابن القيم: جـ ٢ صـ ٣٥٣ «أشير دائمًا إلى زاد المعاد بتحقيق الأرناؤوط».

* (٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: جـ ٣ صـ ٩٧.

إلى كل فتاة تؤمن بالله...

وإنما أعني[1] بالفتاة التي تؤمن بالله تلك التي أيقنت بوجوده إلهًا واحدًا لا شريك له في ذاته وصفاته وأيقنت أنه النافع فلا نافع سواه، وأنه الضار إذا شاء فلا ضار سواه، إليه مرجع الناس كلهم في يوم عظيم لا ريب فيه، يكشف فيه الحجاب عن كل غيب مستور، وحقيقة خافية يوم الحسرة والندامة لمن كان قد اغتر بدنياه وفرط في جنب الله، ويوم الغبطة والسعادة لمن كان قد فهم الدنيا على حقيقتها فاتخذ منها عونًا لسلوك السبيل إلى مرضاة الله ، فلا جرم أنني لا أعني بها تلك التي سمعت بالله ولم تفهم عنه شيئًا، وورثت كلمة الإيمان شعارًا على اللسان ولم تستيقن مضمونها عقيدة في الجنان، قد يتكرر اسم الله على لسانها في اليوم أكثر من عشرين مرة، ولكنها لا تنتبه لسلطانه وبالغ سطوته في الشهر أو العام مرة واحدة، مثل هذا الإيمان لا يورث القلب أي خشية ولا يقود صاحبه إلى أي اتجاه، ولا شأن له بتقويم شيء من مظاهر الحياة والسلوك.

فأنا إنما أتجه بحديثي في هذه الرسالة إلى كل فتاة آمنت بالله إيمانًا إراديًا حرًا منبثقًا عن رضاها القلبي وشعورها النفسي... ويقيني أن مجتمعنا يفيض بكثير ممن يتمتعن بهذا الإيمان.

أتجه إلى كل فتاة تؤمن في قرارة قلبها بالله هذا الإيمان لأقول لها: إن أمر وجودنا في هذه الحياة جد وأخطر من الجد! ... فلا يحجبنك عن تصور عاقبتها أي لون من ألوان مغرياتها ولا ينسيك هوانها كثرة ما ترين من المتعلقين بها، ولا تنسي أن الناس إنما يجتازون إلى الله في هذه الدنيا بساعة امتحان، سواء علموا ذلك أم جهلوا، وربما طالت هذه الساعة أو قصرت ولكنها على كل حال ليست أكثر من ساعة امتحان.

وإذا كان الاجتياز بهذه الساعة الامتحانية قدرًا مشتركًا بين الرجال والنساء على السواء، فإن المرأة تمتاز عن الرجل بحمل عبء آخر شديد الخطورة في الدنيا وعظيم الأثر في العقبى.

فالمرأة بالإضافة إلى كونها تشترك مع الرجال في اجتياز هذه الساعة الامتحانية تعتبر مادة من أهم موادها الامتحانية ذاتها.

ذلك لأن الشهوات على اختلافها هي المنزلق الامتحاني الذي بسط الله به وجه هذه الدنيا، وإنما المرأة ـ بتقرير الله (تعالى) وصريح بيانه ـ أول نوع من هذه الشهوات أو ليس هو القائل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]. فقد عد الله النساء في أول مراتب الشهوات التي وضعها زينة وابتلاء في طريق الناس، ولولا أنها تفوق سائرها في الخطورة والأهمية ما جعل مرتبتها في الذكر قبلهن جميعًا، إذن فالمرأة في حياة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوي على الإطلاق، وسر ذلك أن جميع الآثام التي حظرها الله (تعالى) على عباده ليس بينها وبين الإنسان أي انسجام فطري، فالظلم بأنواعه المختلفة محرم ويعين الإنسان على تجنبه أن الفطرة الإنسانية تشمئز منه، وشرب الخمر محرم ويهون من أمر تحريمه أن الفطرة الإنسانية الأصيلة تعافها، وكذلك السرقة، والغش، والغيبة، والنميمة وبقية المحرمات الأخرى كلها لا تتفق مع مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة، ولا يجنح إلى شيء منها إلا من ابتلي بشذوذ أو انحراف في طبيعته وفطرته لسبب من الأسباب التي قد تطرأ في حياة الإنسان، وإنما يستثنى من هذا العموم شيء واحد فقط هو الغريزة الجنسية في كل من الرجل والمرأة، فهي على الرغم من كونها تدفع إلى ارتكاب محظور يعد في ذروة المحاظير الشرعية ـ ما لم ينضبط بحدود وقيود معينة ـ تعتبر من أخص مستلزمات الفطرة الإنسانية وأهم متطلباتها ولا سبيل لأي إنسان ـ ما دام إنسانًا طبيعيًا لا شذوذ فيه ـ إلى أن ينفك عنها أو يسمو فوقها، ومن خلال هذه المقارنة تستطعين أن تدركي بأن الشهوة الجنسية في الإنسان أخطر ابتلاء ديني في حياته، إذ في الوقت الذي تقف الفطرة الإنسانية فيه على تطبيق حكم الله بالنسبة للمعاصي والمنكرات، فإنها تقف بالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها أو عاجزة ـ في أحسن الأحوال ـ عن أن تكبح لجامها أو

* (١) راجع كتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله لفضيلة الشيخ سعيد رمضان البوطي من ص ١٤ ـ ٢١.

تقلل شيئًا من هياجها.

وبناءً على ذلك فإن العلاج الإسلامي بالنسبة لسائر المعاصي يكمن في مزيد من الابتعاد عنها والاستعلاء فوقها، أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة فقد كان العلاج هو الارتواء منه وإمتاع الغريزة به، ولكن ضمن حدود مرسومة معينة لا يتجاوزها، فهذا معنى قولنا: إن المرأة أخطر مادة امتحانية في حياة الرجل على الإطلاق، وربما تقولين: ولم لا يعتبر الرجل أيضًا أخطر مادة امتحانية في حياة المرأة ما دام الشعور الجنسي شائعًا بينهما، وبذلك يتساوى عبء كل من الرجل والمرأة وتتكافأ مهامهما؟!

والجواب: إن الفاطر الحكيم (جل جلاله) أقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة أكثر من أن تكون طالبة، فهي مهما استشعرت إلحاحًا غريزيًا في كيانها تظل ميالة - بدافع من عوامل نفسية أصيلة لديها - إلى أن تتحصن بمركز الانتظار والاستعلاء وأن تفرض على الرجل ظروفًا وأسبابًا تجعله يلح في طلبها والسعي وراءها، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة للمرأة، وقد قرر رسول الله (ﷺ) تلك الحقيقة باختصار في قوله: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**». متفق عليه.

وإذن قد فرغنا من إيضاح هذه الحقيقة فلتعلمي أن أمر هذه الفتنة التي أُبتلي بها الرجل - تشديدًا وتهوينًا - عائد عليك فالمرأة تستطيع إذا شاءت أن تجعل من شأن نفسها بلاءً صاعقًا للرجل لا يكاد يجد سبيلاً للنجاة منه.

وتستطيع أن تجعل من شأن نفسها عونًا له على السير في طريق السلامة والنجاة.

ومن هنا كان أخطر الوظائف الإسلامية التي كلف الله بها المرأة، أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى لا يقعوا في رهق من أمر البلاء أو الامتحان.

وقد تم الإجماع على أن المرأة لا تحرز رضا الله (تعالى) عنها من الأعمال الصالحة، كما تحرزه بالسعي في سبيل يعين الرجل على الاستقامة الخلقية وضبط نوازعه الشهوانية، ولا تتسبب لغضب الله (تعالى) عليها بعمل من الأعمال المحرمة كما تتسبب إلى ذلك بالسعي في سبيل أن تثير في الرجل نوازعه الشهوانية وتقصيه عن أسباب الاستقامة والعفة الخلقية.

وما كان أكثر أهل النار النساء- بإخبار النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح - إلا لجملة عوامل، من أهمها: أنهن لا يتقين الله (تعالى) في هذه الوظيفة الخطيرة التي ناطها الله (تعالى) بهن... انتهى.

ثالثًا: أقوال لا رصيد لها:

ثم ذكر... فضيلة الشيخ محمد سعيد البوطي في كتابه - السالف ذكره - «إلى كل فتاة تؤمن بالله» شبها يحتج بها الشيطان بنوعيه، وزخرف القول غرورًا أمام المرأة المؤمنة، حتى يصدها عن سبيل الله، ويمنعها من ارتداء ما أمرها الله به، فقال أثابه الله تحت عنوان: أقوال لا رصيد لها[1] ما مختصره[2]:

ومهما يكن من أمر هذه الشبه الباطلة، فإن لأعداء هذا الدين حججًا وأقوالاً أخرى، يتأملون أن يدعموا بها باطلهم، ولكنها أقوال لا رصيد لها من المعنى الذي يمكن أن يتقبله العقل السليم.

وما أكثر ما ضلت فتيات مؤمنات، عن رشد العقل، بهذه الأقوال المرصوفة الخادعة، وما أكثر ما تبين لهن أنها أباطيل خادعة، ولكن ذلك لم يتبين لهن إلا بعد أن تجاوز الأمر بهن إلى نهاية لا طاقة لهن على الرجوع عنها، بل إلى أودية سحيقة لا سبيل لهن إلى التسامي فوقها! وإنني أيتها الأخت المؤمنة سأعرض لك جميع هذه الأقوال بزخرفها الخادع ثم أجردها أمامك من زيفها اللصيق، لتري عظيم ما فيها من الخداع والتضليل، حتى إذا

---

* (١) اكتفيت فقط باختصار جانب الرد على تلك الشبه.

* (٢) لم أختصر كثيرًا في هذه النقطة.

تبين لك ذلك كنت أقدر علىٰ الصمود في وجه الباطل الذي تتعرضين له، وأكثر ثباتًا وصلابة على الحق الذي تعتزين به.

١- يقولون لك: إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها، وكم من فتاة محتجبة عن الرجال في ظاهرها، وهي تمارس معهم البغي والفجور في سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها أو سلوكها.

وأقول لك: إن هذا صحيح، فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة، ولا أن تخلق له استقامة معدومة، ورب فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟

ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلانًا بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟

إن الله (جل جلاله) إنما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين تقع أبصارهم عليها، لا حفظًا على عفتها من الأعين التي تراها... ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان، فإن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة: إن للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها؟

إن بلاء الرجال بما يقع عليه أبصارهم من مغريات النساء وفتنتهن، هو المشكلة التي أحوجت المجتمع إلى حل، فكان من فضل الله ما تكفل به على أفضل وجه، وبلاء الرجال، إذا لم يجد في سبيله هذا الحل الإلهي، ما من ريب أنه سيتجاوز بالسوء إلى النساء أيضًا، ولا يغني عن الأمر شيئًا أن تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامة في سلوكها أو عفة في نفسها، فإن في ضرام ذلك البلاء الهائج في نفوس الرجال، ما قد يتغلب على كل استقامة أو عفة تتمتع بها المرأة إذ تعرض من فنون إثارتها وفتنتها أمامهم.

٢- ويقولون لك: إنه إذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة، تهذبت طباع كل منهما، وقامت بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه إلى جنس ولا تنحرف نحو سوء، أما إذا ضرب بينهما بسور من الاحتجاب، فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغري كلا منهما بصاحبه فيشيع من ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع.

وأقول لك: صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا من ثمارها، خلال مرحلة طويلة من الزمن، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها، وبدهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا فوقها، ولكن لأنهمْ قد بشموا بها ولأنهم يشبعون كل يوم منها[1].

إن رؤية المناظر والمواقف الجنسية المثيرة في بلدة كالسويد مثلاً، تعتبر أمرًا عاديًا لا يثير استغرابًا ولا استهجانًا بالنسبة لأولئك الذين نشئوا أو عاشوا في تلك الأجواء، فهل يعني ذلك أنهم قد تجاوزوا طبيعة التأثير بدواعي الانحراف وأسبابه فهم لا ينحطون إليها ولا يتأثرون بها؟ أي مجنون من الناس يقول هذا؟

كلنا يعلم أن هذا الذي يمر بالمشاهد الجنسية المكشوفة هناك، غير عابئ بها، ولا ملتفت إليها، قد تجده بعد ساعة يمارس العملية نفسها في مكان آخر، وهكذا فإن عدم الاكتراث والتأثر بمظاهر الإغراء، إنما هو نتيجة انتشار اللذة رخيصة في كل مكان، وليس نتيجة فهم معين أو جديد لما قد تبصره عيناه، والذي يتصور تحقق الزهد في الجنس، دون أن يكون نتيجة لانتشاره وإباحته، إنما هو كمن يتصور إمكان زهد الجائع في الطعام بمجرد أن تتناثر أطباقه الشهية أمام عينيه في واجهات المحلات عن يمين الشارع ويساره.

* (١) أقول: لأنهم ـ عافانا الله وإياهم ـ يملون منها، اللهم لا تشبع فروج المسلمين إلا من حلال.

وإنما «الصداقة» كلمة يطلقها هؤلاء الناس على تلك الفترات التي يلتقط فيها الأصدقاء أنفاسهم بعد انجراف طويل في أدغال الحيوانية والإباحية المطلقة.

إنها لحقيقة ثابتة يعرفها «الأصدقاء» قبل أن يعرفها الآخرون!

والكبت... أيهما يورث الكبت؟ أن يخرج الشاب إلى شأنه من وظيفة أو عمل أو دراسة، فلا تقع عينه على ما يثير شيئًا من كوامن غريزته، فيعود إلى بيته، هادئ النفس، مستريح البال، نشط الفكر، أم أن يخرج من بيته فتستقبله مغريات الجنس من كل جانب وصوب، وبكل أسلوب وفن، فتهتاج نفسه وتثور غرائزه، حتى إذا دنا ليمتع نفسه اصطدم بحواجز القانون، ورقابة البوليس، وشهامة الزوج أو القريب[1]؟

٣- ويقولون لك: إن حجاب المرأة عائق عن مشاركتها الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية، وإنما أولى الخطوات إلى أي نشاط فكري أو اجتماعي، أن تسفر الفتاة عن وجهها، وتحطم ما بينها وبين الرجل من حواجز واعتبارات.

كما أن أول السبيل للقضاء على ملكتها واستعداداتها الفكرية والاجتماعية المختلفة، أن تحبس نفسها في قفص هذا الحجاب، وتضع بينها وبين الرجل حاجزًا مما تسميه الستر والآداب!

وما يتحدث أحدهم عن جهل المرأة، وتخلفها، إلا يجعل من صورة المرأة المتحجبة مظهرًا لذلك.

وما يتحدث عن ثقافة المرأة، وتقدمها، ونشاطها الفكري والاجتماعي إلا ويجعل من صورة المرأة العارية أو السافرة مظهرًا لذلك.

وأقول لك: إنني أجزم بأن هذا التلازم المختلق، إن هو إلا بهتان كبير لا أساس له ولا دليل عليه... وإن كل مطلع على التاريخ، يعلم أن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء المسلمات اللاتي جمعن بين الإسلام أدبًا واحتشامًا وسترًا، وعلمًا وثقافة وفكرًا، وذلك بدءًا من عصر الصحابة فما دون ذلك، إلى عصرنا الذي نعيش فيه.

٤- ويقولون لك: إن الفتاة التي تحبس نفسها عن الناس من وراء الحجاب، إنما تحرم بذلك شبابها بل حياتها من سعادة الزواج، فالشاب إنما يقبل على الفتاة التي يعجب بها، وإنما يعجبه منها - قبل كل شيء - جمالها، وما يتصل به من مظاهر شخصيتها، وأنى له أن يطمئن إلى ذلك منها إذا لم يتهيأ له أن يراها وأن يخلط نفسه بطرف من شأنها وطباعها؟... وكيف يتهيأ له ذلك إذا كانت تأبى إلا أن تحبس نفسها وراء سور البرقع والحجاب؟

تلك هي حجة الأمهات لبناتهن، تحسب الواحدة منهن أنها تجلب الخير بذلك لابنتها، وتقرب السبيل لها إلى اختيار فتى أحلامها، ويزيد في ذلك اندفاعًا إغراءات جنود الشيطان من حولها، يستغلون لديها هذه الرغبة فيزيدون من مخاوفها إن تزيت ابنتها بلباس الإسلام، ويدعمون آمالها إن هي تحررت منه وانساحت بين صفوف الشباب، تعرض من زينتها عليهم، وتخلط نفسها بهم...

وأقول لك: إنها لخدعة باطلة توحي بعكس الواقع والحقيقة... خدعة يصوغها دعاة الباطل على علم وتنطلي على أفكار الفتيات وأمهاتهن جهلاً وخداعًا.

ولو تأملت الواقع الذي نعيش فيه، لرأيت نسبة الإقبال على الأسر والفتيات المحافظات للزواج منهن أكثر بما يقارب الضعف، من الإقبال على الأسر المتحررة اللاتي يطبقن الوصفة الخادعة التي اغتررن بها، بل أن الزواج - عمومًا - يشيع بين الأسر المحافظة المتدينة أكثر مما يشيع بين الأسر الأخرى، بنسبة تزيد على الضعف، يعلم

---

(١) إن أكثر هذه الحواجز، حاجز الخوف من الله (تعالى)، وفي تفسير ابن كثير: عن مجاهد قال: كُتب إلى عمر، يا أمير المؤمنين: رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ويعمل بها فكتب عمر (رضي الله عنه): إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣] مختصر ابن كثير جـ٣ صـ ٣٥٩.

تفصيل ذلك كل من يرجع إلى الإحصائيات المفصلة في هذا الشأن.

ولأوضح لك الأسباب القريبة والبعيدة لهذا الشأن، حتى تزدادي يقينًا بحكمة الخالق (جل جلاله)، وبأن الإنسان لن يجد مصلحته مكلوءة بعناية وحفظ إلا في تطبيق شرع الله (عز وجل):

إن الشباب في مجتمعنا لا يعدو أن ينتمي إلى أحد صنفين:

الصنف الأول: متدين في الجملة، فهو متقيد بآداب الإسلام ومعظم أحكامه ولا سيما الاجتماعية منها والبارزة، فالشاب من هذا الصنف لا بد أن يتزوج فيما بين العشرين و الثلاثين من عمره، ولا يستثنى من ذلك إلا أصحاب الظروف الاستثنائية الخاصة، والزواج في اعتبار مثل هذا الشاب بمثابة ساعة الإفطار للصائم، فيحشد له جميع آماله الدنيوية في الحياة، ويجعل منه ركيزة سعادته كلها.

والشاب من هذا الصنف يبحث عن الفتاة كما يحبها، ولكن ضمن دائرة الستر والصيانة التي آمن بها ونشأ في داخلها، وحتى لو بعدت به الظروف عن هذه الدائرة في بعض الأحيان لأسباب مما قد يمتحن به الشاب، فإنه لا يطمئن للفتاة التي ستصبح أمًا لأولاده إلا إذا رأى طابع الدين والستر جليًا وأصيلاً في حياتها.

وهذا الشاب لن يصطدم بمشكلة الجهل أو عدم الاطمئنان إلى خلقها، فإن شريعة الله (عز وجل) قد حلت له المشكلة عندما شرعت له، بل أمرته أمر إرشاد وندب أن ينظر إليها ويكلمها[1]، حتى إذا شعر من نفسه أنه لم ينل حظًا كافيًا في المرة الأولى لمعرفتها، وتبين ما ينبغي أن يطمئن إليه منها، كان له أن يعاود النظر ثانية وثالثة.

الصنف الثاني: متفلت عن سلطان الدين وأحكامه، فهو لا يبالي أن يمتع نفسه بحظوظها كلما تسنى له ذلك، لا فرق بين أن ينالها من حل أو حرام، فالشاب من هذا الصنف إن تزوج فهو إنما يدخر زواجه إلى أواسط عهد الكهولة أو آخرها، ولن تجد واحدًا من هؤلاء تزوج قبل سن الخامسة والثلاثين، إلا أن يكون ذلك لظروف استثنائية نادرة.

والزواج في اعتبار مثل هذا الإنسان، كرجوع السائح إلى داره بعد نزهة استنفذت المتعة فيها كل نشاطه وطاقاته، حتى إذا أدركه الملل والجهد، عاد إلى داره يبغي فيها الراحة والهدوء... فهو - وقد نال من صنوف اللذات مغنمًا بدون مغرم - إنما يريد من الزوجة الآن أن تعينه على راحة ينشدها أو قرار يتطلبه، أكثر من أن يريد بالزواج متعة يشترك مع الزوجة فيها وسعادة يلتقي مع الزوجة على ارتشافها.

وما أكثر ما تظاهر بالرغبة في الزواج من قبل، فانجذبت الفتيات إليه من هنا وهناك، كل تعرض له ما عندها من زينة ورقة وجمال على مذهب هؤلاء المخدوعات اللائي يحسبن أن الفتاة لا يمكن أن تعثر على الزوج الذي تبغيه إلا في الشارع الذي تتعرى فيه، فتذوق من هذه وتلك وتيك.

ونال ما يبغيه منهن - كما قلنا - غنيمة بدون مغرم، إذ تنتهي بكل منهن خليلة اليوم، ثم نبذها وراء ظهره خليلة الغد.

وبين الرجل والمرأة فارق في التسابق إلى حظوظ النفس - قلمًا يتبينه الناس - تكون المرأة هي الخاسرة فيه دائمًا، إذ المرأة مهما تحللت من قيود الدين والآداب، فإنها لا تصل إلى قمة سعادتها إلا في ظلال بيت تصبح أمًا سعيدة فيه، والرجل مهما كان شأنه، إنما تهفو نفسه إلى نعيم تصفو فيه لذاته عن كدور الغرامة أو المسئولية أو الجهد، ولا يفطم نفسه عن التعليق بذلك إلا دين يتحكم بمجامع قلبه، فإذا فقد الدين فإن الرجل والمرأة يلتقيان على مائدة تكون المرأة دائمًا هي الطرف المغلوب فيها.

وحصيلة هذا الكلام كله، واقع مشاهد ملموس لا يحتاج لرؤيته إلا إلى تأمل وانتباه، وهو أن نسبة الذين

* (١) هذا كله مع مراعاة أحكام الخطبة، خاصة وجود المحرم.

يقبلون على الزواج من الشبان المتدينين تزيد على ضعف نسبة من يقبلون عليه من المتحللين أو المتحررين، والمتدينون لا يتزوجون إلا في الحجر الصالح، ولا يتعلقون إلا بجمال زانه خلق وستر ودين، ونتيجة لذلك فإن العنوسة لا تشيع - في أعم الأحوال - إلا في الأسر التي شاءت أن تتفلت عن منهج الدين وحكمه وتربيته.

يا أختي المؤمنة، إن فيما أوضحته لك ما يكفي لإقناعك - بالمنطق السليم الذي لا التواء فيه - بأن اتباع شريعة الله (تعالى) لا يضمن لك بلوغ مرضاة الله فحسب، بل هو يضمن لك إلى جانب ذلك تحقيق أسباب سعادتك الدنيوية كلها، والسعادة ليست في تحقيق الخيال الذي تتصورين، وإنما هي في الواقع الذي يورثك الطمأنينة ويشيع في حياتك الارتياح والرضا.

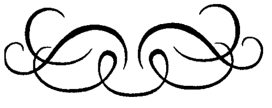
أما وقد تبين لك كل ذلك، فقد آن لك أن تنهضي لاستجابة حكم مولاك العظيم وأن تصطلحي مع الله (عز وجل) بعد طول نسيان وتنكر له، فتتخذي من صراطه سبيلاً إليه، ومن حبه شفيعًا بين يديه... ودعي انتقاد الناس وحسابهم، فإن حساب الله غدًا أشد وأعظم.

ترفعي عن السعي إلى مرضاتهم وتحقيق أهوائهم، فإن التسامي إلى مرضاة الله أسعد لك وأسلم، ولسوف تجدين - وأنت تعزمين على الرجوع إلى صراط الله - من يحاول أن يرهق مشاعرك تخديرًا تحت وطأة هذه «التقاليع» التي أحاطت بك كما تحيط خيوط العنكبوت بضحيتها الحبيسة، وأن يذكرك بفلانة التي كانت تبرز مفاتنها أمام الرجال، وفلانة التي كان لها «صالونها» الأدبي البارز بين الناس.

وأما أنا[1] فأذكرك بالحكم الإلهي الواضح، الذي نقلته لك بأمانة، وبهذا الحديث الثابت عن رسول الله (ﷺ) إذ يقول: «**صنفان من أمتي لم أرهما قط: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة** - أي كسنام الجمل - **لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**». رواه مسلم والإمام أحمد. ولسوف تجدين أيضًا من يذكرك بجمال هذه الدنيا ومغريات الارتواء من لذائذها وزينتها! ولكني أذكرك بخطورة عقباها، وجسامة ما ينتظرك من آثارها ونتائجها...

أذكرك بيوم الدين، إن كنت قد آمنت بوجوده...

أذكرك باليوم الذي يصدق فيه قول الله (تعالى) وهو يخاطب طائفة كبيرة من الناس: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾ [الأحقاف: ٢٠] أذكرك بذلك كله، فإن ذلك أدعى إلى أن تتسلمي لنفسك سعادة الدنيا والآخرة معًا[2] انتهى كلام فضيلة الشيخ البوطي.



* (١) مازال الكلام لفضيلة الشيخ البوطي أثابه الله (تعالى).
* (٢) كتاب «إلى كل فتاة تؤمن بالله» للشيخ البوطي صـ ٨١ - ٩٥.

رابعًا ـ وا رباه يا أختاه

١- من يعيب عليك أن تتحجبين من أجل الزواج، كمن يعيب عليك أنك تجمعين المال من أجل الحج مع محرم.

٢- لا تظني أن التبرج سبيل إلى الزواج، فإن ما عند الله (تعالى) لا يُنال إلا بطاعته.

٣- بقدر ما تبتعدين عن مخالطة الرجال[١] ومزمار الشيطان[٢] بقدر ما تقتربين من الله وفرَج الرحمن.

تنبيه:

من النادر أن توجد امرأة مؤمنة ترتدي زي الإسلام قد جاوزت سن الخامسة والعشرين دون زواج، وأكرر ما قلته في المقدمة: إن المسألة ليست مسألة إقناع بقدر ما هي مسألة إيمان وامتثال، فالأمر إذن، أمر إيمان بالغيب قبل الصلاة والزكاة والحجاب فإن الله (تعالى) يقول في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، فكلما زاد الإيمان زاد الامتثال، وكلما ضعف الإيمان ضعف الامتثال، وأيضًا كلما زاد الامتثال زاد الإيمان، وكلما ضعف الامتثال ضعف الإيمان، وما وصل أبو بكر الصديق إلى ما هو عليه، وحب الله ورسوله (ﷺ) له إلا بقوة الإيمان والامتثال، انظر إلى كلامه المأثور عندما أخبر بإسراء الرسول (ﷺ): «**إن كان قد قال فقد صدق**».

خامسًا ـ كلمة أخيرة للشيخ البوطي

كلمة أخيرة، يجب أن أتجه بها إلى اللواتي استيقنت أفئدتهن الحق الذي بينته، غير أن الواحدة منهن تشعر ببعد النقلة بين الواقع الذي تعيش فيه والحق الذي آمنت به، فتركن آسفة إلى الوضع الذي تعيش فيه، وتعتذر إلى الله أو إلى الناس، بأنها عاجزة عن مثل هذا القفز البعيد.

وهكذا، فإن في الناس طائفة كبيرة من المنحرفين والمنحرفات، لا يمسكهم على انحرافهم ويمنعهم من السعي إلى إصلاح حالهم إلا ما يرونه من بعد الفجوة وعمقها بين الكمال الذي يسمعون عنه والواقع الذي يعيشون فيه، ولكن هذا التصور خاطئ... فإن الفاصل الذي بين الحق والباطل، إنما يتمثل في الفرق بين أدنى طرف من الباطل وأول درجة من درجات الحق، وفرق ما بينهما لفتة صغيرة وحركة بسيطة.

إن الحق الذي أوضحناه في الصفحات الماضية، ليس نهاية مستقلة تقبع في قمة السمو والكمال، ولكنه سلم ذو درجات متقاربة، تبدأ أولاها عند طرف الباطل الذي تعيشين فيه، وتقف الأخيرة عند نهاية الكمال الذي يشدك إليه تشريع الله وحكمه، وإنما المطلوب منك بعد أن تنبهت إلى الحق ـ وآمنت به ـ أن تتحركي صاعدة في درجاته، لا أن تقفزي قفزة واحدة إلى نهايته...

إذا كنت لا تملكين من الطاقة والإرادة أو الظروف المساعدة ما تفرضين به على نفسك حجابًا سابغًا

---

* (١) مع مراعاة أحكام المحارم.
* (٢) «مزمار الشيطان»: اسم من أسماء الغناء كما سيأتي بإذن الله.

للجسم والوجه، فلتفرضي على نفسك ما دون ذلك مما تساعدك عليه الظروف والأحوال، وإذا كنت لا تجدين طاقة كافية لتغيير أي شيء من لباسك وهيئتك، مهما كانت منحرفة وبعيدة عن الله (عز وجل)، فلتفرضي على نفسك ما دون ذلك أيضًا، من أداء العبادات المفروضة، وتلاوة شيء من كتاب الله بتدبر خلال كل صباح ومساء، وإذا كنت عاجزة عن الارتباط حتى بهذا القدر في سبيل الإصلاح فلتفرضي على نفسك ما دون ذلك من استشعار خطورة الحال التي أنت فيها والالتجاء إلى الله (تعالى) بقلب صادق واجف، تسألينه العون والقوة، فإن صدق الالتجاء إلى الله ينبوع النصر والتوفيق... وما سار إنسان إلى الحق بادئًا بخطوة من هذه الخطا متجهًا إلى الله بصدق وعزم، إلا وفقه الله (تعالى) في السير إلى نهاية الطريق والوصول إلى مجامع ذلك الحق.

وإنما المصيبة كل المصيبة أن تعلمي الحق، وتؤمني به، ثم لا تتجهي إليه بخطوة ولا بعزم، كأن الأمر ليس مما يعنيك في شيء، أو كأن الذي شرع هذا الحق وأمر به لن تطولك يده، ولن يبلغ إليك بطشه وسلطانه، أو كأن الآخرة وما فيها أهون من أن يتخلى الإنسان في سبيلها عن شيء من أمانيه وأهوائه.

مثل هذا الحال، يعتبر أعظم سبب لاستمطار غضب الله (تعالى) والتعجيل بعقوبته، وعقوبة الدنيا هنا لا تتمثل في بلاء عاجل يحيق بالإنسان، وإنما تتمثل في انغلاق العقل وقسوة القلب، فلا يؤثر في أحدهما تذكير ولا تخويف، ولا تنبيه، مهما كانت الأدلة واضحة والنذر قريبة، حتى إذا جاءه الموت تخطَّفه وهو على هذا الحال، فينقلب إلى الله (تعالى)، وقد تحول انغلاق عقله وقسوة قلبه، إلى ندم يحرق الكبد في وقت لا ينفع فيه الندم ولا رجوع فيه إلى الوراء.

وقد عبر الله (تعالى) عن هذه العقوبة وسببها بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، [الكهف: ٥٧]. فإذا كنت تؤمنين بالله فلا ريب أنك تؤمنين بشريعته، وباليوم الآخر الذي هو يوم الحساب والجزاء.

وإن من مستلزمات هذا الإيمان، أن تضعي الكلام الذي سردته عليك في هذه الرسالة موضع الجد والاهتمام من تفكيرك، حتى إذا أيقنت أنني لم أخدعك بباطل من القول، ولم أضع بين يديك إلا الحقيقة الصافية التي يتمثل فيها حكم الله (عز وجل) كان عليك أن تنهضي إلى تطبيق هذا الحكم بالسير في مراحله المتدرجة، فإن رأيت أن حبال الدنيا وأهواءها، وتقاليد الصديقات والقريبات، تشدك إلى الخلف وتصدك عن النهوض بأمر الله فلا أقل من أن تفيض الحسرة في قلبك من ذلك فيسوقك الألم إلى باب الله (تعالى) وأعتاب رحمته، لتعرضي له ضعفك وتجأري إليه بالشكوى، أن يهبك من لدنه قوة وتوفيقًا، وأن يمنحك العون لتتحرري عن سلطان نفسك وسلطان التقاليد والعادات، وسلطان الأقارب والصديقات.

أما إن لم ينهض بك الإيمان إلى هذا ولا إلى ذلك، ولم يتحرك القلب الذي وراء ضلوعك بأي تأثر واهتمام لكل هذا الذي حدثتك به فلتكوني في شك من إيمانك بوجود الله (تعالى)، ولتعلمي أنك تسيرين - إن استمر بك الحال - إلى نهاية رهيبة وليس منها مخلص ولا مفر، ولتعلمي أن سكر الدنيا

مهما كان لذيذًا فيوشك أن تفجأك منها ساعة صحو وانتباه وإنها ـ والله ـ لقريبة منك.

ولتعلمي أن مـذاقها مهمـا كان طيبًا فـإن في نهايتها غصـة ستأخذ منك بالحق وإنهـا والله لمقبلة إليك... ثم اعلمي أنه ما من شاب يبتلى منك اليوم بفتنة تغريه أو تشغل له باله، وكان بوسعك أن تجعليه في مأمن منها إلا أعقبك منها غدًا نكال من الله عظيم.

فاذكري في آخر هذه الرسالة ما قد نبهت إليه في أولها، من أن المرأة في حياة الرجل أخطر ابتلاء دنيوي له على الإطلاق، فاجـعلي من تقوى الله (تعالى) في سلوكك عونًا للرجل على السـعي في سبيل مرضاة الله، ولا تجعلي من الإمعان في معصية الله عونًا له على السير في طريق الشيطان.

والله المستعان في الهداية والتوفيق...[1] انتهى كلام فضيلة الشيخ البوطي أكرمه الله (تعالى).

تنبيه وكلمة:

الكلام عن شروط الحـجاب، وحكم تغطية الوجه، سـيأتي بإذن الله (تعالى) في فصل مـستقل، ولقـد شاء الله (تعـالى)، أن أطلق على هذا الجـزء الخاص بالمرأة «توبـة المرأة» لأن توبة المرأة لا تتحـقق بالصلاة والـزكاة والصيـام فحسـب، وإنما مع ذلك كله بالالتزام بالحـجاب الشرعي الـذي أمرها الله به، فظاهر المرأة بالنسبة للتوبة جزء من باطنها، فكأن النقاط السابقـة التي تتحدث عن التوبة تشترك فيها المرأة مع الرجل، أمـا النقطة الأخيـرة فهي نقطة خـاصة بالمرأة، ويمكنني بعـد ذلك كله أن أقول وبـفضل الله (تعالى): أن توبة المرأة الظاهرة لا تقل أهمية عن توبتها الباطنة، فالتوبة الباطنة علاقة بينها وبين ربها، أما التوبة الظاهرة فعلاقة بينـها وبين ربها من ناحية، وعلاقة بينها وبين العبـاد من ناحية أخرى، وذلك لأنها بتبرجها فتنة للمسلمين، فـتعدى ذنبها من نفسها إلى العباد، فهي بذلك ظالمة لنفسـها من ناحية، عاصية لربها من ناحية ثانية، وظالمة للعباد من ناحية ثالثة.. إن خروج المرأة من بيتها بدون حجاب يعني أن هناك عدادًا من السيئات كـعداد الكهرباء لا يتوقف، إلا بدخولها في بيتهـا أو في مكان شرعي تتوارى فيه عن أعين العباد... فيا أَمَـةَ الجبَّار، أفيقي من غفلتك، وسارعي إلى مغفرة من ربك وجنة عـرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، واقتحمي حصن الشيطان الرجيم، وانسفيه بالذكر الحكيم، وارتدي حجاب رب العالمين من قـبل أن يأتي.. ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾، [الشـعراء: ٨٨، ٨٩].



---

* (١) كتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله: صـ ٦٩ ـ ١٠١.

الباب الثاني
الدنيا

أولاً ـ قال الله (تعالى): ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، [التكاثر: ١ ـ ٨].

جاء في مختصر ابن كثير ما مختصره:

يقول (تعالى): أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت، وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها. عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله (ﷺ): ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ عن الطاعة ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى يأتيكم الموت[١]. وقال الحسن البصري: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ في الأموال والأولاد، وعن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يعني: «**لو كان لابن آدم واد من ذهب**»[٢]. وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله (ﷺ) وهو يقول: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ **يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[٣]. وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يقول العبد: مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**»[٤].

وروى البخاري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[٥].

وعن أنس أن النبي (ﷺ) قال: «**يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل**»[٦].

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس أنه رأى في يد رجل درهمًا فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر، أو ابتغاء شكر ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري في الرقاق.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي.

(٤) تفرد به مسلم.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

* (٦) أخرجاه في الصحيحين.

وقوله (تعالى): ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد، وقال الضحاك: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني أيها الكفار: ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني أيها المؤمنون. وقوله (تعالى): ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي لوعلمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة، خر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك.

وقوله (تعالى): ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته[1]. انتهى.

ثانيًا: قال الله (تعالى): ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، [طه: ١٣١، ١٣٢].

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى):

يقول (تعالى) لنبيه محمد (ﷺ): لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد: ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: الأغنياء، فقد آتاك خيرًا مما آتاهم، ولهذا قال: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾، وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله (ﷺ) في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن، فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير، وليس في البيت إلا صبرة من قرظ[2] واهية معلقة، فابتدرت عينا عمر بالبكاء، فقال له رسول الله (ﷺ): **«ما يبكيك يا عمر؟»**، فقال: يا رسول الله (ﷺ) إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه! فقال: **«أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا»**، فكان (ﷺ) أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد. عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله (ﷺ) قال: **«إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا»**، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: **«بركات الأرض»**[3]، وقال قتادة والسدي: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: زينة الحياة الدنيا، وقال قتادة: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبتليهم، وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها، كما قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، [التحريم: ٦]. وقوله: ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال (تعالى): ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل

---

* (١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني جـ ٣ صـ ٦٧١ - ٦٧٣.

(٢) صبرة: مجموعة، قرظ: ورق السلم، وهو شجر شائك يستعمل ورقه في دبغ الجلود.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾،[الطلاق: ٢، ٣]. ولهذا قال: ﴿ لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ وقـال الثوري: لا نسـألك رزقا: أي لا نكلفك الطلـب، وقال ابن أبي حـاتم عن ثابت قال: كـان النبي (ﷺ) إذا أصابه خصاصة نادى أهله: «**يا أهلاه صلوا، صلوا**»، قال ثابت: وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعـوا إلى الصلاة ، وقـال رسول الله (ﷺ): «**يقول الله (تعـالى): يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أمـلأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك**»[١]. وعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يـقول: «**من كانت الدنيا همـه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقـره بين عينيه، ولم يأته من الدنيـا إلا مـاكـتب له، ومن كـانت الآخـرة نيتـه جـمع له أمـره، وجـعل غناه في قلبـه وأتتـه الدنيـا وهي راغمة**»[٢]، وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[طه: ١٣٢] أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة؛ وهي الجنة لمن اتقى الله[٣] . . انتهى.

ثالثًا: يقول رسول الله (ﷺ): «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله (تعالى) جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»، [رواه الترمذي وصححه الألباني].



(١) الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) حديث صحيح: رواه ابن ماجه والترمذي وابن حبان (انظر صحيح الجامع) للألباني أثابه الله.

(٣) راجع مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٤٩٩.

الباب الثالث

الموت

قال (تعالى): ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، [الرحمن: ٢٦ ، ٢٧].

جاء في مختصر منهاج القاصدين ما مختصره:

اعلم[1] أن المنهمك في الدنيا المكب في غرورها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه ...

وعلى كل حال، ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك في الدنيا قد يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا، لأن ذكره ينغص عليه نعيمه ويكدره.

فضل ذكر الموت:

قال الله (تعالى): ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، [آل عمران: ١٨٥].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات، الموت**»، [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

واعلم: أن خطر الموت عظيم، وإنما غفل الناس عنه لقلة فكرهم وذكرهم له، ومن يذكره منهم إنما يذكره بقلب غافل، فلهذا لا ينجع فيه ذكر الموت، والطريق في ذلك أن يفرغ العبد قلبه لذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا في ذلك، وأنفع طريق في ذلك ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيذكر موتهم ومصارعهم تحت الثرى.

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): «السعيد من وعظ بغيره» وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه): «إذا ذكر الموتى فعد نفسك كأحدهم».

وينبغي أن يكثر دخول المقابر ومتى سكنت نفسه إلى شيء في الدنيا فليتفكر في الحال أنه لا بد من مفارقته، ويقصر أمله.

وقد روي عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: أخذ رسول الله (ﷺ) بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

وعن أبي زكريا التيمي قال: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقوش،

* (١) مختصر منهاج القاصدين: صـ ٣٨٢ ـ ٣٨٩.

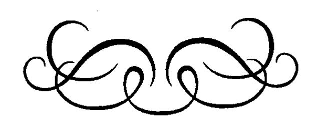
فطلب من يقرؤه، فإذا فيه: ابـن آدم! لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عـملك، ولقصـرت من حرصك وحـيلك، وإنما يلقـاك ندمك لو قد زلت بك قـدمك، وأسلمك أهلك وحشمـك، فبان منك الولد والنسب، فلا أنت إلى دنياك عـائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة.

واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان: أحدهما: حب الدنيا، والثاني: الجهل.

أما حب الدنيا: فإن الإنسان إذا آنس بها وبشـهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مـفارقتها، فامتنع قلبـه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتهـا، وكل من كره شيئًا دفعه عـن نفسه، والإنسان مشغول بالأمـاني الباطلة، فيمني نفسه أبدًا بما يـوافق مراده من البقاء في الدنيا، وما يحـتاج إليه من مال وأهل ومسكن وأصدقاء وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفًا على هذا الفكر، في لهو عن ذكر الموت، ولا يقدِّر قـربه، فإن خطر له الموت في بعض الأحـوال والحاجة إلى الاسـتعداد له، سـوَّف بذلك ووعد نفسـه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبـر ثم تتوب، وإذا كبـر قال: إلى أن يصيـر شيخًـا، وإن صار شيخًا، قـال: إلى أن يفرغ من بناء هذه الدار، وعمارة هذه الضيعـة، أو يرجع من هذه السفرة، فلا يزال يسوِّف ويؤخر ولا يحرص في إتمام شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال، وهكذا على التدريج يؤخر يومًا بعـد يوم، ويشتغل بشغل بعد شغل، إلى أن تـختطفه المنية في وقت لا يحتسـبه، فتطول عند ذلك حسرته.

وأكثر صيـاح أهل النار من «سوف» يقولون: وا حسرتاه! من «سـوف»، وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها، والغفلة عن قول النبي (ﷺ): **«أحبب ما شئت فإنك مفارقه»**.

السبب الثاني: الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه، ويستـبعد قرب الموت مع الشباب، أوليس يفكر المسكين في أن مشـايخ بلده لو عدوا كانوا أقل من العشر؟ وإنمـا قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، وإلى أن يموت شيخ قد يموت ألف صبي وشاب، وقد يغتر بصحته، ولا يدري أن الموت يأتي فجأة وإن استبعد ذلك، فإن المرض يأتي فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدًا، ولو تفكر وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص، من صـيف وشتاء، وربيع وخريف وليل ونهار، ولا هو مقيـد بسن مخصوص، من شاب وشيخ أو كهل أو غيره، لعظم ذلك عنده واستعد للموت.



فصل: في تفاوت الناس في طول الأمل

والناس متفاوتون في طول الأمل تفاوتًا كثيرًا، منهم من يأمل البقاء إلى زمان الهرم، ومنهم من لا ينقطع أمله بحال، ومنهم من هو قصير الأمل، فروي عن أبي عثمان النهدي أنه قال: بلغت ثلاثين ومائة سنة، وما من شيء إلا قد عرفت فيه النقصان إلا أملي فإنه كما هو.

وحُكي في قصر الأمل: أن امرأة حبيب أبي محمد قالت: كان يقول لي - يعني أبا محمد: إن مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا، واصنعي كذا وكذا، فقيل لها: أرأى رؤيا؟ قالت: هكذا يقول كل يوم.

وعن محمد بن أبي توبة قال: أقام معروف الصلاة ثم قال لي: تقدم، فقلت: إني لو صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها، فقال معروف: أنت تحدث نفسك أنك تصلي صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل.

فهذه أحوال الزهاد في قصر الأمل وكلما قصر الأمل جاد العمل لأنه يقدر أن يموت اليوم، فيستعد استعداد ميت، فإذا أمسى شكر الله (تعالى) على السلامة، وقدر أنه يموت تلك الليلة فيبادر إلى العمل.

وقد ورد الشرع بالحث على العمل والمبادرة إليه، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: قال رسول الله (ﷺ): **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»**.

وعنه: أن رسول الله (ﷺ) قال لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**.

وقال عمر (رضي الله عنه): التؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة. وكان الحسن يقول: عجبًا لقوم أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، حبس أولهم على آخرهم وهم قعود يلعبون.

وقال سحيم مولى بني تميم: جلست إلى عبد الله بن عبد الله فأوجز في صلاته، ثم أقبل عليَّ وقال: أرحني بحاجتك فإني أبادر، فقلت: وما تبادر؟ قال: ملك الموت، وكان يصلي كل يوم ألف ركعة.

وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن، فكان ابن عمر يقوم في الليل فيتوضأ ويصلي ثم يغفي إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، ثم يغفي إغفاء الطير، ثم يقوم يصلي، يفعل ذلك مرارًا، وكان عمير بن هانئ يسبِّح كل يوم مائة تسبيحة، وقال أبو بكر بن عياش: ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.



ذكر شدة الموت

اعلم: أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كـرب ولا هول سوى الموت لكان جديرًا أن يتنغص عليه عـيشـه، ويتكدر عليه سـروره، وتطول فيه فكرتـه، والعجب أن الإنسان لو كـان في أعظم اللذات فانتظر أن يدخل عليه جندي يضـربه خمس ضربات لكدرت عليه عيـشه ولذته، وهو في كل نَفَس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو غافل عن ذكر ذلك، وليس لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

اعلم أن الموت أشد من السيف، وإنما يصيح المضروب ويستـغيث لبقاء قوته، وأما الميت عند موته فإنه ينقطع صوته من شدة ألمه، لأن الكرب قد بالغ فيه وغلب على قلبه وعلى كل موضع منه، وضعفت كل جارحة فـيه فلم يبق فيه قوة الاسـتعانة، ويود لو قدر على الاسـتراحة بالأنين والصياح والاسـتغاثة، وتجذب الروح من جميع العروق ويموت كـل عضو من أعضائه تدريجيًا فتبـرد أولاً قدماه، ثم ساقاه، ثم فخذاه حتى تبلغ الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره إلى الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة، قال رسول الله (ﷺ): «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»، [رواه أحمد].

❐ ● ❐

حسن الظن بالله (تعالى)

وفي الحديث الصحيح: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**».

وروي أن النبي (ﷺ) دخل على رجل - وهو يموت - فـقال: «**كـيف تجـدك؟**» قال: أرجـو الله وأخاف ذنوبي، فقال: «**ما اجتمعا في قلـب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو، وأمنه من الذي يخاف**»، والرجاء عند الموت أفضل لأن الخوف سوط يساق به، وعند الموت يقف البصر، فينبغي أن يتلطف به، ولأن الشيطان يأتي حـينئذ بسخط العبـد على الله فيما يجـري عليه ويخوفه فيـما بين يديه، فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان التيمي لابنه عند الموت: يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله (تعالى) وأنا أحسن الظن به. انتهى.

فائدة:

يكفي في ذكر الموت قول الله (تعـالى) لنبيه (ﷺ): ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾، [الزمر: ٣٠، ٣١].

ذكر ابن كثير (رحمه الله): وقد روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، أنه قال: «يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجـسد، فتقول الروح للجسد: أنت فعلت، ويقـول الجسد للروح: أنت أمرت، وأنت سولت، فيبعث الله ملكًا يفصل بينهما، فيقول لهـما: إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير، والآخر ضرير دخلا بسـتانًا، فقال المقعد لـلضرير: إني أرى ها هنا ثمارًا ولكن لا أصل إليها: فـقال له الضرير: اركبني فتناولها فركبه فتناولها، فأيهما المعتدي؟ فيقولان: كلاهما، فيقول لهما الملك: فإنكما قد حكمتما على أنفسكما - يعني أن الجسد للروح كالمطية وهي راكبة»[1].



* (١) قال الصابوني: رواه ابن منده في كتاب الروح ولم يشر له ابن كثير بضعف.

الباب الرابع

الصلاة

قال الله (تعالى): ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٣]، ومن أفضل ما جاء في فضل الصلاة والمحافظة عليها الأحاديث التالية:

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**». متفق عليه.

٢- عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي (ﷺ) فأخبره، فأنزل الله (تعالى): ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤]، فقال الرجل: ألي هذا؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**». متفق عليه.

والمعنى كما جاء في تفسير ابن كثير: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة، ومنه قوله (ﷺ): «**إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث**» جزء من حديث رواه أحمد.[1]

٣- عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله**». رواه مسلم.

٤- وعن جابر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». رواه مسلم.

٥- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب (عز وجل): انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل منها ما انتقص من الفريضة؟ ثم يكون سائر أعماله على هذا**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن[2].

٦- عن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ما من عبد مسلم يصلي لله (تعالى) كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة أو: إلا بني له بيت في الجنة**» رواه مسلم. وفي رواية الترمذي: ... «**أربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

---

* (١) ضعيف: (انظر ضعيف الجامع).

* (٢) هو في صحيح الجامع بلفظ «ثم يكون سائر عمله على ذلك» الترمذي، النسائي، هو عن أبي هريرة (صحيح).

٧- عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**». متفق عليه. الفذ: يعني الواحد.

٨- عن علي (رضي الله عنه) قال: الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ولكن سن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن**». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

أولاً - جاء في مختصر منهاج القاصدين ما مختصره:

واعلم: أن للصلاة أركانًا وواجبات وسننًا، وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب، فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة، لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال؛ لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم، ولم يكن القلب حاضرًا لم يحصل المقصود، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها، قال الله (تعالى): ﴿**لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ**﴾ [الحج: ٣٧]، والمقصود: أن الواصل إلى الله (سبحانه وتعالى) هو الوصف الذي استولى على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة، فلا بد من حضور القلب في الصلاة، ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ، لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها.

والمعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة:

المعنى الأول: حضور القلب - كما ذكرنا - ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له، وسبب ذلك الهمة، فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة، وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة فاعلم أن سببه ضعف الإيمان فاجتهد في تقويته.

والمعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام، فإنه أمر وراء حضور القلب، لأنه ربما كان القلب حاضرًا مع اللفظ دون المعنى، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تصرف الخواطر عنها.

المعنى الثالث: التعظيم لله والهيبة، وذلك يتولد من شيئين: معرفة جلال الله (تعالى) وعظمته، ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة، فيتولد من المعرفتين: الاستكانة، والخشوع.

ومن ذلك: الرجاء، فإنه زائد على الخوف، فكم من معظم ملكًا يهابه لخوف سطوته كما يرجو به.

والمصلي ينبغي أن يكون راجيًا بصلاته الثواب، كما يخاف من تقصيره العقاب، وينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة،

ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر، وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق، وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم، والحياء والخوف.

وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله (تعالى) فصرف قلبه إلى الله (تعالى) أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله (تعالى) إلا بالانصراف عما سواه.

وإذا كبرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبك لسانك، لأنه إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله (تعالى) فقد كذبت، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر، بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله (تعالى).

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي لجأ إلى الله (سبحانه)، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوًا، وتفهم معنى ما تتلو، وأحضر التفهم بقلبك عند قولك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، واستحضر لطفه عند قولك: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وعظمته عند قولك: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وكذلك في جميع ما تتلو.

وقد روينا عن زرارة بن أبي أوفى (رضي الله عنه) أنه قرأ في صلاته: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، فخر ميتا، وما ذلك إلا لأنه تصور تلك الحال فأثرت عنده التلف. واستشعر في ركوعك التواضع، وفي سجودك زيادة الذل، لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق.

واعلم: أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ، وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره وما يعقلها إلا العالمون، فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها، فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده. انتهى من مختصر منهاج القاصدين[1].

فائدة:

قال الإمام أحمد[2] في رواية مهنا بن يحيى: إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله (عز وجل) ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك.

ثانيًا - تساؤلات:

هناك تساؤلات بعضها يوحيها الشيطان إلى المسلم حتى يصده عن ذكر الله وعن الصلاة، كما قال الله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

* (١) مختصر منهاج القاصدين ٢٩، ٣٢.
* (٢) راجع كتاب «الصلاة» لابن القيم رحمه الله ص٩٥ لذا قال العلماء العاملون: إن من بركة العلم أن ينسب لقائله.

الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]

فما هي هذه التساؤلات؟

س١: قد يقول قائل: طالما أن القلب سليم فغير مهم الصلاة، المهم القلب، ثم يشير بيده إلى قلبه ويقول: التقوى ها هنا، وقد يحتج أيضًا ويقول: يا أخي إنما الأعمال بالنيات؟

وفي الواقع أن هذا غير صحيح لعدة أوجه:

١- أن الله (تعالى) يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧] وهذا دليل على أن الإيمان قول وعمل.

٢- أن النبي (ﷺ) الذي قال: «**إن التقوى ها هنا**»، هو نفس النبي الذي أمرك بالصلاة.

٣- أن الذي يتأمل قول النبي (ﷺ) في الصحيح: «**إنما الأعمال بالنيات**»، يتضح له من منطوق الحديث أن هناك عملاً ونية فلا يقبل أي عمل إلا بشرطين:

الأول: أن يكون هذا العمل في ظاهره على موافقة السنة، كصلاة الظهر مثلاً يجب أن تكون أربعة ركعات لا أكثر ولا أقل.

الثاني: أن يكون هذا العمل في باطنه يقصد به وجه الله (عز وجل)، أن تكون الصلاة ـ في مثالنا السابق ـ خالصة لوجه الله (تعالى) لا بقصد الرياء.

قال الفضيل في قوله (تعالى): ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[هود: ٧] قال: أخلصه، وأصوبه وقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، وقال: والخالص إذا كان لله (عز وجل)، والصواب إذا كان على السنة.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

إذن هل يستطيع الإنسان الذي لا يصلي أن يقول: إنما الأكل بالنيات ولا يأكل؟ كقوله: إنما الأعمال بالنيات ولا يصلي؟!

❑ ● ❑

فائدة:

روي عن ابن مسعود قال: لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول ولا عمل إلا بنية ولا ينفع قول ولا عمل ولا نية إلا بما وافق السنة.

س٢: قد يقول قائل: يا أخي العمل عبادة؟

والواقع أن الإنسان لا يثاب على أي عمل إلا بعد الصلاة، حتى ولو بنى مسجدًا في كل مكان، وأعطى كل مسلم آلاف الدنانير، فلا يثاب على ذلك إلا بعد الصلاة، لحديث النبي (ﷺ) عن أبي هريرة

(ﷺ) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر**». الحديث أخرجه الترمذي

واعلم أن المسلم يثاب بعد صلاته على كل شيء يريد به وجه الله (تعالى) حتى جماع زوجته، لقول النبي (ﷺ) في الحديث الذي رواه مسلم: «... **وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إن وضعها في الحلال كان له أجر**».

وقد يؤذن المؤذن وتقول للرجل: حي على الصلاة فيقول لك كما قال أولاً: العمل عبادة، ثم يأتي بعد ذلك ويقول ـ عن غير علم: إن رسول الله (ﷺ) دخل المسجد فوجد رجلاً جالسًا فقال له: «**من الذي يصرف عليك؟**» قال: أخي، فقال: «**أخوك أفضل منك**».

والواقع أن هذا الحديث موضوع، فالرسول (ﷺ) بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب، بل قد جاء في باب «اليقين والتوكل» في «رياض الصالحين» ما رواه الترمذي بإسناد صحيح على شرط مسلم وصححه الأرناؤوط، عن أنس قال: كان أخوان على عهد رسول الله (ﷺ)، وكان أحدهما يأتي النبي (ﷺ) والآخر يحترف «أي يكتسب ويتسبب» فشكا المحترف أخاه للنبي (ﷺ) فقال: «**لعلك ترزق به**».

فيا عبد الله: لا تتأخر لحظة عن الصلاة، فهذه الدنيا زائلة، والإنسان غني بالطاعة، فقير بالمعصية، وكما يقولون: ما افتقد شيئًا من وجد الله وما وجد شيئًا من افتقد الله، فلو أن الإنسان مع الله، فهو أغنى الناس، وإن كان لا يملك إلا الخبز، ولو أنه بعيد عن الله وحيزت له الدنيا بأكملها، فهو أفقر الناس... يا عبد الله تذكر نداء القبر لك: يا ابن آدم أنا بيت الوحشة، أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الانفراد، أنا الذي من دخلني طائعًا كنت اليوم عليه رحمة، أنا الذي من دخلني عاصيًا كنت اليوم عليه نقمة.

فإذا كنت يا أخي ممن لم يسبق لهم الصلاة، فاستبق الخيرات واسجد لرب الأرض والسموات، ويمكنك أن تصلي بالفاتحة فقط إذا لم تكن حافظًا لآيات أخرى من القرآن، وفي البداية لا يشترط أن تكون حافظًا للتشهد «أي التحيات» ويمكنك أن تصلي الفرض وبعد فترة تصلي السنن.

وإذا كنت لا تتذكر عدد ركعات الصلاة في كل فرض، فالمسألة بسيطة، هي أن تتذكر ما يلي: قبل أن تطلع الشمس ركعتان «صلاة الصبح» وعندما تغيب الشمس ثلاث ركعات «صلاة المغرب» وباقي الأوقات الظهر والعصر والعشاء كل فرض منها أربع ركعات.

س٣: قد يقول قائل: إن فلانا رجل يصلي ولكن معاملته غير طيبة؟

والواقع أنه ليس هناك أحد يعتبر حجة على الإسلام إلا رسول الله (ﷺ) لأن الله (تعالى) يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] أضف إلى ذلك، أن هذا الشخص يسيء بمعاملته غير الطيبة إلى الإسلام، فأنت تصلي وتعامل الناس معاملة حسنة حتى تحسن تلك السمعة، أضف إلى ذلك، أن هذا الرجل صلاته ستنهاه يومًا ما؛ كما جاء في حديث الرجل الذي كان يقوم من

الليل، ولكنه كان يسرق فقال النبي (ﷺ): «**أن ستنهاه ما تقول**»، هكذا في مشكاة المصابيح ورواه البزار.

س٤: قد يقول قائل: إن فلانًا رجل يصلي، ولكن الله (تعالى) قد ضيق عليه الحال فليس عنده مال، ولا سيارات، ولا عقارات.... على العكس من فلان فإنه لا يصلي ولكن الله يعطيه؟!

والواقع أن عطاء الله (تعالى) لإنسان ليس دليلاً على محبته، كما أن منع الله (تعالى) له ليس دليلاً على بغضه، قال ابن القيم (رحمه الله): «فهو (سبحانه) أعلم بمواقع الفضل، ومحال التخصيص، ومحال الحرمان، فبحمده وحكمته أعطى، وبحمده وحكمته حرم، فمن رده المنع إلى الافتقار إليه، والتذلل له وتملقه، انقلب المنع في حقه عطاء، ومن شغله عطاؤه وقطعه عنه، انقلب العطاء في حقه منعًا، فكل ما شغل العبد عن الله فهو مشئوم عليه، وكل ما رده إليه فهو رحمة به».[1] انتهى.

وفي مسند أحمد: قال رسول الله (ﷺ): «**إن الله (تعالى) قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله (تعالى) يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه...**»، ويقول الله (سبحانه وتعالى): ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

س٥: احذر إبليس:

قد يحدث أن الإنسان إذا بدأ في الاتجاه إلى الله خاصة الصلاة، قد يحدث أن الله (تعالى) يبتليه بمصيبة، فيأتيه الشيطان ويقول له: عندما بدأت الصلاة، نزلت عليك المصائب من كل جانب، ثم يزين له ترك الصلاة حتى يبتعد عن المصائب حسب ظنه، فعليك أن تعلم أنها هدايا في صورة بلايا، وكما جاء في الأثر: «أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب» وأيضًا: «من عبادي من أحب دعاءهم وأنا أبتليهم ليقولوا: يا رب»

س٦: قد يقول قائل: والله أنا مستعد للصلاة، ونفسي أصلي، ولكني أستحي أن أسأل عن كيفية الصلاة؟!

وهنا عليك أن تعلم أن الدين يضيع بين الحياء والكبر، أضف إلى ذلك، هل أنت أفضل من النبي (ﷺ)؟ فقد كان جبريل (عليه السلام) يعلمه الصلاة في بداية فرضيتها.

س٧: قد يقول قائل: أنا أعرف الصلاة بمفردي، ولكني لا أعرف كيف أصلي جماعة وأخشى أن يضحك الناس علي؟!

والواقع أن الناس سوف لا يضحكون عليك بإذن الله (تعالى)، وإن ضحك بعضهم فإن هذا لا يساوي ضحك الخلائق أجمعين على العبد يوم القيامة، إذا كان العبد - والعياذ بالله - من أهل الحسرات، وأشد من ذلك أن تكون الفضيحة أمام رب العالمين.

* (١) زاد المعاد لابن القيم: جـ٢ صـ٣٦١.

س٨: قد يقول قائل: أنا أريد الصلاة، ولكن صاحب العمل يمنعني منها، بحجة أن ذلك يضيع وقت العمل؟!

قال الله (تعالى): ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]، وقال الله (تعالى): ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقال رسول الله (ﷺ): «**لا طاعة لأحد في معصية الله (تعالى) إنما الطاعة في المعروف**». رواه البيهقي بسند صحيح كذا في صحيح الجامع.

س٩: قد تقول امرأة: إنها لا تصلي، لأن عندها رضيعا، ويتبول عليها، فما حكم بول الرضيع؟

جاء في فقه السنة للشيخ الجليل سيد سابق ما يلي: وعن علي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**بول الغلام ينضح عليه وبول الجارية يغسل**»، ينضح: أي يرش.

قال قتادة: وهذا ما لم يطعما فإن طعما غسل بولهما. رواه أحمد - وهذا لفظه - وأصحاب السنن إلا النسائي. قال الحافظ في الفتح: وإسناده صحيح. ثم إن النضح إنما يجزئ ما دام الصبي يقتصر على الرضاع، أما إذا أكل الطعام على جهة التغذية فإنه يجب الغسل بلا خلاف. انتهى[1].

س١٠: ما حكم كل من: المستحاضة، ومن به سلس بول، أو انفلات ريح، أو غير ذلك من الأعذار؟

جاء في فقه السنة ما يلي: المستحاضة ومن به سلس بول أو انفلات ريح أو غير ذلك من الأعذار: يتوضئون لكل صلاة إذا كان العذر يستغرق جميع الوقت أو كان لا يمكن ضبطه وتعتبر صلاتهم صحيحة مع قيام العذر[2] انتهى.

تنبيه:

الاستحاضة: هي استمرار نزول الدم وجريانه في غير أوانه.[3] كذا في فقه السنة.

س١١ ما حكم كل من المني، والمذي، والودي؟

جاء في فقه السنة ما مختصره:

١-المني: يستحب غسله إذا كان رطبًا، وفركه إن كان يابسًا، قالت عائشة (رضي الله عنها): كنت أفرك المني من ثوب رسول الله (ﷺ) إذا كان يابسًا وأغسله إذا كان رطبًا، أي الموضع الذي أصابه المني (هذا من ناحية الثوب، أما من ناحية الغسل) فيجب الغسل لخروج المني بشهوة في النوم أو اليقظة من ذكر أو أنثى وهو قول عامة الفقهاء، لقوله (ﷺ): «**الماء من الماء**». رواه مسلم. أي الاغتسال من الإنزال. ويراعى ما يلي:

(أ) إذا خرج المني من غير شهوة بل لمرض أو برد فلا يجب الغسل.

(ب) إذا احتلم ولم يجد منيًا فلا غسل عليه، لكن إذا خرج بعد الاستيقاظ وجب عليه الغسل.

---

* (١) فقه السنة: جـ١ صـ٣٦، ٣٧.
* (٢) فقه السنة: جـ١ صـ١٠٠.
* (٣) فقه السنة: جـ١ صـ١٤٨ مع التنبيه إلى أن المستحاضة تختلف عن الحائض.

(ج) إذا انتبه من النوم فوجد بللاً ولم يـذكر احتلامًا فإن تيقن أنه مني فعليه الغسل احتياطًا وقال مجاهد وقتادة: لا غسل عليه حتى يوقن بالماء الدافق، لأن اليقين بقاء الطهارة فلا يزول بالشك.

(د) أحس بانتقال المني عند الشهـوة فأمسك ذكره فلم يخرج فلا غسل عليـه لكن إن مشى فخرج منه المني فعليه الغسل.

(هـ) رأى في ثوبه منيًا لا يعلم وقت حصوله وكان قد صلى، يلزمه إعادة الصلاة من آخر نومة له إلا أن يرى ما يدل على أن قبلها فيعيد من أدنى نومة يحتمل أنه منها.

٢- الودي: وهو ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول وهو نجس من غير خلاف، قالت عائشة: أما الودي فإنه يكون بعد البول فليغسل ذكره وأنثييه ويتوضأ ولا يغتسل.

٣- المذي: وهو مـاء أبيض لزج يخرج عند التـفكير في الجـماع أو عنـد الملاعبـة وقد لا يشـعر الإنسان بخروجه ويكون من الرجل والمرأة إلا أنه من المرأة أكثر وهو نجس باتفاق العلماء إلا أنه إذا أصاب البدن وجب غسله وإذا أصاب الثـوب اكتفى فيه بالرش بالماء لأن هذه النجاسة يشق الاحـتراز عنها لكثرة ما يصيب الشاب العازب فهي أولى بالتخفيف من بول الغلام[1] انتهى.

ثالثًا: قيام الليل:

قال الله (تعالى): ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، [الذاريات: ١٧، ١٨]. وعن عبـد الله بن سلام (رضي الله عنه)، أن النبي (ﷺ) قـال: «**يا أيها الناس أفـشوا السلام، وأطعـموا الطعـام، وصلوا بالليل والناس نيـام، تدخلوا جنة ربكم بسـلام**»، [رواه الترمـذي وقال: حـديث حسن صحيح].

وفي مختصر منهاج القاصدين:

قال الله (تعـالى): ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، [السجـدة: ١٦]. ويقول النبي (ﷺ): «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الـصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومغفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم**»، وفي فضله أحاديث كثيرة.

وقال الحسـن البصري (رحمـه الله): لم أجد من العبادة شـيئًا أشد من الصـلاة في جوف الليل، فقيل لـه: ما بال المتهجـدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقـال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسـهم من نوره، قال بعض علماء الحديث: من طال قيامه بالليل حسن وجهه بالنهار.

فصل في الأسباب الميسرة لقيام الليل

اعلم أن قيـام الليل صعب إلا من وفق للقـيام بشـروطه الميسرة له، فـمن الأسباب ظـاهر ومنها باطن:

* (١) فقه السنة: جـ١ صـ٣٧، ٣٩، ١٠٧، ١١٠.

فأما الظاهر:

فألا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول: يا معشر المريدين، لا تأكلوا فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا، ومنها: ألا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة، ومنها: ألا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على قيام الليل[1].

وأما الميسرات الباطنة:

فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب من قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

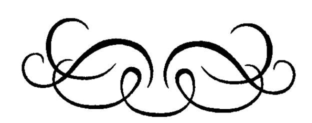
ومن أشرف البواعث على ذلك: الحب لله (تعالى)، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه وأنه حاضره ومشاهده فتحمله المناجاة على طول القيام.

قال أبو سليمان (رحمه الله): أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

وفي صحيح مسلم عن النبي (ﷺ) قال: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا آتاه إياه وذلك كل ليلة**»، انتهى من مختصر منهاج القاصدين.

فائدة:

وروي جابر (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**قالت أم سليمان بن داود عليهما السلام لسليمان: يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تجعل الرجل فقيرًا يوم القيامة**»[2].



(١) ومن أعظم ما يعين على قيام الليل: النوم على طهارة، والمواظبة على أذكار النوم، خاصة التسبيح وقراءة آية الكرسي - كما سيأتي إن شاء الله (تعالى) في باب الذكر - فمن كان آخر كلامه قبل النوم ذكر الله (تعالى)، سهل عليه القيام، وإن انتبهت من النوم وكسلت عن القيام فأذن أذانا يسمع اليقظان ولا يوقظ النائم، فالأذان يطرد الشيطان، وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء»، قال الراوي: و «الروحاء»من المدينة على بعد ستة وثلاثين ميلاً، وهو أيضًا - أي الأذان - ذكر، والذكر يحل من عقد الشيطان فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله (ﷺ) قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله (تعالى) انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلانًا»، [متفق عليه]. وقافية الرأس: مؤخره.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه.

الباب الخامس

الدعاء

قال (تعالى): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٦].

الفصل الأول: فضل الدعاء

(أ) جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره[(١)]:

قال رسول الله (ﷺ): «**الدعاء هو العبادة**» ثم تلا قوله (تعالى): ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، [رواه ابن حبان في صحيحه]. وقال الشوكاني (رحمه الله):

فالدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه سبحانه و(تعالى) أمر عباده أن يدعوه ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فأفاد بذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب (سبحانه) استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه وموجده من العدم وخالق العالم كله ورازقه ومحييه ومميته ومثيبه ومعاقبه! فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون وشعبة من كفران النعم.

(هناك عدة أحاديث ذكرها المؤلف بعضها فيه ضعف ولكنها من الفضائل بالشروط التي اتفق عليها علماء الحديث):

(أ) قال رسول الله (ﷺ): «**من فتح له باب الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة**»، [رواه ابن أبي شيبة في مصنفه]. ولعل المراد - والله أعلم - أن من فتح الله له باب الإقبال على الدعاء بخشوع وخضوع وتضرع وتذلل كان هذا الفتح سببًا لإجابة دعائه.

(ب) قال رسول الله (ﷺ): «**لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**»، [رواه الحاكم في المستدرك والبزار].

والحاصل، أن الدعاء من قدر الله (عز وجل) فقد يقضي الشيء على عبده قضاء مقيدًا بألا يدعوه فإن دعاه اندفع عنه.

(جـ) قال رسول الله (ﷺ): «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»، [رواه الترمذي].

وقال رسول الله (ﷺ): «**من لم يدع الله يغضب عليه**»، [مصنف ابن أبي شيبة].

---

(١) راجع تحفة الذاكرين للشوكاني: [١٩ - ٢٤] خصوصًا شرح هذه الأحاديث وجاء في مدارج السالكين:

قالوا أتشكوا إليه ... ما ليس يخفى عليه؟

فقلت ربي يرضى ... ذل العبيد لديه

(د) قال رسول الله (ﷺ): «**لا تعجزوا من الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد**»، [رواه ابن حبان].

(هـ) قال رسول الله (ﷺ): «**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء**»، [رواه الترمذي].

(و) قال رسول الله (ﷺ): «**ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يرفع عنه من السوء مثلها**»، [أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة ،وأخرجه أيضًا الحاكم وقال: صحيح الإسناد][1].

(ب) الدعاء يدفع المكروه:

جاء في «الجواب الكافي» لابن القيم (رحمه الله) ما مختصره:

وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب، وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًا، فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليه ،كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه**».

فهذا (الدعاء) دواء نافع مزيل للداء، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته، وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾** [المؤمنون: ٥١] **وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾** [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟**»، وذكر عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه: أصاب بني إسرائيل بلاء، فخرجوا مخرجًا فأوحى الله (عز وجل) إلى نبيهم أن أخبرهم: أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون إليَّ أكفًا قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد غضبي عليكم لن تزدادوا مني إلا بعدًا.

وقال أبو ذر: يكفي من الدعاء البر ما يكفي الطعام من الملح.

والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم في مستدركه من حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض**».

---

(١) راجع شرح هذه الأحاديث بالتفصيل في تحفة الذاكرين.

وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به، والساعد ساعدًا قويًا، والمانع مفقودًا حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

سؤال هام مشهور:

وها هنا سؤال مشهور وهو: أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه، دعا به العبد أو لم يدع، وإن لم يكن قدر لم يقع، سواء سأله العبد أو لم يسأله[1]، فظنت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت: لا فائدة فيه وهؤلاء - مع فرط جهلهم وضلالهم - متناقضون، فلو اطرد مذهبهم لوجب تعطيل جميع الأسباب، فيقال لأحدهم: إن كان الشبع والري قد قُدِّرا لك؛ فلا بد من وقوعهما أكلت أو لم تأكل، وإن لم يقدرا لك لم يقعا، أكلت أو لم تأكل، وإن كان الولد قد قدر لك فلا بد منه، وطئت الزوجة أو الأمة أو لم تطأها، وإن لم يقدر لم يكن فلا حاجة إلى التزوج والتسري، وهلم جرا، فهل يقول هذا عاقل أو آدمي؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام، بل هم أضل.

والصواب: أن هاهنا قسمًا ثالثًا غير ما ذكره السائل: وهو أن هذا المقدور قدر بأسباب، ومن أسبابه: الدعاء فلم يقدر مجردًا عن سببه ولكن قدر بسببه، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور، وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال، ودخول النار بالأعمال، وهذا القسم، هو الحق، وهذا الذي حُرِمه السائل، ولم يوفق له، وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب، وجميع الحركات والأعمال وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب.

ولما كان الصحابة (ﷺ)، أعلم الأمة بالله ورسوله (ﷺ) وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم، وكان عمر (ﷺ)، يستنصر به على عدوه، وكان أعظم جنده، وكان

* (١) أي كما يقال مثلاً: طالما أن الله (تعالى) قد كتب عليَّ هذه البلوى، فلا فائدة من الدعاء.

يقول للصحابة: «لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء».

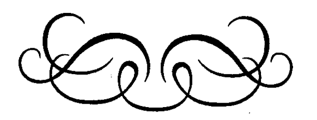
وكان يقول: «إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعـاء، فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه»، وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه … من جود كفيك ما علمتني الطلبا

بل الفقيه كل الفقيه، الذي يردُّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا بذلك.

فإن الجـوع والعطش والبرد، وأنواع المخاوف والمحـاذير هي من القدر، والخلق كلهم سـاعون في دفع هذا القدر بالقدر، وهكذا من وفقه الله وألهمه رشـده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهذا هو القدر المخوف في الدنيا وما يضاده، فرب الدارين واحد، وحكمته واحدة لا تناقض بعضهـا بعضًا ولا يبطل بعضها بعـضًا، فهذه المسألة من أشرف المسائل لمـن عرف قدرها، ورعاها حق رعايتها والله المستعان(١). انتهى.

قال كعب الأحبـار: أعطيت هذه الأمة ثلاثًا لم تعطهن أمة قبلها إلا نبي: كـان إذا أرسل الله نبيًا قـال له: أنت شـاهد على أمـتك، وجـعلكم شـهـداء على الناس ﴿**لِتَكُونُوا شُـهَـداءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة:١٤٣]. وكان يقال له: ليس علـيك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿**وَمَا جَـعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨]. وكان يقال له: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠](٢).



(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (رحمه الله) صـ ٧ ـ ١٨.

(٢) مختصر ابن كثير: جـ ٣ صـ ٢٤٩.

الفصل الثاني
آداب الدعاء

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره:

١ - آكدها تجنب الحرام مأكلا ومشربا وملبسًا، (وقد تقدم الكلام عن هذه النقطة لابن القيم (رحمه الله) فأغنى عن أن آتي بها من تحفة الذاكرين)[١].

٢ - الإخلاص لله (تعالى) لقوله (تعالى): ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾، [غافر: ١٤].

٣ - تقديم عمل صالح، يدل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة كما في الصحيحين وغيرهما، فإن النبي (ﷺ) حكى عنهم: أنهم توسل كل واحد منهم بأعظم أعماله التي عملها لله (عز وجل)، فإنه استجاب الله دعاءهم وارتفعت عنهم الصخرة، وكان ذلك بحكايته (ﷺ) لأمته سنة (معنى ذلك أنك إذا قمت مرة بعمل تظن أنه مقبول عند الله (تعالى) فيمكنك أن تقول: اللهم إن كنت تعلم أن هذا العمل - كبكاء مرة من خشية الله، أو إعانة محتاج أو تفريج كربة ... - خالصًا لوجهك ففرج عني ما أنا فيه).

٤ - الوضوء: وقد صح أنه (ﷺ) لما سلم عليه بعض الصحابة تيمم من جدار الحائط ثم رد عليه، وإذا كان هذا في مجرد رد السلام، فكيف بذكر الله (سبحانه)، فإنه أولى بذلك، وأخرج أبو داود من حديث ابن عباس عنه (ﷺ): «**كرهت أن أذكر الله إلا على طهر**»، وصححه ابن خزيمة، والدعاء ذكر.

ويقول (ﷺ): «**من كانت له حاجة إلى الله (عز وجل) أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصلِ ركعتين ثم ليُثْنِ على الله (تعالى) بما هو أهله ويصلِ على النبي (ﷺ)**»، [أخرجه الحاكم في المستدرك]. هذا الحديث دليل على صلاة الحاجة[٢].

٥ - استقبال القبلة: وقد استقبلها (ﷺ) في دعائه في غير موطن كما في يوم بدر، [أخرجه مسلم وغيره].

٦ - الصلاة: كما ذكر المؤلف من حديث النبي (ﷺ): «**ثم ليصل ركعتين**».

٧ - الثناء على الله (تعالى): «**ثم ليثن على الله بما هو أهله**»، يقول: الحمد لله (وقد تقدم).

٨ - الصلاة على نبيه (ﷺ): "**وليصلِ على النبي**". (وقد تقدم).

٩ - بسط يديه ورفعها حذو منكبيه لقول رسول الله (ﷺ): «**إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع**

---

* (١) راجع تحفة الذاكرين الشوكاني: صـ ٣٤ - ٣٩.
* (٢) سيأتي الكلام عنها بإذن الله (تعالى).

الرجل يديه إليه أن يردهما خائبتين»، [أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين].

١٠ - التأدب والخشوع والمسكنة: فأما ما يدل على التأدب: ما رواه مسلم من حديث علي (رضي الله عنه)، وفيه: «أنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي»، وأما ما يدل الخشوع: ما رواه ابن أبي شيبة من قول مسلم بن يسار قال: «لو كنت بين يدي ملك تطلب حاجة لسرك أن تخشع له»، وأما ما يدل على المسكنة: ما ورد عن النبي (ﷺ) في أحاديث الاستسقاء.

١١ - أن يسأل بأسماء الله (تعالى) العظام الحسنى ويدل على ذلك قول الله (عز وجل): ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾، [الأعراف: ٨٠]. وقد ذكر المؤلف أن العلماء قد اختلفوا في تعيين اسم الله الأعظم على نحو أربعين قولاً، ولكن أرجح ما ورد في تعيين الاسم الأعظم، ثلاثة أحاديث ذكر منها مؤلف المتن اثنين وذكر الشارح (أي الشوكاني) الاسم الثالث:

أ - «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، [أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان وصححه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما] من حديث عبد الله بن بريده عن أبيه: أن رسول الله (ﷺ) سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك ... فقال: «لقد سألت الله (تعالى) باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب».

ب - «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم»، [الحديث أخرجه أهل السنن الأربعة وابن حبان وصححه]، ولفظ ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: سمع النبي (ﷺ)، رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد فقال رسول الله (ﷺ): «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى».

جـ - «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»، [الحديث أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك وأحمد في المسند]. ولفظ الترمذي: قال رسول الله (ﷺ): «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»، وزاد الحاكم في طريق عنده: فقال رجل: يا رسول الله، هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله (ﷺ): «ألا تسمع قول الله (عز وجل) ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ أي يونس ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾»، [الأنبياء: ٨٨].

١٢ - الأدعية المأثورة: مثال ذلك: من كان عليه دين، فلو أنه قال: اللهم اقض ديني، فهذا خير، ولكن الدعاء المأثور عن النبي (ﷺ) هنا: ما رواه الترمذي عن عليّ (رضي الله عنه)، أن مكاتبًا له جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي، فأعني، فقال: ألا أعلمك كلمات علَّمنيهن رسول الله (ﷺ) لو كان عليك مثل جبل أحد دينًا إلا أداه الله عنك، قل: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك».

١٣ - ويخفض صوته لحديث: «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا»، وهو في الصحيحين.

١٤ - ويعترف بذنبه: لقوله (ﷺ) في حديث عليّ (رضي الله عنه)، عند مسلم: «**ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعها**».

١٥ - ويبدأ بنفسه: لقول ابن عمر (رضي الله عنهما): كان رسول الله (ﷺ): إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه، [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب]. قال الله (تعالى): ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، [الأعراف: ١٥١].

١٦ - ولا يخص نفسه إن كان إمامًا لحديث: «**لا يؤم رجل قومًا فيخص نفسه بالدعاء دونهم فقد خانهم**»، [أخرجه الترمذي وحسنه]. (جاء في الهامش): قال المصنف في «مفتاح الحصن»: وذلك فيما يؤمِّن المأمومون عليه من الدعاء كالقنوت فهو خيانة لهم، أما إذا دعا لنفسه في السجود مثلاً، وهو إمام فليس بخيانة. ا. هـ.

١٧ - ويسأل بعزم ورغبة وجد واجتهاد لقوله(ﷺ): «**إذا دعا أحدكم فلا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت وارحمني إن شئت، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء ولا مكره له**»، [رواه البخاري].

١٨ - ويحضر قلبه ويحسن رجاءه: ووجه ذلك ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، أن رسول الله (ﷺ) قال: «**القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله (تعالى) أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل**».

١٩ - ويكرر الدعاء ويلح فيه: لقوله (ﷺ): «**إن الله يحب الملحين في الدعاء**»، [أخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب، وأخرج مسلم في صحيحه: أنه (ﷺ) «**كان إذا دعا كرر ثلاثًا**»].

٢٠ - ولا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم: لقوله (ﷺ): «**يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»، [أخرجه مسلم].

٢١ - ولا بأمر قد فرغ منه: وقد روى مسلم والنسائي ما يدل على ذلك من حديث أم حبيبة (رضي الله عنها)، لما سمعها النبي (ﷺ) تدعو له (ﷺ) ولأبيها ولأخيها أن يمتعها الله بهم فقال (ﷺ): «**لن يعجل الله شيئًا قد أجله**».

٢٢ - ولا بمستحيل: ووجه ذلك أن الدعاء بالمستحيل من الاعتداء في الدعاء، وقد ثبت النهي القرآني عنه فقال الله (تعالى): ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾، [الأعراف: ٥٥].

٢٣ - ولا يتحجر: ووجه ذلك أن النبي (ﷺ) لما سمع الأعرابي يقول: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، قال له: «**لقد تحجرت واسعًا**»، [وهو ثابت في الصحيح].

٢٤ - ويسأل حاجته كلها: لقوله (ﷺ): «**ليسأل أحدكم حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله**»، [أخرجه الترمذي وابن حبان].

٢٥ - ويؤمِّن الداعي والمستمع: وذلك لما روي عنه (ﷺ) لما سمع رجلاً يدعو فقال: «**وجب إن ختمه بآمين**»، [أخرجه أبو داود].

٢٦ ـ ولا يستعجل أو يقول: دعوت فلم يستجب لي: لقوله (ﷺ) في الصحيحين: **«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي»**.

٢٧ ـ والجثو على الركبتين: لم يثبت في هذه الهيئة شيء يصلح للاحتجاج به وقد روي ما يدل عليه عند أبو عوانة.

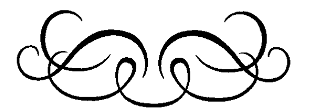
٢٨ ـ ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه (جاء في الهامش) وهل يمسح بهما كفيه وجهه كما في القنوت في الصلاة؟ فالأصح لا، لعدم وروده فيه، قال البيهقي: لا أحفظ فيه عن أحد من السلف شيئًا، وإن روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة، وقد روي عن النبي (ﷺ) خارج الصلاة خبر ضعيف، وأما فيها فلم يثبت فيه لا خبر ولا أثر، انتهى من نسخة عدة الحصن الحصين.

٢٩ ـ ويتوسل إليه (تعالى) بأنبيائه والصالحين: أما التوسل بالصالحين: فمنه ما ثبت عن الصحابة في الصحيح، أنهم استسقوا بالعباس (رضي الله عنه)، عم رسول الله (ﷺ)، وقال عمر (رضي الله عنه)، : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، فالآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، ثم طلب من العباس أن يدعو الله فقام العباس فدعا الله (تعالى)، فسقاهم الله.

كان الاستسقاء بالعباس وهو حي ويؤخذ من الحديث أنه يجوز الدعاء والتوسل بالميت، فهو لم يقيده بحي أو بميت.

تنبيه:

سيأتي الكلام إن شاء الله (تعالى) عن حكم التوسل بالأنبياء بعد موتهم وما أنقله من كلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) في هذه المسألة كرد على كلام الشوكاني.



الفصل الثالث

ما هى أوقات الإجابة ؟

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره:

١- ليلة القدر: لقوله (ﷺ): «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». رواه الشيخان.

٢- يوم عرفة: لقوله (ﷺ): «خير الدعاء يوم عرفة». رواه الترمذي وحسنه.

٣- شهر رمضان: لقوله (ﷺ): «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، وفي لفظ بعضهم: حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم». أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وحسنه الترمذي.

٤- ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه): «إن في ليلة الجمعة ساعة ... الدعاء فيها مستجاب». رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي وصححه الحاكم. ولقوله (ﷺ): «وفيه- أي: يوم الجمعة - ساعة لا يسأل العبد فيها شيئًا إلا آتاه الله (تعالى) إياه ما لم يسأل حرامًا». رواه أحمد وابن ماجه، قال العراقي: إسناده حسن.

٥- جوف الليل: لحديث أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قيل: يا رسول الله! أي الدعاء يسمع؟ قال: «جوف الليل ودبر الصلاة». أخرجه الترمذي وحسنه.

٦- ونصفه الثاني - أي: الليل - وثلثه الأول وثلثه الأخير: أخرج مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة». وفي الصحيحين: قال رسول الله (ﷺ): «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له؟».

٧- وقت السحر: وهذا جزء من أجزاء ثلث الليل الآخر وقد تقدم في الصحيحين ما يدل على قبول الدعاء فيه.

٨- عند النداء للصلاة: لقوله (ﷺ): «ثنتان لا يردان الدعاء: عند النداء، وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضًا». أخرجه مالك وأبو داود وزاد أبو داود: «وتحت المطر»، وأخرجه ابن حبان والحاكم وصححاه.

٩- بين الأذان والإقامة: لقوله (ﷺ): «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة». قيل: ماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة». أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وأخرجه غيرهما.

١٠- عند الإقامة: ولعل الوجه في ذلك أن الإقامة هي نداء إلى الصلاة كالأذان وقد تقدم مشروعية الدعاء مطلقًا عند النداء.

١١- عند التحام الحرب: للحديث المتقدم: «وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضًا».

١٢- دبر الصلوات المكتوبات: وقد تقدم حديث الترمذي عن أبي أمامة.

١٣- وفي السجود: لقوله (ﷺ): «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء». أخرجه مسلم وغيره.

١٤- عند تلاوة القرآن لا سيما الختم: لقوله (ﷺ): «من قرأ القرآن فليسأل الله فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس». أخرجه الترمذي وحسنه. وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد: «إذا ختم القرآن نزلت الرحمة».

١٥- عند قول الإمام ولا الضالين: لقوله (ﷺ): «إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة

غفر له ما تقدم من ذنبه». في الصحيحين.

١٦ـ عند شرب ماء زمزم: لقوله (ﷺ): «ماء زمزم لما شرب له، وإن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهي هزمة جبريل وسقيا إسماعيل». رواه الدارقطني، وزاد الحاكم: «وإن شربته مستعيذًا أعاذك الله» ينطبق هذا الحديث والله ـ أعلم ـ على ما يحمل من ماء زمزم إلى البلاد.

١٧ـ عند صياح الديكة: لقوله (ﷺ): «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا». في الصحيحين وغيرهما.

١٨ـ واجتماع المسلمين وفي مجالس الذكر: المراد باجتماع المسلمين في مجالس الذكر: لما رواه مسلم: قال رسول الله (ﷺ): «لا يقعد قوم يذكرون الله (تعالى) إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده». ولقوله (ﷺ) في خروج النساء يوم العيد: «وليشهدن الخير ودعوة المسلمين». كما في الصحيحين.

١٩ـ عند تغميض الميت: لحديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله (ﷺ) على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه فقال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونور له فيه». أخرجه مسلم وأهل السنن.

٢٠ـ الحضور عند الميت: ولعل وجهه ما أخرجه النسائي قال رسول الله (ﷺ): «إذا حضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة». فيكون الدعاء عند حضور هؤلاء الملائكة مقبولاً.

٢١ـ عند نزول الغيث: وقد تقدم.



الفصل الرابع

الذين يستجيب الله (تعالى) دعاءهم وبم يستجاب؟

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره:

١ - المضطر: قال الله (تعالى): ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ**﴾، [النمل: ٦٢].

٢ - المظلوم مطلقًا ولو كان فاجرًا أو كافرًا: لقوله (ﷺ): «**ثلاث دعوات لا شك في إجابتها: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده**»، [أخرجه الترمذي وحسنه]. وفي الصحيحين يقول رسول الله (ﷺ): «**اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

٣ ، ٤ - الوالد على ولده والإمام العادل: (وقد تقدم).

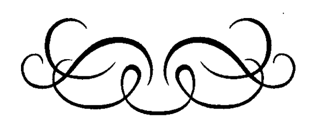
٥ ، ٦ - الرجل الصالح، والمسلم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ... ، وقد تقدم في فصل فضل الدعاء: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم**» لفظ المسلم يتناول لفظ الصالح تناولاً أولويًا.

٧ - الولد البار بوالديه: ويدل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم، وكان أحدهم بارًا بوالديه، توسل إلى الله (تعالى) بذلك فأجاب دعاءه، وهذا الحديث في الصحيحين مطولاً.

٨ ، ٩ - المسافر والصائم (وقد تقدم).

١٠ - المسلم لأخيه بظهر الغيب: لقوله (ﷺ): «**ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك مثل ذلك**»، [أخرجه مسلم وغيره].

١١ - التائب: (لم يذكر المؤلف الحديث لضعفه).



الفصل الخامس

بم يستجاب الدعاء؟

جاء في تحفة الذاكرين ما مختصره:

١ ـ قال رسول الله (ﷺ): «**من تعار من الليل** ـ أي استيقظ من النوم مع كلام ـ **فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجاب الله له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته**»، [رواه البخاري في صحيحه].

٢ ـ أخرج الطبراني في الكبير من حديث معاوية قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

٣ ـ سمع النبي (ﷺ) رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: «**قد استجيب لك فَسَلْ**»، [أخرجه الترمذي]. وفي الحديث دليل على أن استفتاح الدعاء بقول: يا ذا الجلال والإكرام، يكون سببًا في الإجابة، وفضل الله واسع.

٤ ـ قال رسول الله (ﷺ): «**إن لله ملائكة موكلة فيمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاث مرات قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل**»، [أخرجه الحاكم في المستدرك][1]. انتهى من تحفة الذاكرين.

٥ ـ **جاء في جامع العلوم والحكم**[2]:

قال يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا: ما من عبد يقول: يا رب يا رب إلا قال له ربه: لبيك لبيك. وعن عطاء قال: ما قال عبد يا رب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه، فذكر ذلك للحسن فقال: أما تقرءون القرآن، ثم تلا قوله (تعالى): ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾، [آل عمران: ١٩١ ـ ١٩٤]. انتهى من جامع العلوم والحكم.



---

* (١) تحفة الذاكرين للشوكاني: ٤٨، ٤٩.
* (٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي: ٩٢.

الفصل السادس

علامة استجابة الدعاء

جاء في تحفة الذاكرين[1] ما مختصره :

علامة استجابة الدعاء: الخشية، والبكاء والقشعريرة، وربما تحصل الرعدة، والغشي والغيبة، ويكون عقيبه سكون القلب، وبرد الجأش، وظهور النشاط باطنًا، والحق ظاهرًا، حتى يظن الداعي أنه كان على كتفيه حملة ثقيلة فوضعها عنه، حينئذ لا يغفل عن التوجه والإقبال والصدقة والإفضال والحمد والابتهال وأن يقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قال رسول الله (ﷺ): **«ما يمنع أحدكم إذا عرف الإجابة من نفسه فشفي من مرض أو قدم من سفر أن يقول: الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات»**، [أخرجه الحاكم في المستدرك]. وأخرج البيهقي عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن النبي (ﷺ): قال: **إذا سأل أحدكم ربه مسألة فعرف الاستجابة فليقل: الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، ومن أبطأ عليه من ذلك شيء فليقل: الحمد لله على كل حال»**.



* (١) تحفة الذاكرين: ٥٨، ٥٩.

الفصل السابع

التوسل بالأنبياء والصالحين

من آداب الدعاء كما سبق: (ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين) قال الشوكاني في تحفة الذاكرين:

أقول: ومن التوسل بالأنبياء مـا أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح غـريب، والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم من حديث عثمان بن حنيف (رضي الله عنه) أن أعمى أتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري، قال: **«أو أدعك»** فقال: يا رسول الله إني قد شق عليَّ ذهاب بصري، قال: **«فانطلق فتوضأ فصلى ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة»** يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهـم فشفعه فيَّ. انتهى من تحفة الذاكرين.

ابن تيمية: لا يجوز التوسل بالنبي (ﷺ) في مغيبه ولا بعد موته.

جاء في كتاب الزيارة لابن تيمية تحت عنوان السؤال بالجاه ونحوه من البدع ما مختصره:

وقـالت طائفـة ليس في هذا[1] جواز التوسل بـه بعد مماته، وفي مغيـبه، بل إنما فيه التوسـل في حياته بحضوره، كما في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، استسقى بالعباس، فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون. وقد بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون، وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم، فيدعو لهم، ويدعون معه، ويتوسلون بشفاعته ودعائه.

كما في الصـحيح عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمـعة من باب كان بجوار دار القضاء، ورسـول الله (ﷺ) قائم يخطب واستقبـل رسول الله (ﷺ) قائمًا فقـال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله لنا أن يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله (ﷺ) يديه ثم قال: **«اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام وعلى الظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر»** قال: وأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس، ففي هذا الحديث أنه قال: ادع الله لنا أن يمسكها عنا.

فهذا كـان توسلهم في الاستسـقاء ونحوه، ولما مات توسلوا بالـعباس (رضي الله عنه) كـما كـانوا يتـوسلون به ويستسقون وما كـانوا يستسقون به في موته، ولا في مغيبه ولا عند قـبره، ولا عند قبر غيره[2]. انتـهى كـلام ابن تيمية.

فلو كان التوسل بالنبي (ﷺ) بعد موته جائزًا، فـلم ترك الصحابة رضوان الله عليهم التوسل به (ﷺ) ثم توسلوا بالعباس[3]؟ فقالوا: وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا؟ سبحان الله! لو كان خيرًا لسبقونا إليه.

تنبيه:

قال بعض العلماء: والصواب في هذه النقطة، أن يقـول المتوسل: اللهم إني أدعوك وأتوسل إليك بإيماني بنبيك (ﷺ) ومـحبتي واتبـاعي لسنته (ﷺ)، لأن الإيمان بالنبي (ﷺ) ومـحبتـه واتباع سنته من أعظم الأعـمال وأجلها وأنفعها عند الله، ومن توسل إلى الله ودعا الله بهذه الأعمال فقد توسل إليه بأحب الأعمال وأعظمها عند الله (تعالى). انتهى.

---

(١) أي ليس في حديث الأعمى السابق.

* (٢) راجع هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب «الزيارة» لابن تيمية: ٥٦ - ٥٩.

* (٣) في حياته وحضوره.

الفصل الثامن

فوائد

إليك هذه الفوائد والله (تعالى) أعلم.

الأولى: قال العلماء: أن من بين آداب الدعاء: أن يتخير الداعي الاسم الذي يوافق مسألته، فإذا كنت أدعو الله (تعالى) بالمغفرة أقول: يا غفور اغفر لي، وإذا كنت أدعوه (سبحانه) بالرزق أقول: يا رزاق ارزقني، وإذا كنت أدعوه بالستر أقول: يا ستير استرني.

الثانية: لو تأملت في بيان اسم الله الأعظم لوجدت أن هناك روايتين أو ثلاثًا في بيان اسم الله الأعظم فلو أنك جمعت هذه الروايات الثلاث أثناء الدعاء لضمنت أنك دعوت الله (تعالى) باسمه الأعظم، ومثال ذلك: هب أن إنسانًا قال لك: إن هناك ثلاثة بيوت في أحدها كنز فلو أنك دخلت البيت الأول فلم تجده فيه ففي هذه الحالة يكون عليك أن تدخل البيتين الآخرين، حتى تعثر على هذا الكنز، وكذلك الدعاء باسم الله الأعظم يضم الروايات الثلاث ولله المثل الأعلى.

الثالثة: بيان كيفية الدعاء بعد الفوائد السابقة:

١ ـ الحمد لله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

٢ ـ اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

٣ ـ يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين.

٤ ـ يا ذا الجلال والإكرام.

٥ ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦ ـ يا رب، يا رب، يا رب

٧ ـ موضوع الدعاء فتتخير له من أسماء الله الحسنى ما يوافقه مثل: يا غفور اغفرلي.

٨ ـ ثم بعد ذلك تقول: اللهم إني أسألك أن تجيب ...

٩ ـ آمين وصل اللهم على محمد وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الرابعة: يمكنك عند الاستعجال ـ حيث لا يكون عندك وقت تدعو فيه بكل ما تقدم ـ أن تدعو بما شئت مما تيسر لك، ويمكنك أن تقول بصيغة مختصرة والله أعلم: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، يا رب: اللهم إني أسألك بأسمائك وصفاتك وباسمك الأعظم أن تفعل لي كذا ... وصل اللهم على محمد وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الخامسة: من أعظم القربات إلى الله (تعالى) الدعاء بظهر الغيب، فإن كانت عندك مسألة تشغلك، فادع لكل المسلمين بهذه المسألة، فترد عليك الملائكة وتقول لك: ولك مثل ما قلت.

السادسة: يستحب أن تدعو بهذا الدعاء الجامع المأثور عن النبي (ﷺ): اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد (ﷺ) ـ لي ولكل المسلمين ـ وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك محمد (ﷺ) ـ لي ولكل المسلمين، فتكون بهذا الدعاء العظيم قد دعوت لكل المسلمين، بكل خير دعا به النبي

(ﷺ) ، وتكون أيضًا قد استعذت بالله من كل شر استعاذ به النبي (ﷺ) وتكون أيضًا قد ضمنت لنفسك أن الملائكة تقول لك في الحالتين: ولك مثل ما قلت وأي عدد من الملائكة بعدد المسلمين الذين دعوت لهم.

السابعة: صلاة الحاجة: روى أحمد بسند صحيح عن أبي الدرداء أن النبي (ﷺ) قال: «**من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلاً أو مؤخرًا**»، وقد تقدم قوله (ﷺ): «**من كانت له حاجة إلى الله (عز وجل) أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله (تعالى) بما هو أهله ويصلي على النبي (ﷺ)**». أخرجه الحاكم في المستدرك.

ويستحب أن تطبق آداب الدعاء السالف ذكرها دبر هذه الصلاة، وأهمها تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس والإخلاص واجتناب المعاصي. قال أبو عبد الله الباجي الزاهد (رحمه الله): خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله (عز وجل)، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل، وذلك إذا عرفت الله (عز وجل) ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع.

وقال الشاعر:

نحن ندعو الإله في كل كرب ∴ ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعاء ∴ قد سددنا طريقها بالذنوب

صلاة الحاجة والتوكل

قال الله (تعالى): ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق:٣]، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنًا ألا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله (تعالى) أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل**». وقال المروزي: قيل لأبي عبد الله: أي شيء يدل على صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه، وكان متوكلاً على الله. انتهى.

ومعنى هذا القول هنا - والله أعلم - خاصة أثناء الدعاء، ألا يكون في قلبك أنه بعد انتهاء الدعاء - كصلاة الحاجة - الذهاب إلى فلان كي يقضي لك حاجتك، وإنما تدعو دعاء عبد لا يعرف إلا مولاه (سبحانه وتعالى)، وأن ما في خزائن مولاه (تعالى) أقرب إليه مما في جيبه وكأنه يقول بقلبه قبل لسانه: يا رب انقطعت كل السبل إلا سبيلك.

الثامنة: جاء في الكتاب «زاد المعاد» لابن القيم (رحمه الله) عند الكلام عن السجود ما يلي:

وأمر (ﷺ) بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال: «**إنه قمن أن يستجاب لكم**»[1]. وهل هذا أمر بأن يكثر الدعاء في السجود، أو أن الداعي إذا دعى في محل، فليكن في السجود؟

وفرق بين الأمرين، وأحسن ما يحمل عليه الحديث أن الدعاء نوعان: دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبي (ﷺ) كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين، والاستجابة أيضًا نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله، واستجابة دعاء المثني بالثواب، وبكل واحد من النوعين فسر قوله (تعالى): ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦]، والصحيح أنه يعم النوعين[2]. انتهى من زاد المعاد.

مثال ذلك: الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من أن رسول الله (ﷺ) كان يقول في ركوعه: «**سبحانك**

---

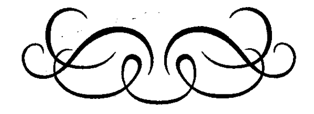
(١) رواه مسلم.

(٢) زاد المعاد لابن القيم - رحمه الله - جـ١ ص٢٣٤، ٢٣٥.

اللـهم ربنا وبحمدك اللـهم اغفر لي». فالقسم الأول من هـذا الدعاء دعاء ثناء، والقسم الثاني فيه دعاء مسألة.

التاسـعة: جاء في كتاب الجواب الكافي لابن القيم وفي كتاب الزهد للإمام أحمد عن قتادة: قال مورق: ما وجـدت للمؤمن مثـلاً إلا رجل في البحر علـى خشبـة، فهو يدعـو: يا رب! يا رب! لعل الله (عز وجل) أن ينجيه.

اللـهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك آمين.



الفصل التاسع

صلاة الاستخارة

أولاً: في صحيح البخاري عن جابر (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (ﷺ) يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر، ويسمي حاجته** - مثل سفر إلى كذا أو ذهابي إلى فلان أو زواجي من فلانة .... - **خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري** - أو قال: **عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر** - ويسمي حاجته أيضًا - **شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري** - أو قال: **عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به**» قال: «**ويسمي حاجته**».

ثانيًا: جاء في كتاب «فقه السنة» للشيخ سيد سابق ما يلي:

١- يسن لمن أراد أمرًا من الأمور المباحة، والتبس عليه وجه الخير فيه أن يصلي ركعتين من غير الفريضة، ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد، أي وقت من الليل أو النهار، يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله، ويصلي على نبيه (ﷺ) ثم يدعو بالدعاء السابق ذكره: اللهم إني أستخيرك بعلمك.

٢- ولم يصح في القراءة فيها شيء مخصوص، كما لم يصح شيء في استحباب تكرارها.

٣- قال النووي: ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح[١] له صدره فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأسًا وإلا فلا يكون مستخيرًا لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة وفي التبري من العلم والقدرة وإثباتهما لله (تعالى) فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه.

٤- الواجب والمندوب مطلوب الفعل، والمحرم والمكروه مطلوب الترك ولهذا لا تجري الاستخارة إلا في أمر مباح[٢]. انتهى من فقه السنة.

ثالثًا: حديث: «**إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فإن الخير فيه**». رواه ابن السني، وهو حديث ضعيف، قال النووي: إسناده غريب فيه من لا أعرفهم، وضعفه كل من الألباني في «الكلم الطيب» والأرناؤوط في «الأذكار النووية» وقال الأرناؤوط في هامش الأذكار النووية ص١٠٢ نقلاً عن ابن حجر عن شيخه: وما ذكره قبله، أنه يمضي لما ينشرح له صدره، كأنه اعتمد فيه على هذا الحديث - أي: حديث السبع مرات السابق[٣] - وليس بعمدة، قد أفتى ابن عبد السلام بخلافه، فلا تتقيد بعدد الاستخارة، بل مهما فعله فالخير فيه. ا هـ.

رابعًا: لو تعقل المسلمون ما في صلاة الاستخارة لوسعتهم، إذ أن الاستخارة هي رأس التوكل على الله سبحانه و(تعالى)، لذا - والله أعلم - كلما استخار العبد ربه في دقائق الأمور - المباحة - كلما كان العبد أكثر إيمانًا، إذ أن الاستخارة لا ترتبط بالأمور المباحة الكبرى فقط، - كالزواج والسفر ونحوه كما يفعل البعض - بل هي أيضًا تكون في أقل الأمور. جاء في نيل الأوطار للشوكاني: قوله (ﷺ): «**في الأمور كلها**». دليل على العموم وأن المرء لا يحتقر أمرًا لصغره، وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه، فرب أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه، ولذلك قال (ﷺ): «**ليسأل أحدكم ربه حتى في شسع نعله**»[٤]. انتهى.

---

* (١) سيأتي بإذن الله (تعالى) في البند ثالثًا التعليق على انشراح الصدر بعد الاستخارة وهل هذا صحيح؟
* (٢) فقه السنة: جـ٢ ص٦٧ - ٦٩.
* (٣) والذي تبين أنه ضعيف.
* (٤) نيل الأوطار: جـ٣ ص٣٥٢ - ٣٥٦.

خامسًا: لم يرد عن النبي (ﷺ) شيء في كون المستخير يصلي صلاة الاستخارة، ثم ينام حتى يرى رؤيا تكون نتيجة لصلاة الاستخارة، وهناك أمر آخر وهو أن بعض الناس قد يقعون في البدع وهم لا يدرون، فنجد أن أحدهم إذا أراد أن يعرف الخير في أمر ما يمسك بالمصحف ويقول: افتح سورة كذا آية كذا، أو افتح الصفحة رقم كذا ويختار لنفسه آية، ثم يقول: إن كانت تتكلم عن الجنة أو الخير، فهذا أمر خير، وإن كانت تتكلم عن النار أو الشر، فهذا الأمر شر، وكل هذا من البدع التي لم ترد في الشرع الحنيف.

سادسًا: جاء في الأذكار النووية[1]: وروينا في كتاب الترمذي بإسناد ضعيف ضعفه الترمذي وغيره عن أبي بكر (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) كان إذا أراد الأمر قال: «**اللهم خر لي واختر لي**». انتهى من الأذكار النووية. هذا - والله أعلم - يمكن الاعتداد به كالقول في الأشياء التي يضيق وقتها عن صلاة الاستخارة، كأن تخير بين قبول هديتين في الحال، أو أن تكون أمام دارين لمسلمين، وكل منهما يدعوك للطعام أو أن تمر من هذا الطريق أو ذاك.

سابعًا: ذكر النووي في الأذكار: أنه يستحب الثناء على الله (تعالى) والصلاة على نبيه (ﷺ) في أول دعاء الاستخارة وفي آخره، وقد ذكرت ذلك إتمامًا للفائدة.

ثامنًا: سئل الإمام ابن تيمية (رحمه الله) عن دعاء الاستخارة هل يدعو به في الصلاة أم بعد الصلاة؟

فأجاب: يجوز الدعاء في صلاة الاستخارة وغيرها: قبل السلام، وبعده، والدعاء قبل السلام أفضل، فإن النبي (ﷺ) كان أكثر دعائه قبل أن ينصرف، وهذا أحسن والله أعلم[2]. انتهى. والمقصود بقبل السلام أي: بعد التشهد.

تنبيه:

قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): إنما العطية بقدر النية، وعلى هذا فبقدر تجردك لله، وتوكلك عليه في صلاة الاستخارة، بقدر ما يكفيك سبحانه و(تعالى)، ولا يظلم ربك أحدًا.

تاسعًا: جاء في زاد المعاد لابن القيم تعليقًا على صلاة (دعاء) الاستخارة ما يلي: فتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده (سبحانه وتعالى)، والإقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدة نفسه، والتبري من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإلهه الحق.

وفي مسند أحمد يقول (ﷺ): «**من سعادة ابن آدم استخارة الله ورضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله**». فتأمل كيف وقع المقدور مكتنفًا بأمرين: التوكل الذي هو مضمون الاستخارة قبله والرضا بما يقضي الله له بعده، وهما عنوان السعادة وعنوان الشقاء: فإذا أبرم القضاء وتم، انتقلت العبودية إلى الرضا بعده، كما في المسند عنه (ﷺ): «**وأسألك الرضا بعد القضاء**». هذا أبلغ من الرضا بالقضاء، فإنه قد يكون عزمًا فإذا وقع القضاء، تنحل العزيمة، فإذا حصل الرضا بعد القضاء، كان حالاً أو مقامًا[3].

والمقصود: أن الاستخارة توكل على الله وتفويض إليه، واستقسام بقدرته وعلمه، وحسن اختياره لعبده، وهي من لوازم الرضا به ربًا، الذي لا يذوق طعم الإيمان من لم يكن كذلك وإن رضي بالمقدور بعدها، فذلك

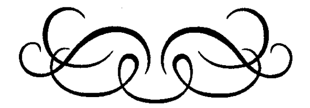
---

* (١) الأذكار النووية بتحقيق الأرناؤوط: ص١٠١.
* (٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢٣ ص١٧٧.
(٣) حسنه الحافظ في الفتح.

علامة سعادته[١]. انتهى.

فائدة:

ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي (رحمه الله تعالى) قال: قال موسى (عليه السلام): يا رب! أي خلقك أكرم عليك؟ قال: الذي لا يزال لسانه رطبًا بذكري، قال: يا رب! فأي خلقك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إلى علمه علم غيره، قال: يا رب! أي خلقك أعدل؟ قال: الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس، قال: يا رب! أي خلقك أعظم ذنبًا؟ قال: الذي يتهمني، قال: يا رب! وهل يتهمك أحد؟! قال: الذي يستخيرني ولا يرضى بقضائي.



(١) زاد المعاد لابن القيم (رحمه الله) جـ٢ ص٤٤٤، ٤٤٥.

الباب السادس

الذكر

الذكر كما عرفه العلماء: هو ما يجري على اللسان والقلب، من تسبيح الله (تعالى) وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال[1]. قال (تعالى): ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال رسول الله (ﷺ): «**مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**». رواه البخاري. وكان بعض العارفين يقول: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله (تعالى) ومعرفته وذكره.

وأخرج البخاري تعليقًا عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس له**».

أولاً: فوائد الذكر

جاء في الوابل الصيب لابن القيم (رحمه الله) ما مختصره[2]:

١ـ أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢ـ أنه يرضي الرحمن (عز وجل).

٣ـ أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

٤ـ أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

٥ـ أنه يقوي القلب والبدن.

٦ـ أنه ينور الوجه والقلب.

٧ـ أنه يجلب الرزق.

٨ـ أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

٩ـ أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

١٠ـ أنه يورثه المراقبة حتى يدخل في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه.

١١ـ أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله (عز وجل).

١٢ـ أنه يورثه القرب منه (سبحانه).

١٣ـ أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

١٤ـ أنه يورثه الهيبة لربه (عز وجل)، وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله (تعالى).

١٥ـ أنه يورثه ذكر الله (تعالى) له كما قال (تعالى): ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾.

١٦ـ أنه يورث حياة القلب[3].

* (١) يقصد بالذكر في كل ما ذكر وسيذكر إن شاء الله (تعالى) الذكر الشرعي.

(٢) راجع كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب ٣٨٨ خاصة شرح معظم هذه الألفاظ بالأدلة والبرهان والبيان (مع مراعاة أنني لم أشر إلى النقاط ٧٤، ٧٥، ٧٦).

* (٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية (قدس الله روحه): الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

١٧ـ أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

١٨ـ أنه يورث جلاء القلب من صدئه، وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر.

١٩ـ أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

٢٠ـ أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه (تبارك و(تعالى).

٢١ـ أن ما يذكر به العبد ربه (عز وجل) من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة.

٢٢ـ أن العبد إذا تعرف إلى الله (تعالى) بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

٢٣ـ أنه ينجي من عذاب الله (تعالى).

٢٤ـ أنه سبب لتنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذكر.

٢٥ـ أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل واللغو.

٢٦ـ أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين.

٢٧ـ أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه.

٢٨ـ أنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة.

٢٩ـ أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله (تعالى) يوم الحر الأكبر في ظل عرشه.

٣٠، ٣١ـ أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

٣٢ـ أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يترتب على غيره من الأعمال.

٣٣ـ أن دوام ذكر الرب (تبارك وتعالى) يوجب الأمان من نسيانه، الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده. قال (تعالى): ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الحشر: ٤].

٣٤ـ أن الذكر يسير على العبد وهو في فراشه وفي سوقه، وفي حالتي صحته وسقمه، وفي حالتي نعيمه ولذته.

٣٥ـ أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط.

٣٦ـ أن الذكر رأس الأصول وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول إلى الله (عز وجل).

٣٧ـ أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله (عز وجل).

٣٨ـ أن الذكر يجمع المتفرق «من القلب والإرادة والهموم» ويفرق المجتمع «من الذنوب وجند الشيطان».

٣٩ـ أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته، وهو أيضًا يقرب البعيد «الآخرة»[1]، ويبعد القريب «الدنيا».

٤٠ـ أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمَّر إليها السالكون، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد.

٤١ـ أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، فهي معية بالقرب والولاية والتوفيق.

٤٢ـ أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله (عز وجل)، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله (عز وجل).

* (١) يقربها إلى قلبه. وأما كون الذكر يبعد الدنيا: أي بالزهد فيها.

٤٣- أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله من لم يذكره.

٤٤- أن أكرم الخلق على الله (تعالى) من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكره.

٤٥- أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله (تعالى).

٤٦- أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه.

٤٧- أن الذكر أصل موالاته (عز وجل) ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها.

٤٨- أن الذكر يوجب صلاة الله (تعالى) وملائكته على الذاكر: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

٤٩- أنه ما استجلبت نعم الله (تعالى) واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله (تعالى).

٥٠- أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر.

٥١- أن مجالس الذكر مجالس الملائكة.

٥٢- أن الله (عز وجل) يباهي بالذاكرين ملائكته.

٥٣- أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك.

٥٤- أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله (تعالى).

٥٥- أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله (عز وجل)، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرًا لله (تعالى) في صومه.

٥٦- أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية أو بدنية مالية كحج التطوع.

٥٧- أن ذكر الله (عز وجل) من أكبر العون على طاعته فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل.

٥٨- أن ذكر الله (عز وجل) يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق.

٥٩- أن ذكر الله (عز وجل) يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن.

٦٠- أن عمال الآخرة في مضمار السباق والذاكرين هم أسبقهم في ذلك المضمار.

٦١- أن الذكر يعطي للذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه.

٦٢- أن الذكر سبب لتصديق الرب (عز وجل) عبده.

٦٣- أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء.

٦٤- أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم.

٦٥- أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب.

٦٦- أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله (عز وجل) فيها، قال مجاهد: إن الجبل لينادي باسمه يا فلان: هل مر بك اليوم ذاكر لله (عز وجل)؟ فمن قائل: لا، ومن قائل: نعم.

٦٧- أن كثرة ذكر الله (عز وجل) أمان من النفاق. قال (عز وجل) في المنافقين: ﴿وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

٦٨- أن للذاكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، ولهذا سميت مجالس الذكر: رياض الجنة.

٦٩- أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورًا في الآخرة.

٧٠- أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة، قال

(تعالى): ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٣].

٧١ـ الذكر ثناء على الله والدعاء سؤال حاجة، فالذكر أفضل من الدعاء.

٧٢ـ الذكر والثناء يجعل الدعاء مستجابًا.

٧٣ـ قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء. هذا من حيث النظر لكل منهما مجردًا، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة. انتهى من الوابل الصيب.

ثانيًا: آداب الذكر كما وردت في تحفة الذاكرين:

ينبغي للذاكر ما يلي:

أن يكون المكان الذي يذكر الله فيه نظيفًا خاليًا، والذاكر على أكمل الصفات الآتية:

أن يكون فمه نظيفًا، وأن يزيل تغيره بالسواك، وأن يستقبل القبلة وأن يتدبر ما يقول ويتعقل معناه، وإن جهل شيئًا تبينه ولا يعتد له بشيء مما رتبه الشارع على قوله حتى يتلفظ به ويسمع نفسه، وأفضل الذكر القرآن إلا فيما شرع بغيره ـ وقد تقدم معنى ذلك ـ والمواظب على الأذكار المأثورة صباحًا ومساءً، وفي الأحوال المختلفة، هو من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، ومن كان له ورد معروف ففاته فليتداركه إذا أمكنه ليعتاد الملازمة عليه[1]. انتهى من تحفة الذاكرين.

ثالثًا: جاء في الأذكار النووية ما مختصره:

أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث، والجنب، والحائض والنفساء، وذلك في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على رسول الله (ﷺ) والدعاء وغير ذلك[2]. انتهى.

تنبيه:

قراءة القرآن لمثل هؤلاء لا تدخل تحت هذا الإجماع.

فصل

في أحوال تعرض للذاكر يستحب له قطع الذكر بسببها ثم يعود إليه بعد زوالها:

منها: إذا سلم عليه رد السلام ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا عطس عنده عاطس شمته ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا سمع الخطيب، وكذا إذا سمع المؤذن أجابه في كلمات الأذان والإقامة ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا رأى منكرًا أزاله، أو معروفًا أرشد إليه، أو مسترشدًا أجابه ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا غلبه النعاس أو نحوه وما أشبه هذا كله.

فصل

اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها، واجبة كانت أو مستحبة، لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له[3]. انتهى.

رابعًا: أذكار الصباح والمساء:

قال ابن القيم (رحمه الله): وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والغروب إلى أن قال

* (١) تحفة الذاكرين: ٣٢.
* (٢) الأذكار النووية: ص٨.
* (٣) راجع كتاب الأذكار النووية من ص٥.

(رحمه الله) : وقال (تعالى): ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، فالإبكار: أول النهار، والعشي: آخره[1]. انتهى.

أذكار الصباح والمساء

مجموعة من تحفة الذاكرين للشوكاني[2] والأذكار النووية[3] والوابل الصيب:

١- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): **«من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه»**. رواه مسلم.

٢- وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: كان النبي (ﷺ) إذا أمسى قال: **«أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر»** وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: **«أصبحنا وأصبح الملك لله»**.

٣- عن أبي هريرة أن رسول الله. (ﷺ) كان يعلم أصحابه يقول: **«إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير»**. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٤- وفي السنن عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله (ﷺ): **«قل»** قلت: يا رسول الله! ما أقول؟ قال: **«قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»**. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٥- عن شداد بن أوس عن النبي (ﷺ) قال: **«سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة»**. رواه البخاري.

٦- وفي الترمذي عن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله (ﷺ): مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: **«قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، وأن نقترف سوءًا على أنفسنا أو نجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»**. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٧- وفي السنن ومستدرك الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لم يكن النبي (ﷺ) يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح: **«اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»**. قال وكيع: يعني الخسف.

٨- قال رسول الله (ﷺ): **«ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلا يضره»**[4]. وكان أبان بن عثمان قد أصابه طرف فالج، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر، أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله على قدره. الحديث أخرجه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي بعد

---

* (١) الوابل الصيب لابن القيم (رحمه الله) ص٨٨ - ٩١.
* (٢) راجع تحفة الذاكرين للشوكاني: ص٣٩ - ٨٠ خصوصًا شرح هذه الأذكار.
* (٣) الأذكار النووية «تحقيق الأرناؤوط» ص٦٦ - ٧٠، وقد اختصرت منه الأذكار من العدد ٢٥ إلى ٢٩.
* (٤) وفي لفظ فيضره شيء.

إخراجه: حديث حسن صحيح.

٩- وفي الترمذي قال رسول الله (ﷺ): **«من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد (ﷺ) نبيًا ورسولا كان حقًا على أن الله أن يرضيه»**، وزاد الطبراني: ثلاث مرات والحديث ضعيف، لكن أخرجه أبو داود بسند جيد غير مقيد بوقت.

١٠- الحديث لفظ رواية الإمام أحمد وصححه النووي قال: كان النبي (ﷺ) إذا أصبح وإذا أمسى قال: **«أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد (ﷺ) وعلى ملة إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين»**.

١١- قال النووي: روينا عن ابن السني عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك، فقال: ما احترق، لم يكن الله ليفعل ذلك، لكلمات سمعتهن من رسول الله (ﷺ) من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: **«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم»**[(١)].

١٢- وفي الترمذي وأبي داود بسند جوَّده النووي قال رسول الله (ﷺ): **«من قال حين يمسي وحين يصبح: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعًا أعتقه الله من النار»**.

١٣- قال رسول الله (ﷺ) لفاطمة: **«ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»**. أخرجه النسائي والحاكم بسند صحيح.

١٤- قال رسول الله (ﷺ): **«من قال حين يمسي وحين يصبح: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة صادقًا بها أم كاذبًا»** أخرجه ابن السني وأبو داود.

١٥- جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله! لقيت عقربًا لدغتني البارحة، وفي رواية: ما لقيت، فقال: **«أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات[(٢)] الله التامات[(٣)] من شر ما خلق، لم تضرك»**. رواه مسلم ولفظ الترمذي: **«من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات، لم تضره حمى تلك الليلة»**. وقال: حديث حسن.

١٦- أخرج الترمذي بإسناد فيه ضعف[(٤)] عن النبي (ﷺ) قال: **«من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾»**

* (١) أورده النووي في الأذكار وقال فيه: ورويناه في كتاب ابن السني. وضعفه الألباني في الكلم الطيب.
* (٢) يعني القرآن.

(٣) الكاملات.

(٤) قال الأرناؤوط في تحقيق الأذكار للنووي: قال الترمذي: هذا حديث غريب وفي بعض النسخ: حسن غريب.

[الحشر: ٢٢ ـ٢٤].

١٧- الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ لأبي داود عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: دخل رسول الله (ﷺ) ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة فقال: **«يا أبا أمامة! ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟!»** قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: **«أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟»** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **«قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»** ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى ديني.

١٨- وفي سنن أبي داود قال رسول الله (ﷺ): **«من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد و لك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»** ـ أي: **«اللهم ما أمسى بي»**.

١٩- قال رسول الله (ﷺ): **«من صلى عليّ حين يصبح عشرًا وحين يمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة»**. أخرجه الطبراني في الكبير.

٢٠- أخرج الطبراني والحاكم في المستدرك قال أبو هريرة: أوصى نبي الله (ﷺ) سلمان الخير فقال: **«إن نبي الله يريد أن يمنحك كلمات تسأل بهن الرحمن ترغب إليه فيهن وتدعو بهن الليل والنهار، قل: اللهم إني أسألك صحة في إيمان**(١)**، وإيمانًا في حسن خلق ونجاحًا**(٢) **يتبعه فلاح ورحمة وعافية ومغفرة منك ورضوانًا»**.

٢١- عن جويرية أم المؤمنين (رضي الله عنها) أن النبي (ﷺ) خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: **«ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟»** قالت: نعم! فقال النبي (ﷺ): **«لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته»**. أخرجه مسلم.

٢٢- أخرج أبو داود وقال الحاكم: صحيح الإسناد، عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: علمني رسول الله (ﷺ) أن أقول عند أذان المغرب: **«اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفرلي»**.

٢٣- قال رسول الله (ﷺ): **«من قال غدوة :لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قديرعشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات وكان له قدر عشر رقاب وأجاره الله من الشيطان ومن قالها عشية مثل ذلك»**. أخرجه النسائي وابن ماجه وأخرجه أحمد والحاكم غير مقيد بوقت.

٢٤- قال رسول الله (ﷺ): **«من قال :لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»**. رواه البخاري.

٢٥- وروينا في كتابي الترمذي وابن السني عن الزبير بن العوام (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: **«ما من صباح ويصبح العباد إلا مناد ينادي: سبحان الملك القدوس»** وفي رواية ابن السني: **«إلا صرخ صارخ: أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس»**. قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

٢٦- وروينا في سنن أبي داود بإسناده لم يضعفه(٣) عن أبي مالك الأشعري (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) قال: **«إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه**

---

(١) صحة في بدني مع إيمان في قلبي.

(٢) النجاح: حصول المطلوب، والفلاح: الفوز بالبغية.

(٣) يعني في سننه، وقد ضعفه خارجها كما قال الحافظ، والحديث حسن بشواهده.

ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ثم إذ أمسى فليقل مثل ذلك».

٢٧- وروينا في سنن أبي داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبت إني أسمعك تدعو كل غـداة: **«اللهم عافني في بدني، اللهم عـافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللـهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بـك من عذاب القبر لا إله إلا أنت»** تعيدها حين تصبـح ثلاثًا، وثلاثًا حين تمسي، فقال: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته[1].

٢٨- وروينا في سنن أبي داود عن ابن عـباس (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) أنـه قال: **«من قـال حين يصبح:** ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٧ : ١٩] **أدرك ما فاته في يومه ذلك ومن قالهـن حين يمسي أدرك ما فاته في لـيلته».** لم يضعفه أبو داود وقد ضعفـه البخاري في تاريخه الكبير، وفي كتابه الضعفاء[2].

٢٩- عن أم سلمـة (رضي الله عنها)، أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أصبح قال: **«اللهم إني أسألك علمًـا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً».** رواه ابن ماجه وحسنه الأرناؤوط في الأذكار النووية. انتهى.

فائدة:

قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ولا طابت الجنة إلا برؤيته.

فصل في أذكار النوم واليقظة

جاء في كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب[3] والأذكار النووية وتحفة الذاكرين ما يلي:

١- في الصحيحين عن حذيفـة قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد أن ينام قال: **«باسمك الـلهم أموت وأحياء»** وإذا استيقظ من منامه قال: **«الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».**

٢- وفي الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أوى إلى فراشه كل لـيلـة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

٣- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه أتاه آت يحثو من الصدقة ـ وكان قد جعله النبي (ﷺ) عليها ـ ليلة بعد ليلة فلما كان في الليلة الثالثة قـال: لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) قال: «دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ـ وكان أحرص شيء على الخير ـ فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَـيُّـومُ﴾ حتى ختـمها فإنه لا يزال عليك من الله حـافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبـح فقال النبي (ﷺ): **«صدقك وهو كذوب».** وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في مسنده أنها جرت لأبي الدرداء ورواه الطبراني في معجمه أنها جرت لأبي بن كعب.

٤- وفي الصحيحين عن ابن مسعود الأنصاري عن النبي (ﷺ) قال: **«من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كـفتـاه»** الصحيح أن معناه كفتاه من شر ما يـؤذيه وقيل: كفتاه من قيام الليل وليس بشيء، قال علي بن أبي طالب: ما كنت أرى أحدًا يغفل قبل أن يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة.

٥- أخرج البخاري ومسلم من حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: إن فاطمة (رضي الله عنها) أتت النبي (ﷺ) تسأله خادمًا فقال: **«ألا أخبرك بما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثًا وثلاثين وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين**

---

(١) وهو حديث حسن.

(٢) ولكن للحديث شواهد بمعناه كما قال الأرناؤوط.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (٩١ ـ ٩٣) والأذكار النووية (٤٠ ـ ٧٤).

وتكبيرين الله أربعًا وثلاثين». قال شيخ الإسلام ابن تيمية (قدس الله روحه): بلغني أن من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره.

٦- وفي الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصنفة إزاره**[١] **ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده وإذا اضطجع فليقل: باسمك اللهم ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

٧- وفي الصحيحين عنه عن النبي (ﷺ): «**إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد على روحي وأذن لي بذكره**».

٨- وفي سنن أبي داود عن حفصة أم المؤمنين أن النبي (ﷺ) كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**» ثلاث مرات. قال الترمذي: حديث حسن.

٩- وفي صحيح مسلم عن أنس أن النبي (ﷺ) كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**».

١٠- وفي صحيحه أيضًا عن ابن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه ان يقول: «**اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية**» قال ابن عمر: سمعتهن من رسول الله (ﷺ).

١١- وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد رمال عالج**[٢] **و إن كانت عدد أيام الدنيا**».

١٢- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر**».

١٣- قال رسول الله (ﷺ): «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول**». في الصحيحين عن البراء بن عازب.

١٤- قال النووي: وروينا في سنن أبي داود والنسائي وغيرهما بالإسناد الصحيح[٣] عن علي (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يقول إذا أخذ مضجعه: «**اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم، اللهم لا يهزم جندك، ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك**».

١٥- وقال النووي أيضًا (رحمه الله): وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن نوفل الأشجعي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك**». قال الأرناؤوط: وهو حديث حسن، حسنه الحافظ في تخريج الأذكار.

---

(١) صنفة الإزار: طرفه.

(٢) العالج: ما تراكم من الرمل.

(٣) قال الأرناؤوط في الأذكار النووية (أذكار الصباح والمساء): بل هو حديث حسن، فإن في سنده علتين تحطه عن مرتبة الصحيح، كما قال الحافظ في تخريجه.

فائدة:

جاء في هامش تحفة الذاكرين: أخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق: عن أبي أمامة قال: إن الشيطان ليأتي إلى فراش الرجل بعد ما يفرشه أهله، فيلقي عليه العود والحجر ليغضبه على أهله فإذا وجد أحدكم ذلك فلا يغضب فإنه عمل الشيطان.

❐ ● ❐

فصل في أذكار الانتباه من النوم

روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبي (ﷺ) قال: **«من تعارَّ من الليل فقال: لاإله إلا الله وحده لا شريك له لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»** تعار: استيقظ من النوم مع كلام.

وفي الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **«من أوى إلى فراشه طاهراً وذكر الله (تعالى) حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله (تعالى) فيها خيراً إلا أعطاه إياه»**. حديث حسن.

بعض الأذكار الأخرى الواردة عن النبي (ﷺ)

١- الخروج من المنزل: في السنن عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): **«من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي»**.

٢- دخول المنزل: وفي سنن أبي داود عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله (ﷺ): **«إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على أهله»**.

دخول المسجد والخروج منه:

٣- في صحيح مسلم وفي سنن أبي داود والنسائي واللفظ لهما عدا مسلم قال رسول الله (ﷺ): **«إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي (ﷺ) وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»**.

٤- ذكر الأذان: جاء في زاد المعاد لابن القيم بتحقيق الأرنؤوط أن هناك خمس سنن تتبع عند سماع الأذان[1]:

(أ) أن يقول السامع كما يقول المؤذن إلا في لفظ «حي على الصلاة حي على الفلاح» فإنه صح عنه (ﷺ) إبدالهما بـ «لا حول ولا قوة إلا بالله» ولم يجئ عنه الجمع بينهما وبين «حي على الصلاة حي على الفلاح» ولا الاقتصار على الحيعلة.

(ب) أن يقول: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينًا. ونص الحديث في صحيح مسلم: قال رسول الله (ﷺ): **«من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ... غفر له»**.

(ج) أن يصلي على النبي (ﷺ) بعد فراغه من إجابة المؤذن، وأكمل ما يصلى عليه به ويصل إليه: هي الصلاة الإبراهيمية (أي كما في التشهد).

---

(١) زاد المعاد: جـ٢ ص٣٩١، ٣٩٢ خصوصًا الهامش.

(د) أن يقول بعد صلاته عليه: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته» «الزيادة يقول: إنك لا تخلف الميعاد» بدعة، كما ورد ذلك في كتاب السنن والمبتدعات وكما أشار المحقق في هامش زاد المعاد بأنها رواية تفرد بها البيهقي وهي ضعيفة.

(هـ) أن يدعو لنفسه بعد ذلك ويسأل الله من فضله فإنه يستجاب له. ا هـ.

٥- ذكر الكرب والغم والحزن والهم: وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

٦- ذكر الدين: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك». وقد تقدم.

٧- ذكر الخوف: في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى أن النبي (ﷺ) كان إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم».

٨- ما يقال عند المصيبة: قالت أم سلمة: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها إلا آجره الله (تعالى) في مصيبته وأخلفه خيرًا منها» قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله (ﷺ)، فأخلف لي خيرًا منه، رسول الله (ﷺ). رواه مسلم[1].

فائدة:

قال رسول الله (ﷺ): «ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعًا[2] إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب». قال ابن كثير: رواه أحمد وابن ماجه.

٩- دخول المقابر: وفي صحيح مسلم عن بريدة كان رسول الله (ﷺ) يعظهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية».

١٠- ما يقال بعد الوضوء: قال رسول الله (ﷺ): «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». رواه مسلم.

١١- ذكر النزول بمنزل يريد نزوله: قال رسول الله (ﷺ): «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك». رواه مسلم.

١٢- عند العطاس: قال (ﷺ): «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم». رواه البخاري.

١٣- الزواج: عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) كان إذا رفأ الإنسان[3] - أي إذا تزوج - قال: «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير». قال الترمذي: حسن صحيح.

١٤- كفارة المجلس: قال رسول الله (ﷺ): «من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا كفر الله له ما كان في مجلسه

---

(١) فإذا ذهبت إلى الحانوت - الدكان - ووجدته مغلقًا فلك أن تقول هذا الدعاء، وأيضًا إذا أوقفت السيارة بالأجرة فلم تقف، بل إذا استيقظت من النوم على أذان الفجر ولم تصل ركعتين قبل الأذان فلك أن تقول هذا الدعاء أيضًا والله أعلم.

(٢) استرجاعًا: قول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) في تحفة الذاكرين: الرفاء: الالتئام والاتفاق، فهو دعاء للمتزوج بأن يحصل الالتئام والاتفاق بينهما.

ذلك». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

١٥- رؤية أهل البلاء: قال رسول الله (ﷺ): «**من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء**». قال الترمذي: حديث حسن.

١٦- ذكر السوق: قال رسول الله (ﷺ): «**من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتًا في الجنة**». الحديث بدون هذه الزيادة: «**وبنى له بيتًا في الجنة**». رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع بهذه الزيادة.

١٧- في الشيء يراه ويخاف عليه العين: قال الله (تعالى): ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ ويذكر عنه (ﷺ) أنه قال: «**من رأى شيئًا أعجبه فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله**».

١٨- عند دخول الخلاء: جاء في الصحيحين: كان (ﷺ) يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، وإذا خرج قال: «**غفرانك**». رواه الإمام أحمد وأهل السنن.

١٩- روى البخاري ومسلم أن رسول الله (ﷺ) قال: «**من حلف منكم فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق، فكل من حلف بغير الله فقد أشرك**،» ويقاس على اللات والعزى الحلف بالنبي والكعبة والذمة وحياتك.

٢٠- دعاء الضالة: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئًا - ضاع منه: قل: اللهم رب الضالة، هادي الضالة، تهدي من الضلالة، رد علي ضالتي بقدرتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك.

٢١- ذكر مجامعة الزوجة: وفي الصحيحين عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) قال: «**إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدًا**».

٢٢- عقد التسبيح بالأصابع أفضل من السبحة: جاء في الوابل الصيب لابن القيم: روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله (ﷺ) يعقد التسبيح بيمينه. رواه أبو داود. وروت يُسَيْرَةُ - إحدى المهاجرات - (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): «**عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات**» رواه الترمذي والحاكم بسند صحيح.

٢٣- في صياح الديكة والنهيق والنباح: وفي الصحيحين قال رسول الله (ﷺ): «**إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا، وإذا سمعتم الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكًا**».

٢٤- ذكر الطعام والشراب: عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله (تعالى) في أوله، فإذا نسي أن يذكر اسم الله (تعالى) في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره**». رواه أبو داود والترمذي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وعن معاذ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من أكل أو شرب فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**». رواه أبو داود والترمذي وقال الترمذي: حديث حسن.

٢٥- ذكر الضيف للمضيف: وعن أنس أن النبي (ﷺ) جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي (ﷺ): «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**».

فائدة:

قال رسول الله (ﷺ): «**أحب الكلام إلى الله (تعالى) أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**». رواه مسلم.

الباب السابع
حكم الإسلام في الغناء

قال (تعالى): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧].

جاء في كتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم (رحمه الله) ما مختصره[١]:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

ومن مكائد عدو الله (إبليس) ومصـايده، التي كاد بها من قلَّ نصيبـه من العلم والعقل والدين، وصاد به قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء[٢] والتصدية والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنى، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكرًا منه وغرورًا، وأوحى إليها الشُّبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجورًا.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه، في تحريم السماع: الحمد لله رب العالمين...

١- أما مالك: فإنه نهى عن الغناء، عن استماعه وقـال: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب.

وسئل مالك (رحمه الله) عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله عندنا الفساق.

٢- قال: وأما أبو حنيفة: فإنه يكره الغناء، ويجعله من الذنوب.

وكذلك مذهب أهل الكوفة: سفيان، وحماد وإبراهيم، والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك، ولا نعلم خلافًا أيضًا بين أهل البصرة في المنع منه.

قلت: مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ الأقوال، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلهـا، كالمزمار، والدف، حتى الضرب بالقـضيب، وصرحوا بأنه معصـية يوجب الفسق، وترد به الشهادة، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فسق، والتلذذ به كفر، هـذا لفظهم ورووا حديثًا لا يصح رفعه.

قالوا: ويجب عليه أن يجتهد في ألا يسمعه إذا مر به، أو كان في جواره.

وقال أبو يوسف، في دار يسمـع منها صوت المعازف والملاهي: ادخل عليهم بغـير إذنهم، لأن النهي عن المنكر فرض، فلو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة الفرض.

قالوا: ويتقدم إليه الإمـام إذا سمع ذلك من داره، فإن أصر حبسه أو ضربه سـياطًا، وإن شاء أزعجه عن داره[٣].

٣- وأما الشـافعي: فقـال في كتاب «أدب القـضاء»: إن الغناء لهـو مكروه يشبه البـاطل والمحال، ومن استكثر منه فـهو سفيه ترد شهادته، وصـرح أصحابه العارفون بمذهبه بتـحريمه، وأنكروا على من نسب إليه حله، كالقاضي أبي الطيب الطبري، والشيخ أبي إسحاق والصباغ.

قال الشـيخ أبو إسحاق في «التنبيـه»: ولا تصح ـ يعني الإجازة ـ على منفعـة محرمة، كـالغناء والزمر،

---

(١) إغاثة اللهفـان لابن القيم: ٢٢٤، ٢٦٧ وأيضًا تحقيق هذه الصفـحات في كتيب مستـقل «حكم الإسلام فـي الغناء» مع مراعاة أن ما قمت بحذفه لا يتصل بالأحكام الفقهية.

(٢) المكاء: الصفير بالفم أو تشبيك الأصابع، والنفخ فيها، التصدية: التصفيق.

(٣) أي طرده منها.

وحمل الخمر، ولم يذكر فيه خلافًا[١].

وقال في المهذب: ولا يجوز على المنافع المحرمة، لأنه محرم، فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم.

فقد تضمن كلام الشيخ أمورًا:

أحدها: أن منفعة الغناء بمجرده منفعة محرمة.

الثاني: أن الاستئجار عليها باطل.

الثالث: أن أكل المال به أكل مال بالباطل، بمنزلة أكله عوضًا عن الميتة والدم.

الرابع: أنه لا يجوز للرجل بذل ماله للمغني، ويحرم عليه ذلك، فإنه بذل مال في مقابلة محرم، وإن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة.

الخامس: أن الزمر حرام، وإذا كان الزمر ـ الذي هو أخف آلات اللهو ـ حرامًا فكيف بما هو أشد منه؟ كالعود والطنبور واليراع، ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك، فأقل ما فيه: أنه شعار الفساق وشاربي الخمور، وكذلك قال أبو زكريا النووي في روضته.

القسم الثاني:

أن يغني ببعض آلات الغناء، بما هو من شعار شاربي الخمر، وهو مطرب كالطنبور[٢] والعود والصنج[٣] وسائر المعازف والأوتار: يحرم استعماله.

قال: وفي اليراع وجهان: صحح البغوي التحريم، ثم ذكر عن الغزالي الجواز، قال: والصحيح تحريم اليراع، وهو الشبابة.

وقد صنف أبو القاسم الدولعي كتابًا في تحريم اليراع، وقد حكى أبو عمر بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع، الذي جمع الدف والشبابة، والغناء، فقال في فتاويه: وأما إباحة هذا السماع وتحليله، فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام، عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ـ ممن يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف ـ أنه أباح هذا السماع، والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة منفردة، والدف منفردًا، فمن لا يحصل ولا يتأمل، ربما اعتقد خلافًا بين الشافعيين في هذا السماع الجامع هذه الملاهي، وذلك وهم بيِّن من الصائر إليه تنادي عليه أدلة الشرع والعقل، مع أنه ليس كل خلاف يستروح إليه، ويعتمد عليه، ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء، وأخذ بالرخص من أقاويلهم، تزندق أو كاد، قال: وقولهم في السماع المذكور: إنه من القربات والطاعات قول مخالف لإجماع المسلمين ومن خالف إجماعهم فعليه ما في قوله (تعالى): ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. [النساء: ١١٥] وأطال الكلام في الرد على هاتين الطائفتين اللتين هما بلاء الإسلام، منهم المحللون لما حرم الله، والمتقربون إلى الله بما يباعدهم عنه.

والشافعي وقدماء أصحابه، والعارفون بمذهبه من أغلظ الناس قولاً في ذلك، وقد تواتر عن الشافعي أنه قال: خلفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير ـ يعني الضرب بالقضيب على المخدة من الجلود حتى يطير الغبار، وكان الصوفية يفعلون ذلك مع إنشادهم الأشعار الملحنة ـ يصدون به الناس عن القرآن.

فإذا كان هذا قوله في التغبير وتعليله أنه يصد عن القرآن، وهو شعر يزهد في الدنيا، يغني به مغن،

---

(١) الإجارة: الجزاء على العمل.

(٢) الطنبور: ذكر أهل العلم أن معنى الطنبور آلة الحمل لأنه يشبهها فعلى هذا فهو العود الأفرنجي. والله أعلم.

(٣) الصنج: آلة بأوتار يضرب عليها.

فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع - يعني بساط من الأديم أي الجلد - أو مخدة على توقيع غناء، فليت شعري ما يقول في سماع التغبير وهو كتفلة في بحر، قد اشتمل على كل مفسدة، وجمع كل محرم، فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل.

قال سفيان بن عيينة: كان يقال: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

ومن تأمل الفساد الداخل على الأمة وجده من هذين المفتونين.

فصل:

٤ - وأما مذهب الإمام أحمد، فقال عبد الله ابنه: سألت أبي عن الغناء؟ فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب ولا يعجبني. ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

قال أحمد: وقال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم، أو زلة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله.

ونص على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره، إذا رآها مكشوفة، وأمكنه كسرها، وعنه في كسرها إذا كانت مغطاة تحت ثيابه وعلم بها روايتان منصوصتان، ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية، وأرادوا بيعها، قال: لا تباع إلا على أنها ساذجة، فقالوا: إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفًا أو نحوها، وإذا بيعت ساذجة لا تساوي ألفين، فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة.

ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الأيتام.

فصل:

وأما سماعه من المرأة الأجنبية، أو الأمرد: فمن أعظم المحرمات وأشدها فسادًا للدين.

قال الشافعي (رحمه الله): وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته، وأغلظ القول فيه، وقال: هو دياثة، فمن فعل ذلك كان ديوثًا.

قال القاضي أبو الطيب: وإنما جعل صاحبها سفيهًا، لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهًا فاسقًا.

قال: وكان الشافعي يكره التغبير، وهو الطقطقة بالقضيب ويقول: وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن.

قال: وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق.

أسماء الغناء في القرآن والسنة:

هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني، له في الشرع بضعة عشر اسمًا: اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنى، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمار الشيطان، والسمود.

فصل: فالاسم الأول: اللهو

قال (تعالى): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧].

قال الواحدي وغيره: أكثر المفسرين: على أن المراد بلهو الحديث: الغناء.

وعن ابن عباس في قوله (تعالى): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: هو الرجل يشتري الجارية تغنيه ليلاً ونهارًا.

قال الواحدي: وهذه الآية على هذا التفسير تحرم الغناء، ثم ذكر كلام الشافعي في رد الشهادة بإعلان

الغناء.

قال: وأما غناء القينات ـ يعني الإماء والمغنيات ـ فذلك أشد ما في الباب، وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه، وهو ما روي أن النبي (ﷺ) قال: **«من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة»**[1] الآنك: الرصاص المذاب.

إذا عرفت هذا، فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من هذا الذم بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن، وإن لم ينالوا جميعه، فإن الآيات ذمت من استبدل لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا، وإذا تتلى عليه آيات القرآن ولَّى مستكبرًا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرًا وهو الثقل والصمم وإذا علم من آياتنا شيئًا استهزأ به، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفرًا وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعيهم، فلهم حصة ونصيب من هذا الذم.

يوضحه: أنك لا تجد أحدًا عني بالغناء وسماع آلاته، إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى، علمًا وعملاً، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عنه إلى ذلك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ ويستطيل قراءته، ويستزيد المغني ويستقصر نوبته، وأقل ما في هذا: أن يناله نصيب وافر من هذا الذم، إن لم يحظ به جميعه، والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها، فأما من مات قلبه وعظمت فتنته، فقد سد على نفسه طريق النصيحة: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

❑ ● ❑

فصل: الاسم الثاني والثالث: الزور، اللغو

قال (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال محمد ابن الحنفية: الزور ها هنا الغناء، وقاله ليث عن مجاهد، وقال الكلبي: لا يحضرون مجالس الباطل.

واللغو في اللغة: كل ما يلغى ويطرح، والمعنى: لا يحضرون مجالس الباطل، وإذا مروا بكل ما يلغى من قول وعمل، أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه أو يميلوا إليه، ويدخل في هذا: أعياد المشركين، كما فسرها به السلف، والغناء، وأنواع الباطل كلها.

قال الزجاج: لا يجالسون أهل المعاصي، ولا يمالئونهم ـ أي يساعدونهم ويعينونهم ـ عليها ومروا مر الكرام الذين لا يرضون باللغو، لأنهم يكرمون أنفسهم عن الدخول فيه والاختلاط بأهله، وقد روي أن عبد الله ابن مسعود (رضي الله عنه)، مر بلهو فأعرض عنه، فقال رسول الله (ﷺ): **«إن أصبح ابن مسعود لكريمًا»**[2]، وقد أثنى الله (سبحانه) على من أعرض عن اللغو إذا سمعه بقوله (تعالى): ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

وهذه الآية وإن كان سبب نزولها خاصًا، فمعناها عام، متناول لكل من سمع لغوًا فأعرض عنه، وقال بلسانه أو بقلبه لأصحابه: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾، وتأمل كيف قال (سبحانه): ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ولم يقل: بالزور، لأن (يشهدون) بمعنى: يحضرون، فمدحهم على ترك حضور مجالس الزور فكيف بالتكلم به

---

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه ابن عساكر عن أنس وهو ضعيف.

(٢) بهامش الأصل: «إن أصبح» يعني (قد) لأن «إن» المكسورة المسكنة من فوائدها أن تأتي بمعنى «قد» قاله ابن هشام في مغني اللبيب، ا.هـ . والحديث ذكره ابن كثير في الآية من طريق ابن أبي حاتم وفيه: «لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريمًا».

وفعله؟ والغناء من أعظم الزور، والزور: يقال على الكلام الباطل وعلى العمل الباطل، وعلى العين نفسها.

❑ ● ❑

فصل: الاسم الرابع: الباطل

والباطل ضد الحق، يراد به المعدوم الذي لا وجود له، والموجود الذي مضرة وجوده أكثر من منفعته، فمن الأول: قول الموحد: كل إله سوى الله باطل، ومن الثاني قوله: السحر باطل، والكفر باطل، قال (تعالى): ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

فالباطل إما معدوم لا وجود له، وإما موجود لا نفع له، فالكفر والفسوق والعصيان، والسحر والغناء واستماع الملاهي، كلها من النوع الثاني.

وقال رجل لابن عباس (ﷺ): ما تقول في الغناء، أحلال هو أم حرام؟

فقال: لا أقول حرامًا إلا ما في كتاب الله، فقال: أفحلال هو؟ فقال: ولا أقول ذلك، ثم قال له: أرأيت الحق والباطل، إذا جاءا يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك.

فهذا جواب ابن عباس (ﷺ)، عن غناء الأعراب الذي ليس فيه مدح الخمر والزنى واللواط والتشبيب ـ يعني إظهار المفاتن ووصف الجمال ـ بالأجنبيات وأصوات المعازف، والآلات المطربات، فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول، فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته.

❑ ● ❑

فصل: الخامس: وأما اسم المكاء والتصدية

فقال (تعالى) عن الكفار: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [القصص: ٥٥]، قال ابن عباس وابن عمر وعطية ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

قال ابن عباس: كانت قريش يطوفون بالبيت عراة ويصفرون ويصفقون.

والمقصود:

أن المصفقين والصفارين في يراع أو مزمار ونحوه فيهم شبه من هؤلاء، ولو أنه مجرد الشبه الظاهر، فلهم قسط من الذم، بحسب تشبههم بهم، وإن لم يتشبهوا بهم في جميع مكائهم وتصديتهم، والله (سبحانه) لم يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابهم أمر، بل أمروا بالعدول عنه إلى التسبيح، لئلا يتشبهوا بالنساء، فكيف إذا فعلوه لا لحاجة، وقرنوا به أنواعًا من المعاصي قولاً وفعلاً؟

❑ ● ❑

فصل: السادس: وأما تسميته رقية الزنا

فهو موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه، فليس في رقية الزنا أنجع منه، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل ابن عياض.

قال ابن أبي الدنيا: أخبرني محمد بن الفضل الأزدي قال: نزل الحطيئة برجل من العرب، ومعه ابنته مليكة، فلما جنّه الليل سمع غناء، فقال لصاحب المنزل: كف هذا عني، فقال: وما تكره من ذلك؟ فقال: إن الغناء رائد من رادة الفجور، ولا أحب أن تسمعه هذه ـ يعني ابنته ـ فإن كففته وإلا خرجت عنك.

ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه.

ومن الأمر المعلوم عند القوم: أن المرأة إذا استعصت على الرجل، اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطي الليان.

وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جدًا فإذا كان الصوت بالغناء صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت، ومن جهة معناه، ولهذا قال النبي (ﷺ) لأنجشة حاديه[1]: «يا أنجشة رويدك، رفقًا بالقوارير» [2](يعني النساء).

فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقية والشبابة والرقص بالتخنث والتكسر، فلو حبلت المرأة من غناء لحبلت من هذا الغناء.

❑ ● ❑

فصل: السابع: وأما تسميته منبت النفاق

فعن ابن مسعود (رضي الله عنه)، قال: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع.

خواص الغناء:

اعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء.

فمن خواصه: أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا، لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهي عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، ومجانبة شهوات النفس، وأسباب الغي، وينهي عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها، ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح، فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن، فإذا استمع إلى الغناء ومال إليه نقص عقله، وقل حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلى عنه وقاره ، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله (تعالى) إيمانه، وثقل عليه قرآنه، وقال: يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد، فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه، وأبدى من سره ما كان يكتمه، وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب، والزهزهة[3]،والفرقعة بالأصابع، فيميل برأسه ويهز منكبيه، ويضرب الأرض برجليه، ويدق على أم رأسه بيديه، ويثب وثبات الذباب ويدور دوران الوجد ولا كخوار الثيران، وتارة يتأوه تأوه الحزين، وتارة يزعق زعقات المجانين.

وقال بعض العارفين: السماع يورث النفاق في قوم، والعناد في قوم، والكذب في قوم، والفجور في قوم، والرعونة في قوم، وأكثر ما يورث عشق الصور، واستحسان الفواحش، وإدمانه يثقل القرآن على القلب، ويكره إلى سماعه بالخاصية، وإن لم يكن هذا نفاقًا فما للنفاق حقيقة.

وسر المسألة: أنه قرآن الشيطان ـ كما سيأتي ـ فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبدًا.

وأيضًا فإن أساس النفاق: أن يخالف الظاهر الباطن، وصاحب الغناء بين أمرين: إما أن يتهتك ـ أي لم يبال أن يهتك سره حين يرتكب خطأ ـ فيكون فاجرًا، أو يظهر النسك فيكون منافقًا، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات، ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو، وما يدعو إليه الغناء ويهيجه، فقلبه بذلك معمور، وهو من محبة الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر ـ أي خال ـ وهذا محض النفاق.

وأيضًا فإن الإيمان قول وعمل، قول بالحق، وعمل بالطاعة، وهذا ينبت على الذكر، وتلاوة القرآن،

---

(١) الحادي: الذي ينشد الإبل حتى تسرع في السير.

(٢) كان أنجشة عبدًا حسن الصوت، يحدو بأمهات المؤمنين، رواه البخاري ومسلم.

(٣) الخيلاء.

والنفاق قول الباطل، وعمل البغي، وهذا ينبت على الغناء.

وأيضًا فمن علامات النفاق: قلة ذكر الله والكسل عند القيام للصلاة، ونقر إلى الصلاة، وقل أن تجد مفتونًا بالغناء إلا وهذا وصفه.

وأيضًا فإن النفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر، فإنه يحسن القبيح ويزينه ويأمر به، ويقبح الحسن ويزهد فيه، وذلك عين النفاق.

❐ ● ❐

فصل: الثامن: وأما تسميته قرآن الشيطان:

فمأثور عن التابعين، وقد روي في حديث مرفوع: قال قتادة: لما أهبط إبليس قال: يا رب لعنتني فما عملي؟ قال: السحر، قال: فما قرآني؟ قال: الشعر، قال فما كتابي؟ قال: الوشم[1] قال: فما طعامي؟ قال: كل ميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه، قال فما شرابي؟ قال: كل مسكر قال: فأين مسكني؟ قال: الأسواق، قال: فما صوتي؟ قال: المزامير، قال: فما مصايدي؟ قال: النساء.

هذا، والمعروف في هذا وقفه، وقد رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة مرفوعًا إلى النبي (ﷺ).

والمقصود: أن الغناء المحرم قرآن الشيطان: ولما أراد عدو الله أن يجمع عليه نفوس المبطلين قرنه بما يزينه من الألحان المطربة، وآلات الملاهي والمعازف، وأن يكون من امرأة جميلة أو صبي جميل، ليكون ذلك أدعى إلى قبول النفوس لقرآنه، يعوضها به عن القرآن المجيد.

فصل: التاسع والعاشر: وأما تسميته بالصوت الأحمق والصوت الفاجر

فهي تسمية الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، فروى الترمذي من حديث ابن أبي ليلى عن عطاء عن جابر (رضي الله عنه)، قال: خرج رسول الله (ﷺ) مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخل، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه - أي يحتضر - فوضعه في حجره، ففاضت عيناه، فقال عبد الرحمن: أتبكي، وأنت تنهى الناس؟ قال: «**إني لم أنه عن البكاء، وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة: لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه - أي لطم الوجوه وضربها - وشق جيوب - أي القمصان - ورنة - أي صياح - وهذا هو رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم، لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وإن آخرنا سيلحق أولنا، لحزنا عليك حزنًا هو أشد من هذا وإنا بك لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب**»، [قال الترمذي: هذا حديث حسن].[2]

فانظر إلى هذا النهي المؤكد بتسمية صوت الغناء صوتًا أحمق، ولم يقتصر على ذلك، حتى وصفه بالفجور، ولم يقتصر على ذلك حتى سماه من مزامير الشيطان، وقد أقر النبي (ﷺ) أبا بكر الصديق على تسمية الغناء مزمور الشيطان في الحديث الصحيح - كما سيأتي - فإن لم يستفد التحريم من هذا لم نستفده من نهي أبدًا.

❐ ● ❐

فصل: الحادي عشر: وأما تسميته صوت الشيطان

فقد قال الله (تعالى) للشيطان وحزبه: ﴿اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣، ٦٤].

---

(١) الوشم: أي ما يكون من غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه حتى يزرق أثره أو يخضر.

* (٢) وقد حسنه الألباني أيضًا في صحيح سنن الترمذي.

قال ابن أبي حاتم في تفسيره: عن ابن عباس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قال: كل داع إلى معصية.

ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية ولهذا فسر صوت الشيطان به.

قال ابن أبي حاتم عن ليث: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قال: استزل منهم من استطعت، قال: وصوته الغناء والباطل.

وبهذا الإسناد عن منصور عن مجاهد قال: صوته هو المزمار، ثم روى بإسناده عن الحسن البصري قال: صوته هو الدف.

وهذه الإضافة إضافة تخصيص، كما أن إضافة الخيل والرجل إليه كذلك، فكل متكلم بغير طاعة الله، ومصوت بيراع أو مزمار، أو دف حرام أو طبل، فذلك صوت الشيطان، وكل ساع في معصية الله على قدميه فهو من رجله، وكل راكب في معصية الله فهو من خيالته، كذلك قال السلف، كما ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: رجله: كل رجل مشت في معصية الله (تعالى).

❐ ● ❐

فصل: الثاني عشر: وأما تسمية مزمار الشيطان

ففي الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها)، قالت: دخل عليَّ النبي (ﷺ) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث[1]، فاضطجع على الفراش، وحول وجهه ودخل أبو بكر (رضي الله عنه)، فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند النبي (ﷺ)؟ فأقبل عليه رسول الله (ﷺ) فقال: «دعهما،» فلما غفل غمزتهما، فخرجتا، فلم ينكر رسول الله (ﷺ) على أبي بكر تسمية الغناء مزمار الشيطان، وأقرهما، لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب، الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة، والحرب، وكان اليوم يوم عيد، فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية أو صبي أمرد صوته فتنة وصورته فتنة، يغني بما يدعو إلى الزنا والفجور، وشرب الخمور، مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله (ﷺ) في عدة أحاديث - كما سيأتي - مع التصفيق والرقص، وتلك الهيئة المنكرة التي لا يستحلها أحد من أهل الأديان، فضلاً عن أهل العلم والإيمان، ويحتجون بغناء جاريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب ونحوه، في الشجاعة ونحوها، في يوم عيد بغير شبابة ولا دف ولا رقص ولا تصفيق، ويدعون المحكم الصريح، لهذا المتشابه، وهذا شأن كل مبطل.

نعم ... نحن لا نحرم ولا نكره مثل ما كان في بيت رسول الله (ﷺ) على ذلك الوجه وإنما نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك، وبالله التوفيق.

❐ ● ❐

فصل: الثالث عشر: وأما تسميته بالسمود

فقد قال (تعالى): ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١]. قال عكرمة عن ابن عباس: السمود الغناء في لغة حمير.

يقال أسمدي لنا أي غني لنا، ثم ذكر (رحمه الله) عدة تفسيرات أخرى للسمود.

فائدة:

قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن القبلة بريد الجماع، . والغناء بريد الزنا، والنظر بريد

---

(٢) بعاث بضم الموحدة، وبعدها عين مهملة وآخرها ثاء مثلثة، وهو حصن للأوس ويقال: كان في دار بني قريظة على ليلتين من المدينة، كان يوم بعاث آخر العداء والقتال بين الأوس والخزرج وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح، فلما هاجر رسول الله (ﷺ) طهر الله قلوبهم من هذا الإحن، وأنعم عليهم بأخوة الإسلام، فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا.

العشق، والمرض بريد الموت.

❑ ● ❑

في بيان تحريم رسول الله (ﷺ) لآلات اللهو والمعازف (الموسيقى) وسياق الأحاديث في ذلك

عن عبد الرحمن بن غنم قال: حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري (رضي الله عنه)، أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: «**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر - أي الزنا - والحرير والخمر والمعازف**»، [هذا الحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه محتجًا به].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ**» قيل: يا رسول الله متى؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر**»، وفي المسند عن ابن عباس (رضي الله عنه)، أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام**»، والكوبة: الطبل، قاله سفيان[1]. وقيل البربط[2] والقنين هو الطنبور بالحبشية والتقنين: الضرب به. قاله ابن الأعرابي.

وقال ابن أبي الدنيا: عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير**» قالوا: يا رسول الله أليسوا يشهدون أن لا إله إلا الله وحده وأن محمدا رسول الله؟ قال: «**بلى، ويصومون ويصلون، ويحجون**» قيل: فما بالهم؟ قال: «**اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير**».

وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة، وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء، وشاربي الخمر، وفي بعضها مطلق، قال ابن سالم بن الجعد: ليأتين على الناس زمان يجتمعون فيه على باب رجل ينتظرون أن يخرج إليهم، فيطلبون إليه حاجة فيخرج إليهم وقد مسخ قردًا أو خنزيرًا وليمرن الرجل على الرجل في حانوته يبيع فيرجع إليه وقد مسخ قردًا أو خنزيرًا.

وقال أبو هريرة (رضي الله عنه): لا تقوم الساعة حتى يمشي الرجلان إلى الأمر يعملانه فيمسخ أحدهما قردًا أو خنزيرًا، فلا يمنع الذي نجا منهما ما فعل بصاحبه أن يمضي إلى شأنه ذلك حتى يقضي شهوته، وحتى يمشي الرجلان إلى الأمر يعملانه، فيخسف بأحدهما، فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمشي لشأنه ذلك، حتى يقضي شهوته منه.

فالظاهر مرتبط بالباطن أتم ارتباط، فإذا استحكمت الصفات المذمومة في النفس قويت على قلب الصورة الظاهرة، ولهذا خوف النبي (ﷺ) من سابق الإمام في الصلاة بأن يجعل الله صورته صورة حمار لمشابهته للحمار في الباطن، فإنه لم يستفد من مسابقة الإمام إلا فساد صلاته، وبطلان أجره، فإنه لا يسلم قبله، فإنه شبيه بالحمار في البلادة وعدم الفطنة.

إذا عرف هذا فأحق الناس بالمسخ هؤلاء الذين ذكروا في هذه الأحاديث فهم أسرع الناس مسخًا قردة وخنازير فمشابهتهم لهم في الباطن وعقوبات الرب (تعالى) - نعوذ بالله منها - جارية على وفق حكمته ووعيده. انتهى كلام ابن القيم (رحمه الله) ونفعنا الله بعلمه .. آمين.

❑ ● ❑

خاتمة

يا رب، لو أدركت القلوب عظمتك، لكان شهيقها القرآن، وزفيرها الذكر، ونبضها الدعاء.

❑ ● ❑

---

(١) في القاموس: الكوبة: بضم الكاف: النرد، والشطرنج، والطبل الصغير المخصر والفهر والبربط.

(٢) البربط: العود.

الباب الثامن

داء العشق ودواؤه

أولاً: جاء في كتاب «الجواب الكـافي» لابن القيم (رحمه الله) ما مختصره: والله (سـبحانه وتعالى) إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس[1] وهم قوم لوط والنساء، فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صـار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الـذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبّره الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي هنا في غاية القوة، ومع هذه الدواعي كلها فقد آثر مرضاة الله وخوفه وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنا فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] وعلم أنه لا يطيق صـرف ذلك عن نفسه، وأن ربـه (تعالى) إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن، صبا إليهن بطبعـه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه[2]، وفـي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة[3].

❑ ● ❑

فصل

والطائفة الثـانية، الذي حكى الله عنهم العشق، هم الـلوطية كما قـال (تعالى): ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٦٧ ـ ٧٢]، فهذا من العشق، ولم يبال بما في عشقه من الضرر.

فحكاه (سبحانه) عن طـائفتين، عشق كل منهما ما حرم عليه من الصـورة وهـذا داء أعيا الأطباء دواؤه، وعز عليهم شـفاؤه، وهو والله الداء العضال والسم القـتال الذي ما علق بقلب إلا وعز على الـورى استنقاذه من إساره، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره، وهو أقسام: تارة يكون كفرًا، كمن اتخذ معشوقه ندًا، يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهـذا عشق لا يغفر الله لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك والله لا يغفر أن يشرك به وإنما يغـفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك، وعلامة هـذا العشق الشركي الكفري، أن يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحق ربه، وطاعة ربه، وطاعته، قدم حق مـعشوقه على حق ربه وآثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقـه أنفس ما يقدر عليه وبذل لربه ـ إن بذل ـ أردأ ما عنده واسـتفرغ وسعه في مـرضاة معشوقـه وطاعته والتقـرب إليه، وجعل لربه ـ إن أطاعه ـ الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته.

فتأمل حال أكثر عشاق الصور، هل تجـدها إلا مطابقة لذلك؟ ثم ضع حالهم في كفة وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزنًا يرضي الله ورسـوله ويطابق العدل، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معـشوقه أحب إليه من توحيد ربه.

ولا ريب أن هـذا العشق مـن أعظم الشرك، وكثير من العـشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه مـوضع لغير

---

* (١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (رحمه الله): ٢١٩ ـ ٢٣٠.

* (٢) جاء في مـدارج السالكين جـ٢ ص١٥٦: قال ابن القيم (رحـمه الله): وسمعت شـيخ الإسلام ابن تيمـية (قدس الله روحه) يقول كـان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العـزيز على شأنها أكمل من صبـره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمـور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها، ليس للعبـد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس... .

(٣) تنبيه: لم أختصر كثيرًا من كتاب الجواب الكافي.

معشوقه البتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كلـه، فصار عبدًا مخلصًا من كل وجه لمعشوقه، فقد رضي هـذا من عبودية الخالق (جل جلاله) بعبوديته لمخلوق مثله، فإن العبـودية هي كمال الحب والخضوع، وهـذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذله لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية.

ولا نسبة بـين مفسدة هـذا الأمـر العظيم ومفسدة الفـاحشة، فإن تلك ذنب كـبير، لفاعله حكـم أمثاله، ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك، وكان بعـض الشيوخ من العارفين يقول: لأن أُبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إليَّ من أن أُبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله.

❑ ● ❑

فصل: في علاج العشق

ودواء هـذا الداء القتال: أن يعـرف أن ما ابتلي به من هـذا الداء المضاد للتوحيـد إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله، فعليه أن يعرف توحيد ربه من سننه وآياته أولاً، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله (سبحانه) في صرف ذلك عنه، وأن يرجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فأخبر (سبحانه) أنه صرف عن يوسف السوء من العشق، والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص عمله لله لم يتـمكن منه عشق الصور، فإنه إنما يتمكن من القلب الفارغ، كما قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

انتهى.

❑ ● ❑

فوائد:

قال الإمام أحـمد: من دعاك إلى غير التزوج فـقد دعاك إلى غير الإسلام، ولقـد تزوج (رحمه الله) في اليوم الثاني من وفاة امـرأته وقال: أكره أن أبيت عزبًا. وكان ابن مسعود يقول: لو لـم يبق من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج حتى لا ألقى الله عزبًا، ومن أقواله (ﷺ): :التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله (تعالى): ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وقال عمر (ﷺ): إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تسبحه وتذكره.

وأعود إلى كلام ابن القيم (رحمه الله):

آفات العشق:

الأولى: الاشتغال بذكر المخلوق وحبه عن حب الرب (تعالى) وذكره، فلا يجتمع في القلب هـذا وهـذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

الثانية: عذاب قلبه بمعشوقه، فإن من أحب شيئًا غير الله عذب به ولا بد كما قيل:

فـمـا فى الأرض أشـقى من مـحب ... وإن وجـد الهـوى حلـو المذاق
تـراه باكـيًـا فـى كل حـين ... مـخافـة فـرقـة أو لاشـتيـاق
فـيـبكي إن نأوا شـوقًـا إلـيـهم ... ويبكي إن دنوا خـوف الفـراق
فـتـسـخن عـينه عند الـفـراق ... وتسـخن عـينه عـند التـلاق

والعشق وإن استلذ به صاحبه فهو من أعظم عذاب القلب.

الثالثة: أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه، فقلبه كالعصفور في كف الطفل يورده حياض الردئ، والطفل يلهو ويلعب، فيعيش العاشق عيش الأسير الموثوق ويعيش الخلي عيش المسيب المطلب، والعاشق كما قيل:

طليق برأي العين وهو أسير ... عليل على قطب الهلاك يدور

وميت يرى فى صورة الحي غاديًا ... وليس له حتى النشور نشور

أخو غمرات ضاع فيهن قلبه ... فليس له حتى الممات حضور

الرابعة: أنه يشتغل عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيء تشعيبًا وتشتيتًا له، وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامسة: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب، وسبب ذلك أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به بعد من الله، فأبعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإن الشيطان يتولاه، ومن تولاه عدوه واستولى عليه لم يأله وبالاً، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن بقلب تمكن منه عدوه، وأحرص الخلق على عيبه وفساده وبعده من وليه وعن وليه، ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور إلا بقلبه وولايته؟

السادسة: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه أفسد الذهن وحدث الوسواس، وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها، وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها يشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالبهائم بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضر به إلا العشق؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوى، فقلت ... لهم العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون بالحين

السابعة: أنه ربما أفسد الحواس أو أنقصها، إما إفسادًا معنويًا أو صوريًا؛ أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسنًا منه، ومن معشوقه كما في المسند مرفوعًا: «**حبك الشيء يعمي ويصم**»، فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه فلا ترى العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العدل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك والرغبات تستر العيوب، فإن الراغب في شيء لا يرى عيوبه حتى إذا زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدة الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشيء على ما هو عليه.

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه، ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه، ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيرًا من الذين ولدوا في الإسلام، قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): إنما تنتقض عرى الإسلام عروة عروة إذا ولد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

وأما إفساده للحواس ظاهرًا: فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه، كما هو معروف في أخبار من قتله العشق.

وقد رفع إلى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد نحل حتى عاد جلدًا على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا:

به العشق، فجعل ابن عباس يتعوذ بالله من العشق عامة يومه.

الثامنة: أن العشق ـ كما تقدم ـ هو الإفراط في المحبة، بحيث يستولي المعشوق على القلب من العاشق، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والتفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعسر دواؤه ويتعذر أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك فيعجز البشر عن صلاحه، كما قيل:

الحب أول ما يكون لجاجة ... يأتي بها وتسوقه الأقدار

حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى ... جاءت أمور لا تطاق كبار

والعشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، إن لم تتداركه عناية من الله.

والعاشق له ثلاث مقامات: مقام ابتداء، ومقام توسط، ومقام انتهاء.

فأما مقام ابتدائه: فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذرًا قدرًا وشرعًا، فإن عجز من ذلك وأبى قلبه إلا السفر إلى محبوبه، وهذا مقام التوسط والانتهاء فعليه كتمان ذلك وألا يفشيه إلى الخلق، ولا يشمت بمحبوبه ولا يهتكه بين الناس، فيجمع بين الظلم والشرك، فإن الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع الظلم، وربما كان أعظم ضررًا على المعشوق وأهله من ظلمه في ماله، فإنه يعرض المعشوق بهتكه في عشقه إلى وقوع الناس فيه، وانقسامه إلى مصدق ومكذب، وأكثر الناس يصدق هذا الباب بأدنى شبهة، وإذا قيل: فلان فعل بفلان أو بفلانة، كذبه واحد، وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون، وخبر العاشق المتهتك عن غير المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع واليقين، بل إذا أخبرهم المفعول به عن نفسه كذبًا وافتراء على غيره جزموا بصدقه جزمًا لا يحتمل النقيض، بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقًا، جزموا أن ذلك عن وعد واتفاق بينهما، وجزمهم في هذا الباب على الظنون والتخييل والشبهة والأوهام والأخبار الكاذبة كجزمهم بالحسيات المشاهدة، وبذلك وقع أهل الإفك في الطيبة المطيبة، حبيبة رسول الله (ﷺ)، المبرأة من فوق سبع سموات، بشبهة مجيء صفوان بن المعطل بها وحده خلف العسكر حتى هلك من هلك، ولولا أن تولى الله (سبحانه) براءتها والذب عنها وتكذيب قاذفها لكان أمرًا آخر.

والمقصود: أن في إظهار المبتلى عشق من لا يحل له الاتصال به من ظلمه وأذاه ما هو عدوان عليه وعلى أهله[1]، وتعريض لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه، فإن استعان عليه بمن يستميله إليه، إما برغبة أو رهبة تعدى الظلم وانتشر وصار ذلك الواسطة ديوثًا ظالمًا، وإذا كان النبي (ﷺ) قد لعن الرائش ـ وهو الواسطة بين الراشي والمرتشي لإيصال الرشوة ـ فما الظن بالديوث الواسطة بين العاشق والمعشوق في الوصلة المحرمة؟ فيساعد العاشق على ظلم المعشوق مع غيره ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس أو مال أو عرض، فإن كثيرًا ما يتوقف حصول غرضه المطلوب على قتل نفس يكون حياتها مانعة من غرضه.

وكم قتيل طل[2] دمه بهذا السبب من زوج وسيد وقريب، وكم خببت امرأة على بعلها وجارية وعبد على سيدهما، وقد لعن رسول الله (ﷺ) من فعل ذلك وتبرأ منه، وهو من أكبر الكبائر، وإذا كان النبي (ﷺ) قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، وأن يسوم على سومه، فكيف بمن يسعى بالتفريق بينه وبين امرأته

---

(١) جاء في زاد المعاد لابن القيم (رحمه الله) جـ٤ ص٢٧٥ ما يلي: ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله (ﷺ) الذي رواه سويد «من عشق فعف فمات فهو شهيد» وفي رواية «من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة» انتهى وقد ضعف الأرناؤوط رواة الحديث.

(٢) طل: أي أهدر.

وأمته حتى يتصل بهما؟ وعشاق الصور ومساعدوهم من الديثة لا يرون ذلك ذنبًا، فإن في طلب العاشق وصل معشوقه مشاركة الزوج والسيد، ففي ذلك من إثم ظلم الغير ما لعله لا يقصر عن إثم الفاحشة إن لم يرب عليها، ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة، فإن التوبة وإن أسقطت حق الله فحق العبد باق له المطالبة به يوم القيامة، فإن من ظلم الوالد بإفساد ولده وفلذة كبده ومن هو أعز عليه من نفسه وظلم الزوج بإفساد حبيبته والجناية على فراشه أعظم ممن ظلمه بأخذ ماله كله، ولهذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه أخذ ماله ولا يعدل ذلك عنده إلا سفك دمه، فيا له من ظلم أعظم إثمًا من فعل الفاحشة، فإن كان ذلك حقًا لغاز في سبيل الله أوقف له الجاني الفاعل يوم القيامة، وقيل له: خذ من حسناته ما شئت. كما أخبر بذلك النبي (ﷺ)، ثم قال (ﷺ): «فما ظنكم؟ »[1] أي: فما تظنون يبقى له من حسناته؟ فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جارًا، أو ذا رحم محرم، تعدد الظلم وصار ظلمًا مؤكدًا لقطيعة الرحم وأذى الجار، ولا يدخل الجنة قاطع رحم ولا من لا يأمن جاره بوائقه.

فإن استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين الجن ـ إما بسحر أو استخدام أو نحو ذلك ـ ضم إلى الشرك والظلم كفر السحر، فإن لم يفعله هو ورضي به كان راضيًا بالكفر غير كاره له لحصول مقصوده وهذا ليس ببعيد من الكفر.

والمقصود: أن التعاون في هذا الباب تعاون على الإثم والعدوان.

وأما ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المنتشر المتعدي ضرره، فأمر لا يخفى، فإنه إذا حصل له مقصوده من المعشوق فللمعشوق أمور أخرى يريد من العاشق إعانته عليها فلا يجد من إعانته بدًا، فيبقى كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان، فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من اتصل به من أهله وأقاربه وسيده وزوجه، والعاشق يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقفًا على ظلمه. فكل منهما يعين الآخر على أغراضه التي يكون فيها ظلم الناس، فيحصل العدوان والظلم للناس بسبب اشتراكهما في القبح لتعاونهما بذلك على الظلم، وكما جرت به العادة بين العاشق والمعشوق، من إعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وعدوان وبغي، حتى ربما يسعى له في منصب لا يليق به ولا يصح لمثله، وفي تحصيل مال من غير حله، وفي استطالته على غيره، فإذا اختصم معشوقه وغيره أو تشاكيا لم يكن إلا من جانب المعشوق ظالمًا كان أو مظلومًا، هذا إلى ما ينضم إلى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحايل على أخذ أموالهم، والتوصل إلى معشوقه بسرقة أو غصب أو خيانة أو يمين كاذبة أو قطع طريق ونحو ذلك، وربما أدى ذلك إلى قتل النفس التي حرم الله ليأخذ ماله ليتوصل به إلى معشوقه[2].

فكل هذه الآفات وأضعافها وأضعاف أضعافها تنشأ عن عشق الصور، وربما حمله على الكفر الصريح، وقد تنصَّر جماعة ممن نشئوا في الإسلام بسبب العشق كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر ـ وهو على سطح مسجد ـ امرأة جميلة، ففتن بها ونزل ودخل عليها وسألها نفسها فقالت: هي نصرانية، فإن دخلت في ديني تزوجت بك، ففعل فرقى في ذلك اليوم على درجة عندهم، فسقط منها، فمات، ذكر هذا عبد الحق في كتاب «العاقبة» له.

وإذا أراد النصارى أن ينصِّروا الأسير أروه امرأة جميلة وأمروها أن تطمعه في نفسها حتى إذا تمكن حبها في قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهنالك: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾. انتهى من «الجواب الكافي».

---

(١) رواه أبو داود عن بريدة.

* (٢) ومما قاله (رحمه الله) عن العشق: وكم أفسد من أهل الرجل وولده، فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقًا لغيرها اتخذت هي معشوقًا لنفسها، فيصير الرجل مترددًا بين خراب بيته بالطلاق وبين القوادة، فمن الناس من يؤثر هذا، ومنهم من يؤثر هذا.

ثانيًا: وجاء في «زاد المعاد» لابن القيم ـ **أيضًا** ـ (رحمه الله) ما مختصره[1]:

والمقصود، أن العشق لما كان مرضًا من **الأمراض،** كان قابلاً للعلاج، وله أنواع من العلاج فإن كان مما للعاشق سبيل إلى وصل محبوبه شرعًا وقدرًا، فهو علاجه، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»، فدل المحب على علاجين: أصلي وبدلي، وأمره بالأصلي، وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلاً.

وروى ابن ماجه في سننه عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**لم نر للمتحابين مثل النكاح**[2]» وهذا هو المعنى الذي أشار إليه (سبحانه) عقيب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. فذكر تخفيفه في هذا الموضع، وإخباره عن ضعف الإنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة، وأنه (سبحانه) خفف عنه أمرها بما أباحه له من أطايب النساء مثنى وثلاث ورباع، وأباح له ما شاء مما ملكت يمينه، ثم أباح له أن يتزوج بالإماء إن احتاج إلى ذلك علاجًا لهذه الشهوة، وتخفيفًا عن هذا الخلق الضعيف، ورحمة به.

ومن وسائل العلاج التي ذكرها (رحمه الله):

فليتذكر قبائح المحبوب، وما يدعوه إلى النفرة عنه، فإنه إن طلبها وتأملها وجدها أضعاف محاسنه التي تدعوه إلى حبه.

فإن عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه، مستغيثًا به، متضرعًا، متذللاً، مستكينًا، فمتى وفق لذلك؟ فقد قرع باب التوفيق، انتهى من «زاد المعاد».

ثالثًا: بعد هذا الكلام النفيس لابن القيم (رحمه الله)، يمكنني أن أقول بفضل الله (تعالى): **تفكير ساعة في المعشوق يبعد ميلاً عن المعبود.**

❑ ● ❑

* (١) زاد المعاد لابن القيم (رحمه الله): جـ٤ ص٢٧٢، ٢٧٤.

(٢) قال الأرناؤوط في غير هذا الموضع ـ وفي نفس الموضوع ـ أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقي وسنده حسن، ومما جاء في فضل الزواج المبكر قوله (ﷺ): «**أيما رجل تزوج في حداثة سنه عج شيطانه: يا ويله عصم دينه**»رواه أبو يعلى في مسنده.

الباب التاسع

آداب من سورة النور

أولاً - آداب دخول البيوت وغض البصر وحفظ الفروج:

(أ) قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٧: ٢٩].

يستفاد من تفسير هذا الآيات، ومن أحاديث النبي (ﷺ) الواردة في هذا الباب ما يلي:

١- على المؤمن أن يستأذن عند دخول بيت غيره.

٢- ينبغي للمؤمن أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع، والرجوع هنا للوجوب.

٣- هدي النبي (ﷺ) في الاستئذان أنه كان يقول: «**السلام عليكم**»، ثلاث مرات.

٤- ينبغي للمؤمن عند الاستئذان ألا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو عن يساره.

٥- على المستأذن أن يفصح عن اسمه أو كنيته التي هي مشهور بها ولا يقل: أنا.

٦- على المؤمن أن يستأذن على أمه أو أخته لأنه - كما جاء في التفسير - لا يحب أن يراها عريانة.

٧- لا يجب على الرجل أن يستأذن على امرأته، ولكن يستحب له ذلك، لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها.

٨- حرمة الدخول إذا لم يكن في البيت أحد. (كذا في روائع البيان).

٩- عدم الإذن بالدخول قد يكون صريحًا، وقد يكون ضمنيًا كالسكوت، وينبغي للمؤمن ألا يغضب من ذلك.

١٠- البيوت غير المسكونة لا حرج من دخولها مثل الفنادق والخانات ومنازل الأسفار.

١١- آيات سورة النور - والله أعلم - خاصة قوله (تعالى): ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾، بيان عظيم لقوله (تعالى): ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(ب) قال الله (تعالى): ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى): هذا أمر من الله (تعالى) لعباده المؤمنين، أن يغضوا من أبصارهم عما حُرِّم عليهم، فلا ينظروا إلا لما أباح لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع النظر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعًا، كما روي عن جرير بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه) قال: سألت النبي (ﷺ) عن نظرة الفجاة فأمرني أن أصرف بصري[1] وقال رسول الله (ﷺ) لعلي: «**يا علي! لا تتبع النظرة**

---

(١) أخرجه مسلم ورواه أبو داود والترمذي والنسائي أيضًا.

النظرة فإن الأولى لـك وليس لك الآخرة»(١). وفي الصحيح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ): **«إياكم والجلوس على الطرقات»**، قالوا: يا رسول الله! لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله (ﷺ): **«إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه»** قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: **«غض البصـر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»**.

ولما كان النظر داعيـة إلى فساد القلب، لذلك أمر الله بحـفظ الفروج، كما أمر بحـفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك، فقال (تعالى): ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾، وحفظ الفرج يكون تارة بمنعه من الزنا كمـا قال (تعالى): ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥] الآية، وتارة يكون بحـفظه من النظر إليه كمـا جاء في الحديث: **«احفظ عورتك إلا من زوجـتك أو ما ملكت يمينك»**(٢). ﴿**ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ**﴾ [النور: ٣٠] أي أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم.

كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته. وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قـال: **«ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصـره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها»**، وعـن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): **«إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم، من تركه مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»**(٣). وقوله (تعالى): ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠] كما قال (تعالى): ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٩].

وفي الصحـيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قـال رسول الله (ﷺ) **«كـتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا مـحالة، فـزنا العينين النـظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنـين الاستـماع، وزنا اليـدين البطش، وزنا الرجلين الخطا، والنفس تتـمنى وتشتهي، والفـرج يصدق ذلك أو يكذبه»**. وقد قال كثـير من السلف: إنهم كانوا ينهون أن يحد الرجل نظره إلى الأمرد، وقد شدد كثيـر من أئمة الصوفية في ذلك، وحرمه طائفة من أهل العلم؛ لما فيه من الافتتان، وشدد آخـرون في ذلك كثيرًا جدًا، وفي الحديث: **«كل عين باكية يوم القيـامة إلا عينًا غضت عن محارم الله، وعينًا سهرت في سبيل الله، وعينًا يخرج منها رأس الذباب من خشية الله (عز وجل)»**(٤).

فائدة:

سئل الجنيد: بما يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر.

(جـ) قال (تـعالى): ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى): هـذا أمر من الله (تعالى) للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن المؤمنين، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركـات، وكان سبب نزول هـذه الآية ما ذكره (مقاتل بن حيان) قال: بلغنا أن أسماء بنت مرثد كانت في مـحل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مـتزرات، فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقـالت أسماء: ما أقبح هذا، فأنزل الله (تعالى): ﴿**وَقُـل**

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي.

(٢) أخرجه أحمد وأصحاب السنن.

(٣) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعًا.

* (٤) تنطبق أحكام غض البصر أيضًا على الخيالة ـ التليفزيون ـ خاصة التي هي ـ للأسف ـ في بيوت كثير من المسلمين.

للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ الآية، فقوله (تعالى): ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ أي عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن(١)، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة، ولا بغير شهوة أصلاً، واحتج كثير منهم بما روي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله (ﷺ) وميمونة، قالت: فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله (ﷺ): «احتجبا منه»، فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله (ﷺ): «أوعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟» (٢). وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله (ﷺ) جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملّت ورجعت، ﴿ويحفظن فروجهن﴾ قال سعيد بن جبير: عن الفواحش، وقال قتادة: عما لا يحل لهن، وقال مقاتل عن الزنا، وقال أبو العالية: كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا، إلا هذه الآية ﴿ويحفظن فروجهن﴾ ألا يراها أحد.

وقوله (تعالى): ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ أي لا يظهرن شيئًا من الزينة ؛للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، قال ابن مسعود: كالرداء والثياب، يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب، فلا حرج عليها فيه، لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه وقال ابن عباس: وجهها وكفيها والخاتم، وهذا يحتمل أن يكون تفسير للزينة التي نهين عن إبدائها كما قال عبد الله بن مسعود: الزينة زينتان فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب، وقال مالك: ﴿إلا ما ظهر منها﴾(٣) الخاتم والخلخال ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود عن عائشة (رضي الله عنها)، أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي (ﷺ) وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا»، وأشار إلى وجهه وكفيه(٤).

وقوله (تعالى): ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ يعني المقانع يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها، ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقراط آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن، كما قال الله (تعالى): ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ والخمر جمع خمار: وهو ما يخمر به أي يغطى به الرأس، وهي التي تسميها الناس المقانع، قال سعيد بن جبير: ﴿وليضربن﴾ وليشددن ﴿بخمرهن على جيوبهن﴾ يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء، وروى البخاري عن عائشة (رضي الله عنها)، قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

وقوله (تعالى): ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ أي أزواجهن ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن﴾ كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزينتها، ولكن من غير تبرج، فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله، فتتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره، وقوله: ﴿أو نسائهن﴾ يعني تظهر

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* (٣) إن شاء الله تعالى سيأتي تفصيل هذه المسألة عند الكلام عن تغطية وجه المرأة، وقد جاء في تفسير «صفوة التفاسير» للصابوني ، ردا على من قال: أن الوجه والكفين ليسا بعورة ما يلي: (قال البيضاوي: والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر، فإن كل بدن الحرة عورة لا يجب لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة) جـ٢ صـ ٣٣٥.

(٤) رواه أبو داود وهو حديث مرسل ؛ لأن خالد بن دريك لم يسمع من عائشة.

بزينتها أيضًا للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة، لئلا تصفهن لرجالهن فإنهن لا يمنعهن من ذلك مانع، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه وقد قال رسول الله (ﷺ): **لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**»[١].

وروي أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة: أما بعد، فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك، فإنه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها، وقال مجاهد في قوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ قال: نساؤهن المسلمات، ليس المشركات من نسائهن، وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة، وروي عن ابن عباس: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ قال: هن المسلمات، لا تبديه ليهودية ولا نصرانية، وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم، وروى سعيد عن مجاهد قال: لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة لأن الله (تعالى) يقول: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ فليست من نسائهن، وعن مكحول وعبادة بن نسبي: أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة، وقوله (تعالى): ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قال ابن جرير: يعني من نساء المشركين، فيجوز لها أن تظهر زينتها لها وإن كانت مشركة لأنها أمتها، وإليه ذهب سعيد بن المسيب، وقال الأكثرون: بل يجوز أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود عن أنس أن النبي (ﷺ) أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي (ﷺ) ما تلقى قال: «**إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك**» وروى الإمام أحمد عن أم سلمة ذكرت أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إذا كان لإحداكن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه**».

وقوله (تعالى): ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ يعني كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء، وهم مع ذلك في عقولهم وله ولا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن، قال ابن عباس: هو المغفل الذي لا شهوة له. وقال مجاهد: هو الأبله، وقال عكرمة: هو المخنث الذي لا يقوم ذكره، وكذلك قال غير واحد من السلف، وفي الصحيح عن عائشة أن مخنثًا كان يدخل على أهل رسول الله (ﷺ) وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي (ﷺ) وهو ينعت امرأة يقول: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال رسول الله (ﷺ): «**لا أرى هذا يعلم ما ها هنا لا يدخلن عليكم**» فأخرجه.

وقوله (تعالى): ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك فلا بأس، فأما إن كان مراهقًا أو قريبًا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «**إياكم والدخول على النساء**» قيل: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**».

وقوله (تعالى): ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ الآية، كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها ضربت برجلها الأرض، فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورًا فتحركت لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله (تعالى): ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ إلى آخره، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها، فيشم الرجال طيبها، فقد قال النبي (ﷺ): «**كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا**» يعني زانية[٢].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أنه لقي امرأة شم منها ريح الطيب ولذيلها أعصار، فقال: يا أمة الجبار جئت من المسجد؟ قالت: نعم، قال لها: تطيبت؟ قالت: نعم، قال: إني سمعت أبا القاسم (ﷺ): يقول: «**لا يقبل الله**

---

(١) أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعًا.

(٢) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح، رواه أيضًا أبو داود والنسائي.

صلاة امرأة طيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغسل غسلها من الجنابة »[١]، وفي الحديث: «**الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها**»[٢].

ومن ذلك أيضًا أنهن ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج، فقد روي عن حمزة بن أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع النبي (ﷺ) وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول (ﷺ) للنساء: «**استأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق.**» فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[٣].

وقوله (تعالى): ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ أي افعلوا ما آمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه والله (تعالى) المستعان[٤]. ا.هـ من ابن كثير.

❑ ● ❑

ثانيًا: تساؤلات:

سؤال (١): هل يجوز للرجل أن يشيع (يوصل) ابنة عمه أو ابنة عمته أو ابنة خاله أو ابنة خالته ... إلى البيت خوفًا عليها من مساوئ الطريق؟.

الجواب: كيف يكون الذئب حارسًا للغنم؟«**الحمو الموت**».

سؤال (٢ ، ٣): هل جعل الله الزميل محرمًا؟! هل جعل الله المدرس الخصوصي محرمًا؟! حتى يخلو كل منهما بالمرأة دون محرم؟!

الجواب: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ وفي الأثر: لا تخلون بامرأة ولو كنت تحفظها كتاب الله.

ثالثًا: سؤال هام: هل صوت المرأة عورة؟

جاء في روائع البيان ما يلي:

حرم الإسلام كل ما يدعو إلى الفتنة والإغراء، فنهى المرأة أن تضرب برجلها الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال فتتحرك الشهوة في قلوب بعض الرجال ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ .

وقد استدل الأحناف بهذا النهي على أن صوت المرأة عورة فإذا منعت عن صوت الخلخال فإن المنع عن رفع صوتها بالكلام أبلغ في النهي. قال الجصاص في تفسيره: وفي الآية دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب، إذ كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها، ولذلك كره أصحابنا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت، والمرأة منهية عن ذلك، وهو يدل على حظر النظر إلى وجهها للشهوة إذ كان ذلك أقرب إلى الريبة وأولى بالفتنة[٥]. ونقل بعض الأحناف أن نغمة المرأة عورة واستدلوا بحديث: «**التسبيح للرجال والتصفيق للنساء**»، فلا يحسن أن يسمعها الرجل.

وذهب الشافعية وغيرهم إلى أن صوت المرأة ليس بعورة لأن المرأة لها أن تبيع وتشتري وتدلي بشهادتها أمام الحكام، ولا بد في مثل هذه الأمور من رفع الصوت بالكلام.

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه.

(٢) أخرجه الترمذي عن ميمونة بنت سعد مرفوعًا.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن.

(٤) الفقرتان (ب ، جـ) من مختصر تفسير ابن كثير: جـ ٢ صـ ٢٩٨ ، ٦٠٢.

(٥) أحكام القرآن للجصاص: جـ٣ صـ ٣٩٣.

قال الآلوسي: والمذكور في معتبرات كتب الشافعية ـ وإليه أميل ـ أن صوتهن ليس بعورة فلا يحرم سماعه إلا إن خشي منه فتنة[١].

والظاهر: أنه إذا أمنت الفتنة لم يكن صوتهن عورة، فإن نساء النبي (ﷺ) كن يروين الأخبار، ويحدثن الرجال، وفيهم الأجانب من غير نكير ولا تأثيم.

وذهب ابن كثير (رحمه الله) إلى أن المرأة منهية عن كل شيء يلفت النظر إليها، أو يحرك شهوة الرجال نحوها، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها، لقوله (عليه السلام): **«كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا»**[٢]. يعني زانية، ومثل ذلك أن تحرك يديها لإظهار أساورها وحليها.

أقول: ينبغي على الرجال أن يمنعوا النساء من كل ما يؤدي إلى الفتنة والإغراء[٣].

انتهى من روائع البيان.

❐ ● ❐

(١) روح المعاني للآلوسي: جـ١٨ صـ ١٤٦.

* (٢) رواه أبو داود والنسائي وانظر تفسير ابن كثير.

* (٣) روائع البيان للشيخ الصابوني: جـ٢ صـ ١٦٦، ١٦٧.

الباب العاشر

حكم تغطية وجه المرأة

مقدمة:

أسأل الله (تعالى) أن يجعل عملي كله صالحًا، ولوجهه خالصًا، ولا يجعل لأحد فيه شيئًا ... آمين.

حرصًا منـي أمام الله (سبحانه وتعـالى) على أن يكون هذا الكتاب ليس محل خـلاف، وإنما هو ـ فقط ـ مجرد عرض لآراء العلماء دون تدخل مني، وفي نفس الوقت يكون هذا العرض لأكثر من مرجع ـ من أجل ذلك كله ـ رأيت أن أعرض حكم الإسلام في تغطية الوجه من خلال هذه الكتب التالية:

١ ـ كتاب «إلى كل فتاة تؤمن بالله» لفضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي.

٢ ـ كتاب «المرأة المسلمة» لفضيلة الشيخ وهبي سليمان غلوجي.

٣ ـ كتاب «روائع البيان في تفسير آيات الأحكام» لفضيلة الشيخ الصابوني.

ولقد أفادنا فضيلة الشيخ البوطي، حينما أتى بالخلاصة، فأردت أن أبدأ بها أولاً، أما فضيلة الشيخ وهبي سليمـان غلوجي فقد أسـهب في الموضوع فـأردت أن آتي برأيه، وإني إذ آتي برأي فضيلة الشـيخ وهبي غلوجي كاملاً، لا أكون بذلك قد تحيزت لرأي مـعين في طريقة العرض، وإنما أردت بذلك المرأة التي تريد أن تحتاط لدينها أكثر، بتغطيـة وجهها، حتى إذا قرأت الأدلة، يكون عندها من كـتاب ربها وسنة نبيها (ﷺ) مـا يقوي إيمانها بأمر ربها والامتثال له.

تنبيه:

قد ترى أن هناك فـرقًا بين الشيـخين البوطي وغلوجي من ناحـية تعميـم رأي كل منهما بالنسـبة لمذهب المالكية.

أولاً: الخلاصة: كما يراها فضيلة الشيخ البوطي:

ـ محل الإجماع ونتيجة الخلاف:

فقد تحصل من هذا الكلام، أن أئمة المسلمين كلهم، قد أجمعوا على ما يلي:

١ ـ لا يجوز أن تكشف المرأة أمام غير الذين استثناهم الله (عز وجل) شيئًا أكثر من وجهها وكفيها.

٢ ـ لا يجوز لها أن تكشف الوجه والكفين أيضًا إذا علمت أن حولها من قد ينظر إليها النظر المحرم الذي نهى الله (تعالى) عنه، بأن يتبع النظرة النظرة، ولا تستطيع أن تزيل هذا المنكر إلا بحجب وجهها عنه، وعلى هذه الحالة يحمل مـا نقله الخطيب الشربيني عن إمام الحـرمين من اتفاق المسلمين على منع النساء من الخـروج سافرات الوجه[1].

وقد صـرح بهذا القـيد القـرطبي، فيمـا نقله عن ابن خويلد منـداد من أئمة المالكيـة: أن المرأة إذا كانت جميلة، وخيف من وجهها وكفيها الفتنة، فعليها ستر ذلك[2].

وقال صاحب «الدر المختار» من الحنفيـة: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال، لا لأنه عورة، بل لخوف الفتنة، ولا يجوز النظر إليه بشهوة[3].

* (١) كتاب «إلى كل فتاة تؤمن بالله» السالف ذكره ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) تفسير القرطبي: (١٢/ ٢٣٨).

(٣) مغني المحتاج: (٣/ ١٢١).

وهكذا، فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة (سواء من يرى منهم أن وجه المرأة عورة كالحنابلة والشافعية، ومن يرى منهم أنه ليس بعورة كالحنفية والمالكية): أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عند خوف الفتنة، بأن كان من حولها من ينظر إليها بشهوة، من ذا الذي يستطيع أن يزعم أن الفتنة مأمونة اليوم! وأنه لا يوجد في الشوارع من ينظر إلى وجوه النساء بشهوة؟![1].

واتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها، ترخصًا لضرورة تعلم أو تطبيب أو عند أداء شهادة أو تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة.

فهذه النقاط الثلاث محل إجماع لدى الأئمة وعامة الفقهاء.

ثم إنهم اختلفوا فيما وراء هذه الأحوال، وهو أن تكون المرأة بادية الوجه في مجتمع عام وليس ثمة من يتعمد النظر إليها بريبة - وهذا فرض وهمي اليوم - فقد ذهب البعض - كما رأينا - إلى أنه لا حرج عليها في ذلك، وذهب آخرون إلى أنه يجب عليها أن تستر وجهها مطلقًا.

هذا هو حكم الإسلام في لباس المرأة، اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهم معتمدين في ذلك على نصوص واضحة وصريحة في كتاب الله (تعالى) وأحاديث ثابتة من سنة رسول الله (عليه الصلاة والسلام)، فإذا عثرنا بعد ذلك على وقائع وتصرفات فردية لبعض نساء الصحابة أو التابعين أو غيرهم، تخالف هذا الذي أجمع عليه الأئمة، مما دل عليه إجماع الأئمة وصريح الكتاب والسنة، وحاشا أن يكون حكم الله هو المحجوج بها، انتهى من كتاب «إلى كل فتاة تؤمن بالله».

❑ ● ❑

ثانيًا - حكم تغطية الوجه بقلم فضيلة الشيخ وهبي غاوجي:

الآية الأولى: قال الله (تعالى): ﴿ **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال عمر (ﷺ): وافقت ربي (عز وجل) في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله (تعالى): ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب - وهي المكتوبة قبل أسطر - وقلت: لأزواج النبي لما تمالأن عليه في الغيرة، ﴿ **عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ** ﴾ [التحريم: ٥] فأنزلت كذلك. [رواه البخاري ومسلم].

وذكر أنس (ﷺ) ما كان من وليمة رسول الله (ﷺ) بزينب وفيه: وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله (ﷺ)، وزوج الرسول (ﷺ) التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث، فشقوا على رسول الله (ﷺ)، وكان أشد الناس حياء[2].

وكان زواجه (ﷺ) بزينب بنت جحش، في ذي القعدة في السنة الخامسة من الهجرة، وفي صبحة عرسه بها نزلت آية الحجاب فاحتجبت المرأة المسلمة، وما تزال وقبل ذلك كانت المسلمة تستر رأسها وصدرها، ويبدو ما قد يبدو من شعر رأسها وعنقها وبعض صدرها.

وفي الجاهلية كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، وكانت لها مشية تكسر وتغنج، تلقي فيه الخمار

---

(١) الدر المختار على هامش ابن عابدين: (١/ ٢٨٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

على رأسها ولا تشده، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها[١]، فأين خروج المرأة اليوم من خروج أختها في الجاهلية الأولى؟!

قال ابن كثير: فقوله (تعالى): ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله (ﷺ) بغير إذن كما كانوا قبل يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله (تعالى) لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك إكرام من الله لهذه الأمة، ولهذا قال رسول الله (ﷺ): «**إياكم والدخول على النساء**».. الحديث، يشير ابن كثير بكلامه هذا إلى ما صرح به علماء الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أي لئن كانت الآيات نزلت في نسائه (ﷺ) وحجابهن، فإنها تعم بأحكامها سائر نساء المسلمين.

ومما يؤكد هذا الحكم:

(أ) قوله (تعالى): ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ فدخول الضيف في البيت بدون إذن، وكذا مع الإذن قبل نضج الطعام والجلوس بعد الطعام استرسالاً في الحديث، وإن الإيذاء كما لا يحل في جنب رسول الله (ﷺ) لا يحل في حق أحد من المسلمين.

(ب) يؤكده قوله (تعالى) في الحجاب: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فطهارة القلوب عن الخواطر الشيطانية مطلوبة في حق أزواجه (ﷺ) وسائر المسلمين، بل الطهارة من هذه الخواطر المفضية إلى المعاصي المطلوبة في حق كل مؤمن ومؤمنة، بل أمره في غير أمهات المؤمنين آكد وأشد لمظنة الريبة في سائر نساء المسلمين، لما أن نساء رسول الله (ﷺ) أبعد الناس عن ظن السوء، ولأنهن لقبن بأمهات المؤمنين ولأنهن أزواج الرسول (ﷺ).

الآية الثانية: قوله (تعالى) لنساء رسول الله (ﷺ): ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[٢] يقصد به تعميم الحكم على نساء المسلمين عامة، فإن قرار النساء في البيوت وعدم خروجهن لغير حاجة أمر مقرر في الإسلام والصدر أمر مقرر في النساء عامة.

قال الأستاذ المودودي (رحمه الله تعالى) عند قوله (تعالى): ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: قد ذهب بعض الناس - يريد بعض المعاصرين - إلى أن هذا الأمر خاص لأزواج النبي (ﷺ) لابتداء الآية بخطاب ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ ولكنا نسأل: أي وصية من الوصايا الواردة في هذه الآية مخصوصة بأمهات المؤمنين دون سائر النساء؟ فقد قيل فيها: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

فتأمل هذه الوصايا والأوامر وقل لي: أي أمر منها لا يتصل بعامة النساء المسلمات؟ وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يتقين الله (تعالى) أو قد أبيح لهن أن يخضعن بالقول ويكلمن الرجال كلامًا يغريهم ويشوقهم؟ أو يجوز لهن أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى؟ ثم هل ينبغي لهن أن يتركن الصلاة والزكاة ويُعرضن عن طاعة الله ورسوله؟ وهل يريد الله أن يتركهن في الرجس؟ فإذا كانت هذه الأوامر والإرشادات عامة لجميع المسلمات فما المبرر لتخصيص كلمة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وحدها بأزواج النبي (ﷺ)؟

إن مصدر الفهم الخاطئ في الحقيقة هو مبتدأ الآية: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ ولكن هذا الأسلوب لا يختلف - مثلاً - عن قولك لولد نجيب: يا بني لست كأحد من عامة الأولاد حتى تطوف في الشوارع

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ صـ ٤٨٢.

(٢) قال الزمخشري: كانت - أي نساء أهل الجاهلية الأولى - جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها، ولكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى - أي أعناقهن وصدورهن - مكشوفة فأمرن أن يسدلن من قدامهن حتى يغطينها (٢ - ٩٠).

وتأتي بما لا يليق من الحركات، فعليك بالأدب واللياقة، فقولك هذا لا يعني أن سائر الأولاد يحمد فيهم طواف الشوارع وإتيان الحركات السيئة، ولا يطلب منهم الأدب واللياقة، بل المراد بمثل قولك هذا تحديد معيار لمحاسن الأخلاق وفضائلها، لكي يصبو إليها كل ولد يريد أن يعيش كنجباء الأولاد فيسعى في بلوغه.

وقد اختار القرآن الكريم هذه الطريقة لتوجيه النساء، لأن نساء العرب في الجاهلية كن على مثل الحرية التي توجد في نساء العرب في هذا الزمان، وكان العمل جاريًا على تعويدهن الحضارة الإسلامية بشيء من التدريج، ويعلمهن حدود الأخلاق وقيود الضابط الاجتماعي على يد النبي (ﷺ).

ففي تلك الأحوال عني الإسلام بضبط أحوال أمهات المؤمنين بضابطة على وجه خاص حتى يكنَّ أسوة لسائر النساء، وتتبع طريقهن وعاداتهن في بيوت عامة المسلمين. وهذا الرأي نفسه ـ وهو تعميم نساء المسلمين بالخطاب ـ أبداه العلامة أبو بكر الجصاص في كتابه: «أحكام القرآن» فقال: وهذا الحكم وإن نزل في النبي (ﷺ) وأزواجه فالمعنى عام فيه وفي غيره، إذ كنا مأمورين باتباعه والاقتداء به إلا ما خصه الله دون أمته، ا هـ. «الجزء الثالث صـ ٤٥٥».

الآية الثالثة : قال (تعالى): **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**.

الجلباب: قال ابن عباس (رضي الله عنهما) فيه: هو الذي يستر من فوق إلى أسفل. وقال سعيد بن جبير: هو المقنعة (الملاءة) . وقيل: ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها والثوب الذي تشتمل به المرأة فوق الدرع والخمار.

الإدناء: هو التقريب. يقال: أدنى الشيء إذا قربه، وضمن معنى الإرخاء والسدل ولذا عدي بعلى. قال سعيد بن جبير: يدنين: يسدلن عليهن. والظاهر أن المراد بـ **﴿عَلَيْهِنَّ﴾** على جميع أجسادهن، وقيل: على رءوسهن أو على وجوههن؛ لأن الذي يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه، قالت أم سلمة (رضي الله عنها): لما نزلت هذه الآية: **﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾** خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها. ا هـ[١].

❑ ● ❑

الحجاب الشرعي

الحجاب الشرعي المأمور به ثلاث درجات، بعضها فوق بعض في الاحتجاب والاستتار، دل عليها الكتاب والسنة[٢].

الدرجة الأولى : حجاب الأشخاص في البيوت بالجدر والخدر وأمثالها، بحيث لا يرى الرجال شيئًا من أشخاصهن ولا لباسهن ولا زينتهن الظاهرة ولا الباطنة، ولا شيئًا من جسدهن من الوجه والكفين، وسائر البدن.

١- وقد أمر الله (تعالى) بهذه الدرجة من الحجاب فقال: **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** إذ إن هذا يدل على أن سؤال أي شيء منهم يكون من خلف ستر يستر الرجال عن النساء، والنساء عن الرجال، وما ذكر من سبب نزول الآية يقرر هذا الأمر ويؤكده.

٢- وأمر بها في قوله (تعالى): **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾** قال محمد بن سيرين: ثبت أنه قيل لسودة بنت زمعة زوجة النبي (ﷺ): ما لك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله (تعالى) أن أقر في بيتي فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت. قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت جنازتها[٣].

(١) أخرجه عبد الرزاق وغيره، «روح المعاني»: (٢٢- ٦٨، وما بعدها).

(٢) انظر: «جوهر القرآن» لمفتي عموم باكستان العلامة محمد شفيع، دام في خير وعافية.

(٣) كذا في «السراج المنير» للخطيب الشربيني (٣/ ٣٤٣).

هذا الحكم العام قد استثني بالخروج للحاجة، قال (ﷺ): **«أذن لكنَّ في الخروج لحاجتكن»**. رواه البخاري.

٣- ويرشح هذه الدرجة أحاديث تحبب إلى المرأة القرار في البيت وعدم الخروج حتى إلى صلاة الجماعة مع رسول الله (ﷺ)، فإن قرارها في بيتها أرجى لها في الأجر عند الله (تعالى).

جاءت أم حميد الساعدي إلى رسول الله (ﷺ) فقالت: يا رسول الله! إني أحب الصلاة معك، قال: **قد علمت أنك تحبين الصلاة معي؟ وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي»** قال: فأمرت فبُني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله (عز وجل). رواه أحمد.

نعم للنساء الكبار الخروج إلى المساجد بالليل كصلاة المغرب والعشاء والفجر، فإن الليل أستر وأخفى وأبعد عن الفتنة، قال (ﷺ): **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»**. متفق عليه. وقال: **«ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد»**. رواه الترمذي.

ويشترط لخروجهن إلى الصلاة أمور:

١- أن يكون ذلك في صلوات الليل لما ذكرنا من حديث الترمذي.

٢- أن يبادرن بالانصراف من المسجد فور سلام الإمام من صلاته، قالت عائشة (رضي الله عنها): كان رسول الله (ﷺ) ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس. رواه الترمذي.

٣- ألا تختلط النساء بالرجال في الجماعة، ولا يسبقنهم إلى الصفوف الأمامية، بل عليهن أن يقمن خلف صفوف الرجال. قال رسول الله (ﷺ): **«خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»**. رواه مسلم.

٤- ألا يكون خروجهن إلى المسجد متزينات، قالت عائشة (رضي الله عنها): يا أيها الناس! انهوا نساءكم عن الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يُلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد. رواه ابن ماجه. لما رأت السيدة عائشة (رضي الله عنها) خروج النساء في زمانها على شيء من الزينة إلى المساجد قالت: لو أدرك رسول الله (ﷺ) ما أحدثت النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل. رواه مسلم.

٥- أن يسكنَّ في الصلاة ولو للاستدراك على الإمام في خطئه. إلا أن يكون التصفيق بباطن اليد اليمنى على ظاهر اليد اليسرى دون كلام. قال (ﷺ): **«التسبيح للرجال والتصفيق للنساء»**[1].

الدرجة الثانية من الحجاب: خروجهن من البيوت مستورات:

١- قال الله (تعالى): **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**.

سئل ابن عباس (رضي الله عنهما) عن قوله (تعالى): **﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾** فقال: أن تغطي وجهها من فوق رأسها بالجلباب وتبدي عينًا واحدة. ومثله روي عن السدي وعبيدة السلماني.

٢- وقال الله (تعالى): **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾**، **﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾** تدل هاتان الآيتان على خروج المرأة من بيتها، وإلا لم يكن الأمر موجها إلى الرجال والنساء بغض البصر على حد سواء.

٣ ـ وقال الله (تعالى): **﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ**

---

(١) رواه البخاري وانظر كتاب «الحجاب» للمودودي (رحمه الله).

مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾. المراد بالثياب هو الجلباب والرداء وغيرها من الثياب الظاهرة التي لا يفضي وصفها إلى كشف العورة، كذا نقل ابن مسعود (رضي الله عنه).

٤- وقال (ﷺ): «**ليس للنساء وسط الطريق**»[١]. فقد أذن الله (تعالى) للنساء بالخروج من بيوتهن خروجًا مقيدًا بالحاجة.

٥- وقد عقد الإمام البخاري في كتاب «النكاح» من صحيحه بابًا قال فيه: «باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره» عن سالم عن أبيه عن النبي (ﷺ) قال: «**إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**». قال الحافظ ابن حجر: قاس البخاري غير المسجد على المسجد، والجامع بينهما ظاهر، ويشترط في الجميع: الأمن من الفتنة[٢].

الدرجة الثالثة: خروجهن مستورات الأبدان من الرأس إلى القدم، مع كشف الوجه واليدين عند أمن الفتنة على مذهب الإمام أبي حنيفة (رضي الله عنه).

والعلماء في هذا الأمر على قولين: أباح بعضهم كشف الوجه واليدين عند أمن الفتنة، ولم يبح ذلك آخرون إلا عند الاضطرار، وعلى القول الأول أبو حنيفة، وعلى القول الثاني: مالك والشافعي وأحمد.

١- مذهب المالكية: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا إلى الوجه ولا إلى الكفين ولا إلى غيرهما، ولا يجوز للمرأة إبداء الوجه والكفين للأجانب، وقد صرح ابن المنير المالكي بذلك فقال: إن كل بدن الحرة لا يحل لغير الزوج، والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة[٣].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: في كتابه «أحكام القرآن»[٤] عند قوله (تعالى): **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾**: وهذا يدل على أن الله (تعالى) أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يستفتى فيها، والمرأة كلها عورة بدنها وصوتها - فلا يجوز كشف ذلك إلا لضرورة، أو لحاجة كالشهادة أو داء يكون ببدنها[٥].

٢- مذهب الشافعية: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه ولا الكفين ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلا لضرورة.

قال الإمام النووي: ويحرم نظر فحل بالغ إلى عورة حرة أجنبية، وكذا إلى وجهها وكفيها عند خوف الفتنة، وكذا عند الأمن على الصحيح[٦].

٣- مذهب الحنابلة: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه، ولا الكفين، ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلا لضرورة. قال الشيخ يوسف مرعي: وحرم في غير ما مر - والذي مر هو نظر الخاطب - ونظر الزوج إلى زوجته، وغير ذلك: قصد نظر أجنبية حتى شعر متصل لا بائن.

قال أحمد: ظفرها عورة، فإذا خرجت فلا تبين شيئًا، ولا خفيها فإنه يصف القدم وأحب أن تجعل لكمها زرًا عند يدها[٧].

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) «فتح الباري» (٩-٣٢٨).

(٣) «روح المعاني».

(٤) «أحكام القرآن» (٢- ١٨).

(٥) اعتبر الشيخ الصابوني أثابه الله - في روائع البيان - (٢/ ١٤٥)، رأي المالكية كراي الحنفية.

(٦) «نيل الأوطار» (٢- ١٨).

(٧) «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» (٣- ٧).

٤- مذهب الحنفية: أنه يجوز للمرأة كشف وجهها وكفيها عند أمن الفتنة.

قال الكاساني: فلا يجوز النظر من الأجنبي إلى الأجنبية الحرة إلى سائر بدنها إلا الوجه، والكفين، لقوله (تعالى): ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ إلا أن النظر إلى مواضع الزينة الظاهرة وهي - الوجه والكفان - رخص بقوله (تعالى): ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ والمراد من الزينة موضعها، ومواضع الزينة الظاهرة الوجه والكفان، ولأنها تحتاج إلى البيع والشراء والأخذ والعطاء، ولا يمكنها ذلك عادة إلا بكشف الوجه والكفين، فيحل لها الكشف، وهذا قول أبي حنيفة (رضي الله عنه).

وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه يحل النظر إلى القدمين أيضًا، ثم قال: إنه يحل النظر إلى مواضع الزينة منها من غير شهوة، وأما عن شهوة فلا، لقوله (ﷺ): «العينان تزنيان». وليس زنا العينين إلا النظر عن شهوة. ثم قال: والأفضل للشاب غض البصر عن وجه الأجنبية وكذا الشابة، لما فيه من خوف حدوث شهوة والوقوع في الفتنة، ويؤيده المروي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال في قوله (تعالى): ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: أنه الرداء والثياب، فكان غض البصر وترك النظر أزكى وأطهر[1].

وجاء في «الدر المختار»: يعزر المولى عبده والزوج زوجته على تركها الزينة، أو كلمة ليسمعها أجنبي، أو كشف وجهها لغير محرم[2].

وجاء فيه كذلك: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال، لا لأنه عورة، بل لخوف الفتنة كمسه وإن أمن الفتنة لأنه أغلظ ولذا ثبتت به حرمة المصاهرة. قال ابن عابدين في شرحه عليه: المعنى تمنع من الكشف لخوف أن يرى الرجال وجهها فتقع الفتنة، لأنه مع الكشف قد يقع النظر إليها بشهوة. قوله: كمسه، أي كما يمنع الرجل من مس وجهها وكفيها وإن أمن الشهوة.

وقال أبو بكر الجصاص - وهو حنفي - عند قوله (تعالى): ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾: في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها من الأجنبي وإظهار الستر والعفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الريب فيهن[3].

فأصل مذهب الإمام أبي حنيفة: جواز كشف المرأة وجهها في الحالات العامة، على وجود المجتمع المسلم العفيف في رجاله ونسائه. أما إذا تغيرت الحالة العامة ولم يؤمن فيها من الفتنة فيجب على المرأة أن تستر جميع بدنها ووجهها وكفيها، سدًا لذرائع الفساد وعوارض الفتن. فحكم وجه المرأة وكفيها في المذهب الحنفي في مثل أيامنا هذه هو كحكمه في باقي المذاهب الأربعة وهو: حرمة كشف المرأة وجهها لغير ضرورة. والله أعلم.

وبالجملة فقد اتفقت مذاهب الفقهاء وجمهور الأئمة على أنه لا يجوز للنساء الشواب كشف الوجوه والأكف بين الأجانب، ويستثنى فيه العجائز؛ لقوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ والضرورات مستثناه من الجميع بالإجماع.

فلم يبق للحجاب المشروع إلا الدرجتان الأوليان: القرار في البيوت وحجاب الأشخاص وهو الأصل، والثانية :خروجهن لحوائجهن مستترات بالبراقع والجلاليب وهو الرخصة للحاجة ، ولا شك أن كلتا الدرجتين منه مشروعتان، غير أن الغرض من الحجاب لما كان سد الذرائع، وفي خروجهن من البيوت - ولو للحوائج والضرورات - مظنة فتنة، شرط الله (تعالى) ورسوله (ﷺ) عليهن شروطًا يجب عليهن التزامها عند الخروج[4].

---

(١) «بدائع الصنائع» (٥- ١٢٣).

(٢) هامش «رد المحتار شرح الدر» لابن عابدين (٣/ ١٦).

(٣) «أحكام القرآن» (٣- ٤٥٨).

(٤) إن شاء الله تعالى سيأتي ذكر هذه الشروط عند الكلام عن حكم عمل المرأة خارج البيت.

ما يدل على وجوب ستر الوجه مطلقًا:

١- قال القرطبي عند قوله (تعالى): ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾: الزينة على قسمين: خلقية ومكتسبة، فالخلقية: وجهها، فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة، ومعنى الحيوانية لما فيه من المنافع وطرق العلم. وأما الزينة المكتسبة: فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل والخضاب، ومنه قوله (تعالى): ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ**﴾.

وقال الشاعر:

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... وإذا عطلن فهن خير عواطل

وقال: ومن الزينة، ظاهر وباطن.

فما ظهر فمباح أبدًا لكل الناس من المحارم والأجانب. وقد ذكرنا ما للعلماء فيه.

وأما ما بطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله (تعالى) في هذه الآية أو حل محلهم[١].

٢- وقال القاضي البيضاوي: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾: كالحلي والثياب والأصباغ فضلاً عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له: ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم، فإن في سترها حرجًا. وقيل: المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزينية، والمستثنى هو الوجه والكفان لأنهما ليستا بعورة، والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة[٢]. ا هـ.

٣- قال عبد الله بن مسعود (ﷺ): الزينة زينتان: زينة ظاهرة وزينة باطنة لا يراها إلا الزوج، فأما الزينة الظاهرة فالثياب، وأما الزينة الباطنة السوار والخاتم[٣].

٤- وقال عبد الله بن عباس: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلاليب ويبدين عينًا واحدة. من رواية علي بن أبي طلحة وهي رواية البخاري لتفسير ابن عباس في «صحيح البخاري».

٥- قال رسول الله (ﷺ): «**لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين**». رواه البخاري.

وهذا يعني أن غير المحرمة تنتقب بأن تستر الوجه وتستر اليدين، بأن تلبس القفازين، ومع ذلك فإن المرأة المحرمة إذا احتاجت إلى ستر وجهها لمرور الرجال قريبًا منها فإنها تسدل الثوب من فوق رأسها على وجهها. روي ذلك عن عثمان وعائشة وبه قال عطاء ومالك والثوري والشافعي وغيرهم.

قالت عائشة (ﷺ): كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله (ﷺ) فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزوا كشفنا. رواه أبو داود. قالت عائشة (ﷺ): يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل (تعالى): ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ شققن مروطهن[٤] فاختمرن بها. رواه البخاري[٥].

انتهى من كتاب «المرأة المسلمة».

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢٩- ١٢).

(٢) البيضاوي مهمشًا بالجلالين (١٣٨- ٢) (وقد سبقت الإشارة إلى ذلك من صفوة التفسير).

(٣) رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وفي الدر المنثور نُقول عديدة في هذا المعنى من اعتبار الوجه عورة مستورة.

(٤) المرط: كساء من صوف ونحوه يؤتزر به

(٥) كتاب «المرأة المسلمة» لفضيلة الشيخ وهبي سليمان غلوجي (١٩١- ٢١٢).

ثالثًا: كلام الشيخ الصابوني:

(أ) ما جاء في روائع البيان تحت عنوان: «طائفة من أقوال المفسرين في وجوب ستر الوجه»:

أولاً: قال ابن الجوزي في قوله (تعالى) ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾: أي تغطين رءوسهن ووجوههن ليعلم أنهن حرائر، والمراد بالجلاليب: الأردية. قاله ابن قتيبة.

ثانيًا: وقال أبو حيان في «البحر المحيط»: وقوله (تعالى): ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ شامل لجميع أجسادهن، أو المراد بقوله: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ أي على وجوههن، لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه[١].

ثالثًا: وقال أبو السعود: الجلباب: ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها، ومعنى الآية: أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذ برزن لداعية من الدواعي.

وعن السدي: تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين[٢].

رابعًا: وقال أبو بكر الرازي[٣]: وفي هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع فيهن أهل الريب[٤].

خامسًا: وفي «تفسير الجلالين»: الجلابيب جمع جلباب، وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة، قال ابن عباس: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلاليب إلا عينًا واحدة ليعلم أنهن حرائر[٥].

سادسًا: وفي «تفسير الطبري» عن ابن سيرين أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن قوله (تعالى): ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى بها رأسه كله حتى بلغ الحاجبين، وغطى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر.

وروي مثل ذلك عن ابن عباس (رضي الله عنهما)[٦]. انتهى من روائع البيان للصابوني أثابه الله[٧].

❐ ● ❐

(ب) ما هي شروط الحجاب الشرعي:

جاء في «روائع البيان» ما يلي: يشترط في الحجاب الشرعي بعض الشروط الضرورية وهي كالآتي:

أولاً: أن يكون الحجاب ساترًا لجميع البدن لقوله (تعالى): ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾.

ثانيًا: أن يكون كثيفًا غير رقيق، لأن الغرض من الحجاب الستر، فإذا لم يكن ساترًا لا يسمى حجابًا، لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر. وفي حديث عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (ﷺ) وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله (ﷺ)... الحديث[٨].

ثالثًا: ألا يكون زينة في نفسه، أو مبهرجًا ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار لقوله (تعالى): ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

---

(١) «البحر المحيط» لأبي حيان جـ٧، صـ٢٥٠.

(٢) «تفسير أبي السعود» على هامش الرازي جـ٦، صـ٨٠١.

(٣) أبو بكر الرازي هو المشهور بالجصاص.

(٤) «أحكام القرآن» للجصاص جـ٣، صـ٣٧٢.

(٥) «تفسير الجلالين» الجزء الثاني.

(٦) «تفسير الطبري» الجزء الثاني والعشرون.

(٧) «روائع البيان للصابوني» جـ٢، صـ٣٨٢، ٣٨٣، وذلك في تفسير قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(٨) رواه أبو داود بسند مرسل وقد تقدم في سورة النور.

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الآية. ومعنى: **﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾** أي بدون قصد ولا تعمد، فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه، ولا يسمى حجابًا؛ لأن الحجاب هو الذي يمنع ظهور الزينة للأجانب.

رابعًا: أن يكون فضفاضًا غير ضيق، لا يشف عن البدن، ولا يجسم العورة، ولا يظهر أماكن الفتنة في الجسم، وفي صحيح مسلم عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسير كذا وكذا**». وفي رواية أخرى: «**وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**»[١]. رواه مسلم.

ومعنى قوله (ﷺ): «**كاسيات عاريات**» أي كاسيات في الصورة عاريات في الحقيقة، لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسدًا، ولا تخفي عورة، والغرض من اللباس الستر، فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عاريًا.

ومعنى قوله: «**مميلات مائلات**» أي مميلات لقلوب الرجال مائلات في مشيتهن، يتبخترن بقصد الفتنة والإغراء، ومعنى قوله: «**كأسنمة البخت**» أي يصففن شعورهن فوق رءوسهن، حتى تصبح مثل سنام الجمل، وهذا من معجزاته (ﷺ).

خامسًا: ألا يكون الثوب معطرًا فيه إثارة للرجال لقوله (عليه الصلاة والسلام) (قد تقدم شرح هذه النقطة).

سادسًا: ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال، أو مما يلبسه الرجال، لحديث أبي هريرة: لعن النبي (ﷺ) الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل[٢].

وفي الحديث: «**لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**». أي المتشبهات بالرجال في أزيائهن وأشكالهن كبعض نساء هذا الزمان. نسأل الله السلامة والحفظ[٣]. انتهى من «روائع البيان».

(جـ) شروط أخرى للحجاب الشرعي:

اشترط بعض العلماء فوق ما تقدم:

١- ألا يشبه لباس الكافرات.

٢- ألا يكون لبس شهرة، لقول الرسول (ﷺ): «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارًا**». أخرجه أبو داود وابن ماجه وإسناده حسن كما قال الترمذي.

قال الشوكاني: والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة، وليس هذا الحديث مختصًا بنفس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبًا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه ويعتقدوه. قاله ابن رسلان: وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها، والموافق لملبوس الناس والمخالف، لأن التحريم يدور مع الاشتهار، والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع.

فائدة:

جاء في «روائع البيان»: يطلب من المسلم أن يعوِّد بناته منذ سن العاشرة على ارتداء الحجاب الشرعي حتى لا يصعب عليهن بعدُ ارتداؤه وإن لم يكن الأمر على وجه (التكليف) وإنما هو على وجه (التأديب) قياسًا على أمر الصلاة: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في**

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة وانظر شرحه مفصلاً في كتاب «كنوز السنة».

(٢) رواه أبو داود والنسائي كذا في تخريج السنن حـ٦، صـ٥٧.

(٣) «روائع البيان» للشيخ الصابوني أثابه الله جـ٢، صـ٣٨٤- ٣٨٦.

المضاجع»[1]. انتهى من روائع البيان.

وفي كتاب «المرأة المسلمة» ـ السالف ذكره من قبل: ويؤمران ـ أي الوالدان ـ بستر ابنتهما إذا بلغت أن تشتهي لما سبق، وقدر حد الشهوة من التاسعة عادة، وقدر حد المراهقة من الثانية عشرة عادة، وقد تقدم. وخاصة في المجتمعات المثيرة للشهوات. انتهى من «المرأة المسلمة». ويا حبذا لو عوَّد المسلم ابنته على الحجاب من صغرها حتى يكون من فطرتها.

شبهات والرد عليها:

روى البخاري وغيره عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن أخاه الفضل كان رديفًا للنبي (ﷺ) في حجة الوداع فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل النبي (ﷺ) يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر. قد يقال: إن في هذا دليلاً على كشف الوجه.

أجابه الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله): وعن حديث ابن عباس بأنه لا دليل فيه على جواز النظر إلى الأجنبية، لأن النبي (ﷺ) لم يقر الفضل على ذلك، بل حرف وجهه إلى الشق الآخر، ولذلك ذكر النووي في «شرح صحيح مسلم» من فوائد هذا الحديث: تحريم النظر إلى الأجنبية. وقال الحافظ في «فتح الباري»: وفيه منع النظر إلى الأجنبيات، وغض البصر. قال عياض: وزعم بعضهم أنه غير واجب إلا عند خشية الفتنة، قال: وعندي أن فعله (ﷺ) ـ إذ غطى وجه الفضل ـ كأبلغ من القول.

فإن قيل: فلماذا لم يأمر النبي (ﷺ) المرأة بتغطية وجهها؟ فالجواب: أن الظاهر أنها كانت محرمة، والمشروع في حقها ألا تغطي وجهها إذا لم يكن أحد ينظر إليها من الأجانب، أو يقال: لعل النبي (ﷺ) أمرها بعد ذلك، فإن عدم نقل أمره بذلك لا يدل على عدم الأمر، إذ عدم النقل ليس نقلاً للعدم.

وروى مسلم وأبو داود عن جرير بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه) قال: سألت رسول الله (ﷺ) عن نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**» أو قال: «فأمرني أن أصرف بصري». اهـ.

ما أخرجه البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) في صلاة النبي (ﷺ) بالناس صلاة العيد، ثم وعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن وقال: «**يا معشر النساء! تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم**» فقامت امرأة سعفاء الخدين... الحديث.

قال ابن عثيمين ـ أثابه الله (تعالى) ـ ردًا على من يقول: ولولا أن وجهها مكشوف ما عرف أنها سعفاء الخدين، قال: وعن حديث جابر بأن لم يذكر متى كان ذلك، فإما أن تكون هذه المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا فكشف وجهها مباح، ولا يمنع وجود الحجاب على غيرها، أو أن يكون قبل نزول آية الحجاب فإنها كانت في سورة «الأحزاب» سنة خمس أو ست من الهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة. اهـ.

❑ ● ❑

(١) رواه أصحاب السنن وانظر «الجامع الصغير» للسيوطي.

الباب الحادي عشر

حكم عمل المرأة خارج البيت

أولاً: قال الله (تعالى): ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية: الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله (ﷺ) «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات**»[١]، (غير متطيبات). وفي رواية: «**وبيوتهن خير لهن**» وروى الحافظ البزار عن أنس (رضي الله عنه) قال: جاءت النساء إلى رسول الله (ﷺ) وقلن: يا رسول الله! ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله (تعالى)، فما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله (تعالى)؟ فقال رسول الله (ﷺ): «**من قعدت - أو كلمة نحوها -منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله (تعالى)** ». وعن النبي (ﷺ) قال: « **إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها**». أخرجه الحافظ البزار والترمذي. وفي الحديث: «**صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها**»[٢]. وقوله (تعالى): ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية الأولى. وقال قتادة: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله (سبحانه وتعالى) عن ذلك. وقال مقاتل: التبرج: أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج[٣]. انتهى.

الله أكبر، إن جلوس المرأة المؤمنة بين جدران بيتها لا يقل عند الله (تعالى) عن الجلوس بين جدران بيت الله الحرام، وإن سعيها بين مخدعها ومطبخها لا يقل عند الله (تعالى) عن السعي بين الصفا والمروة. وإن جلوس المرأة المؤمنة في بيتها بمثابة عداد يعد الحسنات، فإذا خرجت من بيتها، توقف هذا العداد، اللهم إلا إذا كان خروجها لحاجة يقرها الشرع الحنيف. أما إذا خرجت لغير حاجة فإنه قد يعقب توقف عداد الحسنات دوران عداد السيئات.

إن المرأة المؤمنة التي تقر في بيتها تثاب من ناحيتين: من ناحية امتثالها لأمر الله (تعالى) بالقرار في البيت، ومن ناحية عدم إيذائها للمسلمين. سبحان الله! وكأن الله (تعالى) يسأل ملائكته عن إمائه المؤمنات - وهو أعلم بهن: يا ملائكتي، كيف وجدتم إمائي؟ وكأنهم يقولون: يا رب أتيناهن وهن في البيوت وتركناهن وهن في البيوت.

أمان المرأة:

قد تقول امرأة: إنني أريد أن أؤمن مستقبلي ويكون لدي مصروف مستقل؟!!.

سبحان الله! إن أمان المرأة في أن ينفق عليها زوجها، ويزول هذا الأمان بإنفاق المرأة على نفسها، في غير الحالات التي تبيح للمرأة العمل خارج بيتها - والتي يأتي الكلام عنها بإذن الله (تعالى).

فالمرأة المؤمنة تجد العزة في الذلة لزوجها في طاعة الله، وتجد الغنى في إنفاق زوجها عليها، ولو كان لا يملك إلا دقل التمر، وتجد الهواء الطلق في نفس أولادها، ورائحة طبيخها. ولا تعجب من ذلك، فإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله (تعالى) من رائحة المسك... احترسي أيتها الأخت المؤمنة، فإن الشيطان قد يزخرف لك

---

(١) رواه البخاري بلفظ: «لا تمنعوا إماء الله بيوت الله».

(٢) أخرجه الحافظ البزار عن عبد الله بن مسعود وإسناده جيد.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير جـ٣، ص٩٣، ٩٤.

قائلاً: إذا طلقت فأين لك بالمال؟ وهنا أجيب عليك بسؤال وهو: هل عندك الآن في البيت صيدلية فيها كل الأدوية التي تصلح لعلاج كل الأمراض، أم أنه عندما يأتيك المرض تحضرين الدواء؟ إذن لماذا تبحثين عن هذا الأمر قبل وقوعه؟ وإذا أثارت المرأة هذا السؤال فإنها بذلك تكون قد أساءت الظن بربها. وفي الصحيحين عن رب العزة (جل شأنه): **«أنا عند ظن عبدي بي»**. فمن ظن بربه ظنًا حسنًا وجد الله (تعالى) عند حسن ظنه به، ومن ظن غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

القوامة:

قال الله (تعالى): ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء: ٣٤] قال ابن كثير [١] (رحمه الله تعالى) في تفسير هذه الآية: يقول (تعالى): ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾، أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾: أي لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، كذلك الملك الأعظم لقوله (ﷺ): **«لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»** رواه البخاري، وكذا منصب القضاء وغير ذلك ﴿**وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾، أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه (ﷺ)، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيِّمًا عليها كما قال (تعالى): ﴿**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٨] الآية، وقال ابن عباس: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾: يعني أمراء عليهن، أي تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله، انتهى من ابن كثير.

وفي «صفوة التفاسير»: ورد النظم الكريم: ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ ولو قال: بتفضلهم عليهن، لكان أخصر وأوجز، ولكن التعبير ورد بتلك الصيغة لحكمة جليلة، وهي إفادة أن المرأة من الرجل بمنزلة عضو من جسم الإنسان وكذلك العكس، فالرجل بمنزلة الرأس، والمرأة بمنزلة البدن، ولا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو، فالأذن لا تغني عن العين، واليد لا تغني عن القدم ولا عار على الشخص أن يكون قلبه أفضل من معدته، ورأسه أشرف من يده، فالكل يؤدي دوره بانتظام، ولا غنى لواحد عن الآخر، وهذا هو سر التعبير بقوله: ﴿**بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ فظهر أن الآية في نهاية الإيجاز والإعجاز [٢]. انتهى من «صفوة التفاسير».

لا تكلف المرأة بشيء من الإنفاق:

وجاء في كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ وهبي غلوجي: ولا تكلف المرأة بشيء من الإنفاق، أمًّا كانت أو أختًا، بنتًا كانت أو زوجة، قادرة على العمل أو عاجزة عنه، غنية كانت الزوجة أو فقيرة، كان زوجها قادرًا على العمل أو عاجزًا عنه، غنيًا كان أو فقيرًا، بل ذكر الفقهاء: أن الزوج غير القادر على العمل أو غير الواجد له وهو فقير يكلف بالسؤال لينفق على زوجته، ولا يكلف بذلك من أجل أمه، فإن الزوجة زوجته فقط والأم أم له ولإخوته، أما الأم والأخت إن كانتا غنيتين فتنفقان على أنفسهما من مالهما، وإذا افتقرتا كان على الولد والأخ الإنفاق عليهما ولا تكلفان بالعمل مع قدرتهما عليه [٣]. انتهى من كتاب «المرأة المسلمة».

تنبيه:

حتى لا يساء معنى السؤال في حالة عدم القدرة على العمل أو عدم وجوده، فإليك مختصر ما جاء في «مختصر منهاج القاصدين» في هذا الشأن:

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني جـ١ ص٣٨٥

(٢) «صفوة التفاسير» للصابوني جـ١ ص٢٧٨.

(٣) كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ وهبي غلوجي ص٦٦، ٦٧.

تحريم السؤال من غير ضرورة:

اعلم أنه قد ورد في السؤال أحاديث في النهي عنه، وفي الترخيص فيه. أما الترخيص: فكقوله (ﷺ): «**للسائل حق وإن جاء على فرس**». أخرجه أحمد وجوده الحافظان العراقي والسخاوي وغيرهما، ولو كان السؤال حرامًا، لما جاز إعانة المعتدي على عدوانه، والإعطاء إعانة.

وأما أحاديث النهي عن السؤال: فقد قال رسول الله (ﷺ): «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله (عز وجل) وليس في وجهه مزعة لحم**» أخرجاه في الصحيحين. وكشف الغطاء في هذا أن نقول: السؤال في الأصل حرام، لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور: أحدها: الشكوى، والثاني: إذلال نفسه، وما ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه. والثالث: إيذاء المسئول غالبًا. وإنما يباح السؤال في حال الضرورة والحاجة المهمة القريبة من الضرورة. أما المضطر، فهو كسؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتًا أو مرضًا. وأما المحتاج حاجة مهمة فهو كمن وجد الخبز وهو محتاج إلى الأدم، فله أن يسأل مع الكراهة[1]. انتهى من «مختصر منهاج القاصدين».

ونعود مرة أخرى إلى حكم عمل المرأة خارج البيت، فنقول وبالله التوفيق:

سبحان الله! إن البيوت بدون الأمهات الصالحات قبور، سبحان الله! بيت بلا زوجة كمسجد لا تقام فيه صلاة، سبحان الله! لو علمت المرأة ثواب جلوسها في بيتها ما خرجت من بيتها إلا ثلاث مرات: مرة من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومرة من بيتها إلى البيت الحرام لأداء فريضة ربها، ومرة من مكان موتها إلى قبرها.

ثانيًا: جاء في كتاب «المرأة المسلمة» لفضيلة الشيخ وهبي غلوجي ما مختصره:

قال أثابة الله: قد عرفنا طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة الاجتماعية. وعرفنا آداب خروجها من البيت وصفة ثيابها في ذلك، وضرورة بعدها عن مخالطة الرجال ولو كان في الطريق أو المسجد والطواف حول الكعبة.

وعرفنا حرمة اختلائها بالرجال، وحرمة سفرها وحدها، أو مع غير زوج أو محرم، وعرفنا كذلك أنها تقيم في بيتها لا تخرج إلا لحاجة، وليس حاجتها طلب الرزق فإنها مكفية الرزق من والدها، أو زوجها، أو أخيها، أو ابنها، أو قريبها.

وعرفنا كذلك أن لها أن تعمل في مساعدة زوجها - أو أبيها - في الخياطة والتطريز وغير ذلك، وأن تتاجر بمالها لأن لها الشخصية المستقلة.

وعرفنا كذلك أنها مشغولة دائمًا بالعناية بأولادها وبيتها وزوجها، وهي - لعمر الله - أعمال تتناسب مع فطرتها، وتقتضيها طبيعة مشاركة الرجل في أمور الحياة.

وهي في هذا كله لا تجد حاجة تدعوها إلى الخروج من البيت لتعمل، فإنما هي ضرورة - والضرورة تقدر بقدرها - فتخرج مراعية الشروط التالية:

١ - إذن وليها - من أب أو زوج - لها في الخروج للعمل.

٢ - سلامتها من الاختلاط والخلوة بالأجنبي، وقد عرفنا حرمة ذلك شرعًا، وذلك لما قد ينتج عنه من آثار سيئة في النفوس والأخلاق بل من الفساد في الأعراض.

٣ - خروج المرأة من بيتها على الزي الإسلامي من جلباب سابغ وستر للوجه والكفين إلخ[2]. (على التفصيل الذي تقدم في حكم تغطية وجه المرأة).

ونتساءل: هل من حاجة عامة لخروج المرأة من بيتها للعمل؟ وهل من فائدة عامة في ذلك؟ ثم هل ثمة -

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) انظر «ماذا عن المرأة» للشيخ نور الدين عتر ص١٦٧.

خسارة في خروجها من البيت إلى العمل خارجه؟[١].

(أ) يقول بعضهم: إن عمل المرأة خارج البيت ـ ولا يعدون عملها في البيت عملاً مع أنهم يجلبون الخادمات للعمل في بيوتهم ـ يساعد على التقدم الاجتماعي وزيادة الإنتاج.

لكن خروج المرأة من البيت لتعمل خارجه يعني:

١ ـ إهمال الأطفال من العطف والرعاية. ولا شك أن عملية التربية تقوم على الحب والصدق والملاحظة وطول الزمن، وبدون ذلك لا تتحقق التربية، ومحاضن الرضع وأعشاش الأطفال عند الآخرين تُظهر ـ لمن يريد أن يرى ويعلم ـ أنها لا تحقق للأطفال ما يتحقق لهم في بيوتهم، لأن المربية في المحضن مهما كانت على علم وتربية فإنها لا تملك قلب الأم... فلا تصبر... ولا تحرص... ولا تحب كما تفعل الأم.

فهل يوازي ما يخسره الأولاد من عطف الأمهات وعنايتهم ما تعود به الأم آخر النهار من دريهمات؟!!

٢ ـ إن المرأة التي تخرج إلى العمل في مجتمعاتنا تخالط الرجال ـ عادة ـ وقد تخلو بهم، وذلك أمر محرم، وأضرار ذلك على سمعتها وأخلاقها معلوم غير مجهول.

فهل يوازي ما تخسره المرأة من سمعتها ـ وربما شرفها ـ ما تعود به آخر النهار منْ دريهمات؟.

٣ ـ إن المرأة التي تعمل خارج البيت تحتل في كثير من الحالات مكان الرجل ـ وقد يكون زوجها أو أخاها ـ وتدع في بيتها مكانًا خاليًا لا يملؤه أحد.

٤ ـ إن المرأة التي تعمل خارج البيت تفقد أنوثتها ويفقد أطفالها الأنس والحب.

٥ ـ إذا خرجت المرأة من بيتها للعمل فستعتاد الخروج من البيت ولو لم يكن لها عمل كما هو ملاحظ. وبالتالي سيستمر انشطار الأسرة وانقطاع الألفة بين أفرادها، ويقل ويضعف التعاون والتحاب بين أفرادها كما هو ملاحظ في بلاد الآخرين، وقد كادت الأسرة أن تنهار كليًا.

٦ ـ المرأة مطبوعة على حب الزينة والتحلي بالثياب وغيرها قال الله (تعالى): ﴿**أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: ١٩] فإذا هي خرجت لتعمل خارج البيت فإنها ستنفق الكثير من المال الذي تأخذه على ثيابها وزينتها وتصفيف شعرها، ودول الآخرين تشكو من الملايين التي تذهب في تفاهات الزينة التي تتزين بها النساء.

وانظر إلى غالب الموظفات في طريق ذهابهن إلى أعمالهن أو عودتهن منها، لترى الترف الفارغ والمال الضائع، في مظاهر وبهارج.. لا ترقى بمجتمع ولا تتقدم باقتصاد.

٧ ـ إن المرأة كما يقول الخبراء: أقل عملاً وإنتاجًا من الرجل، وأقل منه رغبة في الطموح، والوصول إلى الجديد، إن لها ـ من العادة الشهرية، وأعباء الحمل والفكر في الأولاد وفي الأنوثة ومطالبها ـ ما يشغلها حقًا أن توازي الرجل في عمله ويعوقها عن التقدم بالعمل. والنادر من النساء لا ينقض القاعدة.

فإذا وازنًّا ـ بصدق وصراحة ـ بين ما يقدرون من تقدم وإنتاج حين تعمل المرأة خارج البيت ـ وهم لا يعدون عملها في البيت عملاً (عنادًا ومكابرة) ـ مع ما ذكرناه وما لم نذكر من أخطار وأضرار، فهل تربو فائدة خروج المرأة من البيت على قرارها فيه؟

ثم إن المسلم لا يغفل عن أن الله (تعالى) قد خلق الخلق لعبادته وطاعته، وأمرهم أن يسيروا وفق شرعه

---

(١) راجع هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ وهبي غلوجي ص٢٢٧ ـ ٢٢٩، مع التنبيه إلى أن غالب ما تم حذفه من كتاب «المرأة المسلمة» السالف ذكره خاص بأقوال غير المسلمين عن عمل المرأة خارج البيت، وكلها تؤيد القرار داخل البيت، ولكني اكتفيت بكلام ربنا وسنة نبينا (ﷺ)، فإن أصدق الحديث كتاب الله (تعالى)، وخير الهدي هدي محمد (ﷺ).

وهديه، ثم هو المتكفل - بعد ذلك - لعباده بما شاء من رزق، وهو واسع واسع إذا سلكوا مسالكه الحقة، قال الله (تعالى): ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(ب) قد يقول قائل: إذن لماذا خرجت المرأة الأوربية لتعمل خارج البيت وما تزال ؟ أقول: لهذا أسباب عديدة ليس منها سبب يقصد به إكرام المرأة، وهاك بعضها:

١ - إن الأب هناك لا تكلفه الدولة الإنفاق على ابنته إذا بلغت الثامنة عشرة من عمرها، لذا فهو يجبرها على أن تجد لها عملاً إذا بلغت ذلك السن.. وكثيراً ما يكلفها دفع أجرة الغرفة التي تسكنها في بيت أبيها فضلاً عن أجرة غسل الثياب وكيها.

٢ - إن الناس يهناك يحيون لشهواتهم، فهم يريدون المرأة في كل مكان. فأخرجوها من بيتها لتكون معهم.. ولهم.. ألا ترى كيف يسخرونها لشهواتهم الدنيئة في الإعلانات....،.... إلخ.

٣ - إن البخل والأنانية شديدة عندهم، فهم لا يقبلون أن ينفقوا - في زعمهم - على من لا يعمل إلا أعمالاً بسيطة. ولا يرون تربية الأولاد أمرا هاماً ومهمة شاقة، لأنهم لا يبالون بدين وتربية.

٤ - إن المرأة عندهم هي التي تهيئ بيت الزوجية، فلا بد لها أن تعمل وتجمع المال حتى تقدمه مهراً (دوطة) لمن يريد الزواج بها. وكلما كان مالها أكثر كانت رغبة الرجال فيها أكثر. ومع ذلك فما يزال هناك بعض من الآباء ينفقون على بناتهم إذا بلغن، ولا يرضون لهن بالعمل خارج البيت، ولا بمخالطة الرجال إلا في حدود ضيقة، وقليل ما هم.

٥ - وهي اليوم تجد الحرية لخروجها من البيت، فتخادن من تشاء، وتصادق من تشاء، وتذهب حيث تشاء، بل وتنام حيث تشاء.

وقد استمرأت هذه الحياة الفاسدة واستمرأ الرجال ذلك فيهن، ومعهن، فلن تعود المرأة هناك إلى بيتها وإلى عفافها، إلا إذا عادت إلى الإسلام، فهو وحده الكفيل بإعادة الحياة الإنسانية إلى فطرتها، وتقويم كل اعوجاج وانحراف فيها.

(جـ) وقد يقول قائل: فما بال المرأة عندنا خرجت من بيتها لتعمل خارجه، متحملة عصيان الله (تعالى) ومخالفة الولي - من الوالدين أو الزوج - ومعرضة نفسها للتهم والفساد، وربما الزنا، ومهددة أسرتها بالانهيار، ومكلفة فطرتها ما لا تحب ولا ترضى؟

ما بال المرأة عندنا خرجت من بيتها لتعمل خارجه فتخالط الرجال، وهي مكفية النفقة من وليها، من أب أو أخ أو زوج، والرجل لا يطمع فيها قدر ما يطمع الآخرون، لما يزال فيه من إسلام وغيرة وعفة، وهي إذا تزوجت تأخذ المهر خالصًا لها طيبًا؟

إنها - أيها الأخ (المسلم) - استمرأت مظاهر الحياة عند الآخرين، وأعجبت بالمرأة هناك، لها مكسب خاص تنفق منه على زينتها وبهرجتها، أعجبت بالمرأة هناك تحيا حرة، لما لها من الاستقلال الاقتصادي من حيث ما تأخذ من راتب، وأسباب يأتي ذكرها، إنها بكلمة واحدة: التبعية، والتقليد، لمن لا يرجو الله واليوم الآخر.

ويا حبذا.. يا حبذا لو قامت في بلاد العرب - بلاد المسلمين - هيئات تحصي - بصدق - نتائج خروج المرأة من بيتها لتعمل مع الرجال، وتصادق الرجال وتخادن الرجال: من إفساد للأسر، وحوادث الزنا، وثمرات الزنا، ومن هوان الجرائم في أعين الناس وقلوبهم، ومن الخيانات الزوجية، وجرائم السرقة، وشرب الخمر، والاعتداء على الأعراض، وحوادث القتل... إلخ.

لو قامت تلك الهيئات بإحصاء واحد لربما كانت نتيجة ذلك الإحصاء مدعاة لنعود إلى صورة المجتمع المسلم، حيث لا اختلاط، ولا عمل مشترك بين الرجل والمرأة، فلا فساد إلى حد كبير، حبذا لو يتم هذا قبل أن نتمادى أكثر مما نفعل، فيصبح العود أصعب - معاذ الله - وعسى أن يكون ذلك قريبًا. انتهى من كتاب

«المرأة المسلمة».

❑ ● ❑

ثالثًا ـ كيفية تعليم المرأة:

قال فضيلة الشيخ وهبي (أثابه الله): من حاجة خروج الأنثى من البيت: خروجها إلى تعلم العلم[١].

من خلال ما عرضنا من طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة، نستطيع أن نقرر بسهولة وإيجاز: أن العلم الذي يجب أن توجه إليـه جهـود الآباء ووزارة التربيـة والإعلام في حق الأنثى هو العلم الذي يتـفق مع طبيـعة الأنثى ووظيفتها في الحياة:

١ ـ فتكثر لها دروس الدين المختلفة ـ من قرآن وسنة وتوحيد وفقه ـ والأنثى سريعة التأثر، ولكنها سريعة التحول كذلك لقوة عاطفتها؛ فالإكثار عليـها من دروس الدين والوعظ كفيل ـ بإذن الله (تعالى) ـ بتنشئتها لتصبح أمًا تقوم بواجباتهـا الدينية والدنيوية في الأسرة خير قيام، والإخلال بالتذكـير في هذا الجانب يورث قسوة القلب، ولا خير في قلب قاس.

٢ ـ تكثر لهـا دروس التربية والأخلاق، وتردد لهـا بما يتناسب مع دراستها، كي تجـد في نفسها حـصيلة كريمة في الأخلاق علمًا وعملاً، فتربي على ذلك أولادها في المستقبل.

٣ ـ تكثر لها دروس العناية بالأسرة: قيامها، وظيفتها، وظائف أعضائها، واجباتها نحو زوجها، وبيتها، وأولادها.

٤ ـ تكثر لها دروس العناية بتربية الأطفال تربية سليمة من جهة الخلق والجسم والعقل.

٥ ـ تكثـر لها دروس التـاريخ المتمثـلة في المجاهدين والمصلحين وأثرهم الحـسن في أقوامـهم، كي تربي أولادها في المستقبل على أخلاق العظمة، والخير والصلاح.

٦ ـ تكثر لها دروس تتعلم بها أعمالاً تتفق مع وظيفتها من خياطة وتطريز وحِرف أخرى.

٧ ـ توجه بعـضهن إلى متـابعة الدراسة العـالية كي يخـرجن قابلات، ممرضات للنسـاء ـ دون الرجال ـ طبيبات ـ للنسـاء كذلك ـ معلمات ومدرسات يعـملن في المدارس التي تنشأ لهن، ويكون التعليم فيهـا مؤنثًا قدر الإمكان.

بهذا ـ وأمثاله ـ توجه الأنثى في التـعليم الوجهة التي تتفق وفطرتها واختصاصهـا وما أحوج الإنسانية إلى الاختصاصات المختلفة، وما أشد ما تعمل اليوم لتوفيرها، لكنها للأسف تغفل عن هذا الاختصاص العظيم الهام، لما سبق ذكره من الأسباب. وينبغي ألا تُعلَّم الأنثى كما يُعلَّم الذكر حذو القذة بالقذة كما يفعل الآخرون. ويجب أن يحذر من الاختلاط في التعليم لأضراره البالغة الدرجة القصوى من الخطورة. انتهى من كتاب «المرأة المسلمة».

فائدة:

جاء في كتاب «فـقه السنة» للشيخ الجليل سيد سـابق تحت عنوان «خروج المرأة لطلب العلم» ما يلي: إذا كان العلم الذي تطلبه المرأة مفروضًا[٢] عليها وجب على الزوج أن يعلمها إياه ـ إن كان قادرًا على التعليم ـ فإذا لم يفعل وجب عليـها أن تخرج حيث العلمـاء ومجالس العلم، لتتـعلم أحكام دينها ولو كان من غـير إذنه. أما إذا كانت الزوجة عالمة بما فرضه الله عليها من أحكام. أو كان الزوج متفقهًا في دين الله، وقام بتعليمها، فلا حق لها في الخروج لطلب العلم إلا بإذنه. انتهى من «فقه السنة»[٣].

---

(١) كتاب «المرأة المسلمة» لفضيلة الشيخ وهبي غلوجي ص٢٤٠.

(٢) العلم الفرض: هو العلم بالعمل الذي فرضه الله لأن كل ما فرض الله عمله فرض العلم به.

(٣) «فقه السنة» جـ٧ ص١٧٤.

شروط خروج المرأة من البيت:

جاء في كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ غلوجي ما مختصره: الأصل في المرأة أن تقر في بيتها حيث مملكتها ووظيفتها قال الله (تعالى): ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وهذه الآية وإن كان نزولها في نساء الرسول (ﷺ) فهي خطاب لبناتهن كذلك من نساء المؤمنين جميعًا لأن الأنوثة واحدة... وقال (ﷺ): «**أذن لكن في الخروج لحاجتكن**». رواه البخاري. وقال في الإذن للنساء إلى المساجد: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**» رواه البخاري.

وخروج المرأة إلى المسجد للصلاة خروج إباحة لا وجوب كالرجل، وقد تقدم حديث زوجة أبي حميد الساعدي: «... **صلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ... وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة**» وذلك لما في ذلك من قلة الخروج، ثم قرب المسافة عند الخروج من البيت.

ومن هنا قال الفقهاء: لا تخرج الشواب إلى مساجد الجماعة، وتخرج العجائز إن شئن، حذرًا من الفتنة، وقد حدد الإسلام خروج المرأة من البيت لحاجة وبشروط أخرى تجمل فيما يلي:

١ ـ الخروج للحاجة، لا للهو وإضاعة الأوقات قال (ﷺ): «**أذن لكنّ...** ».

٢ ـ الخروج بإذن الزوج أو الولي من الأب أو الأم أو الأخ والعم.

٣ ـ اتخاذ الستر الحق عند الخروج، وذلك أن تستر جميع بدنها (كما تقدم في الباب السابق عند بيان شروط الحجاب الشرعي) وأن تغض نظرها في سيرها، فلا تنظر هنا وهناك لغير حاجة.

٤ ـ ترك التعطر أو استعمال أدوات الزينة المعطرة (كما تقدم في آيات سورة النور).

٥ ـ ترك التعطر ولو في الخروج إلى الصلاة في مثل يوم الجمعة (كما تقدم أيضًا في آيات سورة النور).

٦ ـ لا تمشي وسط الطريق وفي زحمة الرجال (كما تقدم أيضًا في سورة النور).

٧ ـ تمشي متواضعة على أدب وحياء فلا تتخذ خلاخل ولا حذاء يضرب على الأرض بقوة، فيسمع الناس قرع حذائها فيلتفتون. وربما وقعت الفتنة (كما تقدم أيضًا في آيات سور النور).

٨ ـ وإذا حادثت أجنبيًا ـ غير محرم لها ـ تحادثه بصوت عادي. وتسعى جهدها أن يكون خاليًا من الرقة والتكسر والإغراء. قال (تعالى): ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٩ ـ ولا ترفع النقاب عن وجهها في الطريق والأسواق ومجامع الرجال، إلا أن تضطرها إلى ذلك حاجة وعلى قدر تلك الحاجة.

جاءت أم خلاد إلى النبي (ﷺ) ـ وهي منتقبة ـ تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي (ﷺ): جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي. فقال رسول الله (ﷺ): «**ابنك له أجر شهيدين**»: قالت: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: «**لأنه قتله أهل الكتاب**»[1].

١٠ ـ وإذا ذهبت إلى دكان أو دائرة فلا تنفرد هناك برجل وقد أغلق الباب عليهما؛ لأن ذلك خلوة. قال (ﷺ): «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[2]. ولا تصافح غير ذي محرم منها من الرجال. «ما مس رسول الله (ﷺ) يد امرأة ـ أجنبية ـ قط إلا أن يأخذ عليها فإذا أخذ عليها ـ أي العهد والبيعة ـ قال: «**اذهبي فقد بايعتك**»[3].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه الترمذي والنسائي.

(٣) رواه أبو داود. هذا ولا يفهم من تتمة الحديث أن النبي (ﷺ) كان يصافح النساء فقد كان يبايعهن دون مصافحة.

١١ ـ وإذا دخلت على صديقة لهـا تزورها فلا تضع ثمة ثيابها، فـقد يكون في البيت رجل يتلصص، أو تكون في المجلس امرأة سوء تصفها لمن يرغب فيها، قال رسول الله (ﷺ): «**أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله (عز وجل)**»[١].

ولا ريب أنه يحرم على المرأة أن تصف امرأة أجنبية لزوجها، فقد يدعو ذلك إلى الإثم، قال (ﷺ): «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتهـا لزوجها كأنه ينظر إليها**». رواه البخاري وأحمد وغيرهما. أي لا تصف لزوجها ما رأت من حسن المرأة.

١٢ ـ لا تخرج من بلدها إلى مكان آخـر يبعد أكثر من ثلاثين كيـلوا مترًا إلا ومعها زوج أو مـحرم. قال رسـول الله (ﷺ): «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخـر أن تسير مسافـة يوم وليلة إلا مع ذي محرم**». متـفق عليه.

(سؤال: هل يجوز للمرأة أن تسافر دون محرم إلى المدن حيث الجامعة وتعيش هناك من أجل العلم...؟).

١٣ ـ ولا تخرج حتى لأداء نسك الحج دون زوج أو محرم[٢]، قال رسول الله (ﷺ): «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافرالمرأة إلا مع ذي محرم**». فقال رجل: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا؟ فقال: «**انطلق وحج مع امرأتك**». متفق عليه.

١٤ ، ١٥ ـ لا تتشبه بالرجل في اللباس ولا غيره مما هو خـاص به (كما تقدم في شروط الحجاب). ولا تلبس لبس الفاسقات المستهترات. فتغري الرجال من حيث تريد أو لا تريد[٣]. انتهى (كما تقدم أيضًا).

استدراك:

تعليقًا على الشرط الحادي عشر والحديث الخاص بوضع ثياب المرأة في غير بيت زوجها فقد جاء ذكر هذا الحديث في كتاب جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد في باب الحمام عن عائشة (ﷺ) (دخل نسوة من أهل الشام فقالت: لعلـكن من الكورة التي تدخل نساءها الحمامات؟ قلن: نعم، فقـالت: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقـول: «**ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيـت زوجها إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب**». قـال المحقق: رجاله رجـال الصحيح وقال التـرمذي: حسن. انتهى. (وهي حمـامات عامة خاصـة بالنساء، ومن باب أولى ينطبق هذا الحديث على حمامات السباحة والمصايف. أعاذ الله نساء المسلمين منها).

وعلى هذا، فيحل للمرأة المسلمة أن تضع ثيابها عند المرأة المسلمة طالما أنها تحافظ على ستر العورة. وطالما أنها أيضًا في أمن من اطلاع الرجال عليها.

ومن المعلوم أن عـورة المرأة مع المرأة من السرة إلـى الركبـة، ويجوز النظر إلى مـا عدا ذلك، عـدا المرأة المشركة فهي كالرجل الأجنبي لا ينبغي أن تتكشف المرأة المسلمة أمامها إلا لحاجة.

وعلى ذلك فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تـظهر عورتها أمام امرأة أخرى ولو كانت أمها أو أخـتها أو ابنتها إلا لضرورة كالولادة أو المعالجـة من مرض ونحوه. ولا يدخل الاستحداد (حلق العـانة) الخاص بالنساء تحت هذه الضرورة والله أعلم. (ذكرني ـ بأن هذا الحديث خاص بدخول الحمام ـ أحد العلماء جزاه الله خيرًا).

❑ ● ❑

---

(١) رواه أحمد وابن حبان.

(٢) راجع أقوال العلماء في اشتراط الزوج أو المحرم بالنسبة لحج المرأة وهل أجازه بعضهم؟.

(٣) «فقه السنة» جـ١ ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

الباب الثاني عشر

علاج الصرع وعلاج السحر وفك الربط

أولاً: هديه (ﷺ) في علاج الصرع:

جاء في «زاد المعاد» لابن القيم (رحمه الله تعالى) ما مختصره:

أخرجا في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح، قال: قال ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي (ﷺ) فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، فقال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك**». فقالت: أصبر، فقالت: فإني أتكشف، فادع الله ألا أتكشف فدعا لها.

قلت: الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية[1] وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني: هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه ... إلى أن قال (رحمه الله تعالى): وعلاج هذا النوع ـ أي الأول ـ يكون بأمرين:

أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا، وأن يكون الساعد قويًا فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عدم الأمران جميعًا؟: يكون القلب خرابًا من التوحيد، والتوكل، والتوقي، والتوجه، ولا سلاح له.

والثاني: من جهة المعالج، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: اخرج منه. أو يقول: باسم الله. أو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. والنبي (ﷺ) كان يقول: «**اخرج عدو الله أنا رسول الله**»[2].

وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح[3] التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارًا[4]. انتهى.

ثانيًا: علاج الصرع:

جاء في «تحفة الذاكرين» للشوكاني تحت عنوان: (ما يقال للمصاب بلمة من الجن) ما يلي:

الحديث أخرجه أحمد والحاكم في المستدرك كما قال المصنف (رحمه الله)، وهو من حديث أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال: كنت عند النبي (ﷺ) فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله إن لي أخًا به وجع، قال: وما وجعه؟ قال به لم قال: «**فائتني به**». فأتاه به فوضعه بين يديه فعوذه بفاتحة الكتاب... الحديث إلخ وقال في آخره: فقام الرجل كأن لم يشكُ شيئًا قط.

---

(١) وقال (رحمه الله): وبالجملة: فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصينات النبوية والإيمانية فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عريانًا فيؤثر فيه هذا.

(٢) رواه أحمد وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

(٣) لاحظ أن هذه الروح تتكلم على لسان نفس الشخص المصروع ولكن بصوت مختلف.

(٤) «زاد المعاد» بتحقيق الأرناؤوط جـ٤ ص٦٦ ـ ٧١.

قال الحاكم في المستدرك: صحيح ورواه ابن ماجه من طريق أخرى. وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» من حديثه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند. وقال: فيه أبو جناب وهو ضعيف لكثرة تدليسه، وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أبو يعلى بنحوه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل عن أبيه، وفي إسناده أبو جناب المذكور(١) انتهى.

الآيات الواردة في الحديث السالف ذكره:

[الفاتحة]، [البقرة: الآيات: ١ ـ ٥، ١٦٣، ١٦٤، ٢٥٥، ٢٨٤ ـ ٢٨٦]، [آل عمران: ١٨، ١٩]، [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٦]، [المؤمنون: ١١٦ ـ ١١٨]، [الصافات: ١ ـ ١٠]، [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤]، [الجن: ٣]، [قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس].

ثالثًا: السحر:

ذكر الله (تعالى) السحر في أكثر من موضع في القرآن، وخاصة قوله (تعالى): ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٢] وهو من الموبقات ـ المهلكات ـ السبع التي صح عنه (ﷺ) الأمر باجتنابها لما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله (ﷺ) قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**».

فمن أراد معرفة مدى حرمة هذه الموبقة ومعرفة أنواع السحر . وأقوال العلماء في قتل الساحر، وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته أم لا؟ فليرجع إلى «تفسير ابن كثير» (رحمه الله)(٢) لهذه الآية وأيضًا تفسير ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق: ١].

رابعًا: علاج السحر:

والمقصود ذكر هديه (ﷺ) في علاج هذا المرض، وقد روي عنه فيه نوعان:

أحدهما: وهو أبلغهما: استخراجه وإبطاله كما ثبت ذلك في الصحيح.

والنوع الثاني: الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر (وذكر رحمه الله الحجامة كمثل لذلك) ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، مغمورًا بذكره، وله من التوجيهات والدعوات والأذكار والتعوذات، وورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه: كان من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له. ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه، وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعله والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات ولهذا فإن غالب ما يؤثر فيه النساء والصبيان، والجهال، وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية(٣). ا هـ من «زاد المعاد».

تنبيه: علاج فك الربط:

جاء في تفسير الآية لابن كثير ما يلي:

---

(١) «تحفة الذاكرين» للشوكاني ص٢١١، ٢١٢.

(٢) «مختصر تفسير ابن كثير» للصابوني جـ١ ص٩٥ ـ ١٠٢، جـ٣ ص٦٤٢ ـ ٦٩٦.

(٣) «زاد المعاد» لابن القيم جـ٤ «الطب النبوي» ص ١٢٤ ـ ١٢٧.

وهل يسأل الساحر حلاً لسحره؟ فأجازه سعيد بن المسيب فيما نقله عنه البخاري وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة. وكره ذلك الحسن البصري وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله هلا تنشرت؟ فقال: **«أما الله فقد شفاني وخشيت أن أفتح على الناس شرًا»**.

وحكى القرطبي عن وهب أنه قال: يؤخذ سبع ورقات من سدر، فتدق بين حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات، ثم يغتسل بباقيه فإنه يذهب ما به وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته.

(قلت) أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله (ﷺ) في إذهاب ذلك وهما (المعوذتان). وفي الحديث: **«لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما»**. وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان. انتهى. من ابن كثير.

خامساً: بعض ما ورد في حل السحر:

جاء في تفسير ابن كثير[1] لسورة يونس عند قوله (تعالى): ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ**﴾ [يونس: ٨١] ما يلي:

وقال ابن حاتم، عن ليث ـ ابن أبي سليم ـ قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله (تعالى): تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور، الآية التي من سورة يونس.

* ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾ قال ابن كثير: الآية وذكر الآيتين ٨١، ٨٢.

* والآية الأخرى ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ إلى آخر أربع آيات ... أي كالآتي: ﴿**فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ**﴾ [الأعراف: ١١٨: ١٢٢].

وقوله: ﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ**﴾ [طه: ٦٩] انتهى من «تفسير ابن كثير».

تنبيه:

وروي ـ والله أعلم ـ أن تلك الآيات السابقة تكتب بمداد طاهر كالزعفران ثم تذاب في كوب به ماء، ثم يشرب منها المسحور، يفعل ذلك ثلاث مرات: الكتابة والإذابة والشرب.

سادساً: تنبيهات خاصة بفك الربط:

* توضيحًا لما أورده ابن كثير (رحمه الله تعالى) عن الربط ـ والذي سبق الكلام عنه ـ يراعى ما يلي:

(أ) ورق السدر هو الورق المعروف بورق النبق.

(ب) يراعى أن يكون هذا الورق أخضر، وقد ورد ذلك في كتاب «آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان».

(جـ) يراعى ترتيب الخطوات المتبعة ولا تتقدم خطوة على أخرى، ويمكنك أن تكتب هذه الخطوات بالأرقام فتقول مثلاً:

١ ـ سبع ورقات من سدر.

٢ ـ تدق بين حجرين.

٣ ـ تنضح بالماء... ثم تكتب باقي الخطوات.

(د) يراعى أن تكون كمية المياه كافية للشرب والاغتسال بحيث إنه بعد قراءة آية الكرسي لا يزاد الماء.

---

(١) «تفسير ابن كثير» جـ٢ ص٤٢٧.

(هـ) إذا كان المسحور لا يصلي، فعليه أن يصلي، وأن يعتقد بأن النافع والضار والشافي هو الله (سبحانه وتعالى).

سابعاً: تنبيهات لا غنى عنها:

(أ) على من أراد القيام بالرقية التي سبق الكلام عنها من تحفة الذاكرين أن يراعي ما يلي:

١ ـ عليه أن يداوم على الأذكار الواردة في الصباح والمساء خصوصًا [قل هو الله أحد] والمعوذتين.

٢ ـ أن يرقي أولاده الصغار بالمعوذتين، وهذا عام لكل من له أولاد صغار.

٣ ـ أن يحافظ على أذكار النوم خصوصًا آية الكرسي.

٤ ـ أن يجتنب الأشياء غير الشرعية عند الرقية ولا يرقي إلا بالوارد ويراعي ما يقال على لسان الروح، مثل ما ذكره ابن تيمية (رحمه الله) عندما قالت له الروح: أنا أدعه كرامة لك فقال لها (رحمه الله): لا ولكن طاعة لله ورسوله.

٥ ـ أن يقرأ الكتاب السالف ذكره وهو «آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان» ، تأليف الشيخ العلامة المحدث القاضي بدر الدين أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي. [تصحيح عبد الله محمد صديق].

(ب) ما يدلك على خطورة عدم التسمية ما جاء في كتاب «آكام المرجان» السالف ذكره في الباب الثاني بعد المائة عن يحيى بن يعلى الأسلمي عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال: إذا جامع الرجل أهله ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه، فذلك قوله (تعالى): ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[1] [الرحمن: ٧٤]. انتهى.

(جـ) وجاء في الباب الثامن بعد المائة من نفس الكتاب السالف ذكره تحت عنوان (في بيان نوم الشيطان على الفراش الذي لا ينام عليه أحد) قال المؤلف (رحمه الله): ليس هذا على إطلاقه بل إذا فرش ولم يسم عليه وليس مخصوصًا بالفراش بل كل ما لم يسم عليه من طعام أو شراب أو لباس أو غير ذلك مما ينتفع به، فللشيطان فيه تصرف واستعمال إما بإتلاف عينه كالطعام والشراب وإما مع بقاء العين[2]. انتهى.

فينبغي للمسلم أن يبدأ عمله: باسم الله، ويكون ذلك حتى في أقل الأشياء فإذا دخل غرفة يقول: بسم الله، وإذا ضغط على مفتاح الكهرباء يقول: بسم الله، وإذا حمل شيئًا يقول: بسم الله وإذا أوقد النار يقول: بسم الله، وإذا أتى بالقلم من مكانه يقول: بسم الله.

فائدة:

جاء في باب الغضب في «مختصر منهاج القاصدين»: وروينا أن إبليس لعنه الله بدا لموسى (عليه السلام) فقال: يا موسى إياك والحدة، فإني ألعب بالرجل الحديد كما يلعب الصبيان بالكرة.

❑ ● ❑

---

(١) «آكام المرجان»: ١٧٧، ١٧٨.

(٢) «آكام المرجان»: ١٨٠، ١٨١.

□ ● □ خاتمة □ ● □

حتى نعتصم بالله من الجن فعليك بهذه الأحراز:

١ ـ الاستعاذة قال (تعالى): ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

٢ ـ قراءة الموعذتين: فعن أبي سعيد أن رسول الله (ﷺ) كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما. أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقد تقدم فضل قراءة [قل هو الله أحد والمعوذتين] ثلاث مرات في الصباح وفي المساء، في الحديث رقم ٤ من أذكار الصباح والمساء.

٣ ـ قراءة آية الكرسي عند النوم: وقد تقدم في فضلها الحديث رقم ٣ من أذكار النوم.

٤ ـ قراءة سورة البقرة: لقوله(ﷺ) «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**» رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

٥ ـ قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة عند النوم: وقد تقدم الحديث رقم ٤ من أذكار النوم.

٦ ـ قول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) في اليوم مائة مرة: وقد تقدم في الحديث ٢٤ من الأذكار أن من قرأها بهذا العدد كانت له حرزًا من الشيطان.

٧ ـ كثرة ذكر الله (عز وجل): لقوله (ﷺ) في حديث يحيى بن زكريا: (...**كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى...**) الحديث. رواه أحمد والترمذي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقد تقدم فضل الذكر وأنه يطرد الشيطان.

٨ ـ الوضوء: وقد روي في الحديث: «**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**».

٩ ـ الصلاة: فإن الشيطان يبكي لرؤيته سجود ابن آدم ويقول كما في الحديث: «**يا ويله أمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار**».

١٠ ـ العلم: لقوله (ﷺ): «**لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**». رواه الترمذي.

١١ ـ إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، وعمومًا سد مداخل الشيطان، والتي من أهمها الحسد والحرص والغضب والشهوة والشبع والطمع فيما في أيدي الناس، والعجلة والكبر... وفي النهاية يمكن القول بفضل الله (تعالى): كل ما يُبعدك عن الرحمن، يُقَربك من الشيطان.

□ ● □

الباب الثالث عشر

الدين النصيحة

قال رسول الله (ﷺ): «**الدين النصيحة**». رواه مسلم.

لذا أذكر نفسي وإياك بهذه النصائح والفوائد:

الأولى: قال الله (تعالى): ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣٨].

الصــلاة الـوسطى: قال ابن كثيـر (رحمه الله) بعد أن أورد الخلاف فيها: وقـد ثبتت السنة بأنها صلاة العـصر[١]. انتهى. وعلى هذا يمكن القول ـ والله أعلم: انتظارك صلاة العصـر قبل الأذان لا يقل عن استيقاظك قبل الفجر للقيام.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: سألت رسول الله (ﷺ): أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالـدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». متفق عليه، وعلى هذا يمكن القول ـ والله أعلم: إذا أردت الرضوان فـحافظ على الصلاة حفاظ المؤذن على الأذان، ولا يفوتك أن تـقرأ فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في (مسألة الجماعة للصلاة) هل واجبة أم سنة؟ وإذا قلنا: واجبة. هل تصح الصلاة بدونها مع القدرة عليها؟[٢]:

الثانية: الإبعاد عن اللهو والأغاني؛ لقول الله (تعالى): ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ**﴾ [لقمان: ٦]، فالقلب المشغول بالأغاني لا يكون عـامرًا بالقرآن، وقد سبق الكلام عن حكم الإسلام في الغناء.

الثالثة: ترتيل القرآن وحفظه والعمل به:

(أ) قال (تعالى): ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾ [المزمل: ٣]، قال رسول الله (ﷺ): «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لصاحبه**». رواه مسلم. وقال (ﷺ): «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران**». متفق عليه. جاء في «رياض الصالحين» بتـحقيق عبد العزيز رباح والدقاق والأرناؤوط ما يلي: «**ماهر به**» أي: يجيد لفظه على ما ينبغي بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته. «**مع السفرة**» الملائكة الرسل إلى الرسل (صلوات الله عليهم). «**البررة**» المطيعين أي: معهم في منازلهم في الآخرة «يتتعتع فيه» أي: يتردد في قراءته.

فائدة:

قال ابن تيمـية: من لم يقرأ القرآن فقد هجـره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبره فقد هجـره، ومن قرأ القرآن وتدبره ولم يعمل به فقد هجره.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حـرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**». رواه الترمـذي: وقال: حـديث حسن صحـيح. وروي أنه جاء في التوراة: إن الله (تعـالى) يقول: أما تسـتحيي مني يأتيك كـتاب ـ يعني خطاب ـ من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقـرؤه وتتدبره حرفًا حرفًا حتى لا يفوتك

---

* (١) «مختصر تفسير ابن كثير» جـ١ ص٢١٨ .
* (٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» جـ٢٣ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٣.

شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك، انظر كيف فصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه فكنت أهون عليك من بعض إخوانك، يا عبدي! يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف، وها أنا مقبل عليك ومحدث وأنت معرض بقلبك عني، أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك؟!

(ب) أهل القرآن: قال رسول الله (ﷺ): «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[1]. قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وبحزنه إذ الناس يفرحون. وقال محمد بن كعب: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه. يشير إلى سهره وطول تهجده. وقال دهيب بن الورد: قيل لرجل: ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطَرْنَ نومي.

فائدة: جاء في زاد المعاد لابن القيم (رحمه الله):

قال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً. ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم[2]. انتهى.

(جـ) واحرص دائمًا على أن تجمع بين علوم القرآن والسنة ـ على الأقل معرفة ترتيل القرآن وفهم مفرداته وما يعلم من الدين بالضرورة ـ وبين علوم الدنيا وإلا كما يقول (تعالى): ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم:٧]. قال ابن كثير: أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشئونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة. قال الحسن البصري: والله ليبلغ من أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي. وقال ابن عباس في قوله (تعالى): ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ الآية، يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال[3]. انتهى.

ويمكنك إذا كنت لا تجيد قراءة القرآن أن تذهب إلى أقرب مسجد لتتعلم فيه كيفية التلاوة، وهناك طريقة سهلة، وهي أنك تأتي بشرائط القرآن المرتل، ثم تتابع مع الشريط في المصحف، وإذا لم يكن في إمكانك الحصول على تلك الشرائط فيمكنك أن تستمع إلى محطة القرآن الكريم وتتابع مع القارئ في المصحف أيضًا، ويمكنك أن تختم القرآن ولو مرة على الأقل في الشهر بأن تقرأ جزءًا في كل يوم حتى لا تكون من الذين قد هجروا تلاوة القرآن.

الرابعة: عليك بصيام التطوع، قال رسول الله (ﷺ): «**ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**» متفق عليه. أي مدة سير سبعين عامًا كما قال العلماء.

وصيام التطوع ما يلي:

١ـ يوم عرفة لغير الحاج، وهو تاسع ذي الحجة.

٢ـ يوم عاشوراء ويوم تاسوعاء، وهما التاسع والعاشر من شهر المحرم وإذا أردت إتمام الفائدة فصم أيضًا الحادي عشر.

٣ـ صيام ستة أيام من شوال.

---

* (١) رواه النسائي وابن ماجه والحاكم بإسناد حسن.
* (٢) «زاد المعاد» جـ١ ص٣٣٧.
* (٣) «مختصر تفسير ابن كثير» جـ ٣ ص ٤٨، ٤٩.

٤ـ الإكثار من الصيام في شهر شعبان، وخاصة النصف الأول منه وذلك لفعله (ﷺ) ذلك، فقد صح عنه (ﷺ) أنه كان يصوم شعبان إلا قليلاً.

٥ـ العشر الأول من شهر ذي الحجة، وفيه خلاف[1] قالت عائشة: ما رأيته ـ أي النبي (ﷺ) ـ صائمًا في العشر قط. ذكره مسلم.

٦ـ شهر المحرم لقوله (ﷺ) عندما سئل عن الصيام أي الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: **«شهر الله المحرم الذي تدعونه المحرم»**. رواه مسلم.

٧ـ الأيام البيض من كل شهر وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

٨ـ صيام يوم الإثنين.

٩ـ صيام يوم الخميس.

١٠ـ صيام يوم وإفطار يوم ـ صيام داود (عليه السلام).

١١ـ الصيام للعزب الذي لم يستطع الباءة.

١٢ـ كان رسول الله (ﷺ) يصوم السبت والأحد كثيرًا، يقصد بذلك مخالفة اليهود والنصارى، وكان (ﷺ) يقول: **«إنهما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم»**[2].

١٣ـ وفي «زاد المعاد»: كان رسول الله (ﷺ) يصوم من غـرة كل شهر ثلاثة أيام. ذكره أبو داود والنسائي وحسنه الأرناؤوط. وقالت عائشة: لم يكن يبالي من أي شهر صامها. ذكره مسلم ولا تناقض بين هـذه الآثار.

١٤ـ وفي «صحيح الجامع» أنه (ﷺ) كان يصوم السبت والأحد والإثنين من أول الشهر، ثم يصوم الثلاثاء والأربعاء والخميس من أول الشهر الذي يليه.

١٥ـ وكان (ﷺ) يدخل على أهله فيقول: **«هل عندكم شيء؟»** فإن قالوا: لا! قال: **«إني صائم»** فينشئ النية للتطوع من النهار[3].

تنبيه:

وكان (ﷺ) إذا كان صائمًا ونزل على قوم أتم صيامه ولم يفطر. أما الحديث الذي رواه ابن ماجه: **«من نزل على قوم فلا يصومن تطوعًا إلا بإذنهم»**[4]. قال فيه الترمذي: هذا الحديث منكر، ووافقه الأرناؤوط (أثابه الله).

الخامسة: عليك بهذه المكتبة الإسلامية، مع العلم بأن الكتاب المذكور أولاً هو الأيسر:

١ـ التفسير: تفسير الجلالين «تفسير مبسط» ـ مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ـ تفسير ابن كثير «الأصل» ولا غنى للمسلم عن أحدهما [5] ـ صفوة التفاسير ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ تفسير البغوي ـ تفسير ابن جرير.

تنبيه:

هناك كتاب لتفسير كلمات القرآن على هيئة القاموس وهو «كلمات القرآن تفسير وبيان» للشيخ الجليل:

---

* (١) «زاد المعاد» جـ٢ ص٦٥.
* (٢) «زاد المعاد» جـ٢ ص ٧٨ خصوصًا الهامش، والحديث أخرجه أحمد، وقال الأرناؤوط: سنده حسن.
* (٣)، (٤) «زاد المعاد» جـ٢ ص٨٣ ـ ٨٥.
* (٥) مختصر ابن كثير هو الأسهل لكنه الأعلى منا حتى الآن ويمكن أن يقال: بيت فقير من ليس فيه مختصر تفسير ابن كثير.

حسنين مخلوف.

٢ـ **الأحاديث**: رياض الصالحين للنووي ـ الأذكار النووية ـ مشكاة المصابيح ـ الترغيب والترهيب ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني. صحيح السنن.

أحاديث مشروحة: دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين ـ شرح مسلم للنووي ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ـ (موسوعة العلماء).

٣ـ **الفقه**: فقه السنة للسيد سابق ـ نيل الأوطار للشوكاني ـ سبل السلام للصنعاني، والمغني لابن قدامة، وقد سبقت الإشارة إلى فتح الباري.

٤ـ **العقيدة**: عقائد إسلامية للسيد سابق ـ عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ـ شرح العقيدة الطحاوية.

٥ـ **السيرة**: السيرة لابن كثير ـ السيرة لابن هشام ـ البداية والنهاية لابن كثير.

٦ـ **القصص**: قصص الأنبياء لابن كثير.

٧ـ **القلوب**: مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي «لا بد من قراءتهما» ـ مدارج السالكين لابن القيم.

٨ـ **الفتاوى**: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية «٣٧ جزءاً» ويمكن القول بفضل الله (تعالى): من أراد العلم على ما يرام فعليه بفتاوى شيخ الإسلام.

٩ـ **علم الحديث**: تيسير مصطلح الحديث للطحان ـ الباعث الحثيث لابن كثير ـ نزهة النظر لابن حجر ـ وهناك كتاب في أصول التخريج وهو: أصول التخريج ودراسة الأسانيد للطحان.

١٠ـ **اللغة**: النحو الواضح لعلي الجارم ـ قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ـ التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية ـ القواعد الأساسية في النحو والصرف للمدارس الثانوية ـ شرح شذور الذهب لابن هشام ومعه متن شذور الذهب.

١١ـ **البلاغة**: البلاغة الواضحة ودليلها لعلي الجارم.

١٢ـ **علوم القرآن**: مناهل العرفان للزرقاني.

١٣ـ **أحكام القرآن**: روائع البيان في أحكام القرآن للصابوني ـ أحكام القرآن للجصاص ـ «وقد سبقت الإشارة إلى تفسير القرطبي».

١٤ـ **أصول الفقه**: أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ـ وأصول الأحكام الشرعية ليوسف القاسم ـ وإعلام الموقعين لابن القيم.

١٥ـ **الشيطان**: تلبيس إبليس لابن الجوزي ـ إغاثة اللهفان لابن القيم ـ آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان للشبلي «وقد سبقت الإشارة إليه».

١٦ـ **هدي النبي (ﷺ)**: بيان ما يجوز وما لا يجوز: زاد المعاد لابن القيم بتحقيق الأرناؤوط.

١٧ـ **كتاب شامل لمعظم الإسلام باختصار**: منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري.

١٨ـ **الأحاديث الضعيفة والموضوعة**: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ـ ضعيف الجامع الصغير وزياداته للألباني.

١٩ـ **البدع**: الإبداع في مضار الابتداع للعالم الجليل: الشيخ علي محفوظ.

٢٠ـ **تربية الأولاد**: تربية الأطفال في الإسلام لعبد الله علوان.

٢١ـ **المولود**: تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم.

٢٢ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وهو كتاب قيم لمعرفة موضع الآية في أي سورة هي؟ .

٢٣ـ النار: يقظة أولي الاعتبار فيما ورد في النار وأصحاب النار لصديق حسن خان ـ والتخويف من النار لابن رجب ـ والتذكرة للقرطبي.

٢٤ـ الجنة: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم.

٢٥ـ الأحاديث القدسية: شرح الأحاديث القدسية.

٢٦ـ الدعاء والذكر: تحفة الذاكرين للشوكاني «مع التحفظ في نقطة التوسل» ـ الوابل الصيب لابن القيم ـ الأذكار النووية.

٢٧ـ القرآن الكريم: ولك أن تلتزم بالقراءة في مصحف واحد ـ أي: طبعة واحدة لا تقرأ في غيرها من الطبعات ـ فإن ذلك يسهل عليك الحفظ وتثبيت القرآن ـ بإذن الله (تعالى).

ترتيب القراءة:

يمكنك ـ والله أعلم ـ قراءة الكتاب الأول من كل مجموعة حسب الترتيب الرقمي الآتي: فتبدأ برقم ٧ «أي مختصر منهاج القاصدين» و١٧ «أي: منهاج المسلم» معًا ثم: ١ ـ ٤ ـ ٢ ـ ٣ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٣ ـ ٨ ـ ٥ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ١٠ ـ ١٤ ـ ١٢ ـ ٩ ـ ١١ ـ ٦.

السادسة: اجتمع أنت وأهل بيتك كل يوم على مائدة الكتاب والسنة، ومن أيسر الكتب في ذلك: منهاج المسلم، مختصر منهاج القاصدين، مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، الوابل الصيب لابن القيم، رياض الصالحين.

تنبيه:

هذا أقل ما يوجد في بيتك، فإن لم تستطع فعليك بكتاب منهاج المسلم، فهو للبيوت كالملح للقوت.

السابعة: قال رسول الله (ﷺ): **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»**[1].

الثامنة: إياك والغيبة، قال (تعالى): ﴿**ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ [الحجرات: ١٢]. وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله! ما الغيبة؟ قال (ﷺ): **«ذكرك أخاك بما يكره»** قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال (ﷺ): **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن كان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»**. رواه أبو داود. وفي كفارة الغيبة قال العلماء: **«... فإن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه واستحله، وأظهر له الندم على فعله، وإن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل جعل مكان استحلاله الاستغفار له»** وقد ذكرت الكلام عن الغيبة بعد الكلام عن الصحبة فانتبه.

التاسعة: عدم الغرور بالطاعة، فإن الذي يبكي على معصيته خير من المغرور بطاعته كما قيل: رُبَّ معصية أورثت صاحبها ذلاً وانكسارًا، ورُبَّ طاعة أورثت صاحبها عجبًا وافتخارًا.

العاشرة: الدعاء بظهر الغيب حتى لمن أساء إليك، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الدعاء بظهر ـ الغيب قد سبق الكلام عن بعضهما في باب الدعاء ـ ومن الفائدة ـ والله أعلم ـ أنك إذا كنت في الطريق ورأيت أخاك المسلم آتيًا من بعيد فادع له قبل أن يأتي إليك، وكذلك إذا مررت على بيته، وكذلك إذا زرته فقبل أن تطرق الباب تدعو له.

الحادية عشرة: **«أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»** وهذا قول النبي (ﷺ) لسعد بن أبي وقاص[2]،

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد.

(٢) رواه الطبراني في الصغير.

وقد سبق في باب الدعاء أن من بين آداب الدعاء: تجنب الحرام مأكلاً ومشربًا وملبسًا.

الثانية عشرة: معاملة الزوجة بلطف والصبر على أذاها؛ لقوله (ﷺ): **«لا يفرك - أي لا يبغض - مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»** رواه مسلم. وجاء في «مختصر منهاج القاصدين»: واعلم أنه ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها.

وتذكر قول النبي (ﷺ) في الصحيح: **«إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: قد فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا** قال: **فيجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله** قال: **فيدنيه منه** - أو قال: **فيلتزمه ويقول: نعم! أنت أنت»**. رواه مسلم.

ويقول رسول الله (ﷺ): **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»**. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، دخيل: يعني ضعف.

الثالثة عشرة: إذا وقع أي خلاف في البيت فافزع إلى الصلاة، وأطل السجود، وأكثر الاستغفار.

الرابعة عشرة: ليست هناك عزة بين المؤمن والمؤمن، لأن الله (تعالى) يقول في وصف أحبائه: **﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [المائدة: ٥٤]، ومن باب أولى أن تكون هذه الذلة بين الرجل وزوجته، فعلى كل منهما المسارعة في مصالحة الآخر ولو كان الحق معه، وذلك إرغامًا للشيطان، والأولى أن يكون ذلك من جانب الزوجة حتى تخفف عن زوجها ما يلاقيه من عناء العمل، وعليها أن تتذكر قول النبي (ﷺ): **«... ألا أدلكم على نسائكم في الجنة؟»** قلنا: بلى يا رسول الله! قال: **«ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك ولا أكتحل بغمض حتى ترضى»**. يعني: ترضيه. رواه الطبراني.

الخامسة عشرة: روي عن جابر (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: **«ثلاث لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو»**. رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان وابن خزيمة.

السادسة عشرة: قال رسول الله (ﷺ): **«السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»**. رواه أحمد والنسائي والترمذي.

السابعة عشرة: عن بشر الحافي جاء في الأثر: من بدأ بالحمد قبل الشكوى لم تكتب عليه الشكوى. لذا كان بشر الحافي يقول لمن سأله عن مرضه: أحمد الله إليكم، بي كذا وكذا.

الثامنة عشرة: ألق السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وعليك أن تعلم أن النبي (ﷺ) يقول: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»** رواه مسلم. وعليك أن تعلم أنك إذا قلت: السلام عليكم تأخذ عشر حسنات، وإذا أضفت: ورحمة الله تأخذ عشرين حسنة، وإذا أضفت: وبركاته تأخذ ثلاثين حسنة، كما أفاد بذلك حديث أبي داود والترمذي عن النبي (ﷺ).

التاسعة عشرة: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: **«إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإذا حالت بينهم شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه»**. رواه أبو داود وسنده جيد، وعليه يمكنك أنت وزوجتك أن يلقي كل منكما على الآخر السلام عندما يأتي أحدكما بجزء من الطعام ثم يذهب لإحضار باقيه.

العشرون: إذا كنت في أي مكان فألق السلام على أخيك المسلم، وإذا كنت تقود مركبتك في الطريق وتوقفت قليلاً فسلم على صاحب المركبة الأخرى.

فائدة:

أخرج ابن السني: قال رسول الله (ﷺ): **«من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»**. وحسنه الأرناؤوط في

«زاد المعاد».

الحادية والعشرون: قال رسول الله (ﷺ): «**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة - يعني: خلق -وعفة طعمة**»[1]. رواه أحمد في مسنده.

الثانية والعشرون: قال الفضيل: علامة الشقاوة خمسة: قلة الحياء، وقسوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل. وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**». متفق عليه.

الثالثة والعشرون: بر والديك وإن جفواك لقوله (تعالى): ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾، وقوله (ﷺ): «**من أصبح مطيعًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وإن كان واحد فواحد، ومن أمسى عاصيًا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار وإن كان واحد فواحد**»، قال رجل: وإن ظلماه؟ قال: «**وإن ظلماه وإن ظلمــــاه**». رواه البيـهقي في «شعب الإيمان». وقيل لعلي بن الحسين: إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة؟ قال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق إليه عيناها فأكون قد عققتها. ورأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل فقال: من هذا؟ قال: أبي. قال: لا تدعُه باسمه، ولا تجلس قبله، ولا تمش أمامه.

الرابعة والعشرون: ابتعد عن القيل والقال لقوله (ﷺ): «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات، وكره لكم: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**». أخرجه البخاري.

الخامسة والعشرون: صل رحمك وإن كان عدوك لقوله (تعالى): ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾ [النساء: ١]، ولقوله (ﷺ): «**أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح**». يعني: أفضل الصدَقة على ذي الرحم المضمر العداوة. رواه الطبراني.

السادسة والعشرون: لا تنفق وقتك إلا في طاعة، وقد كان أحد السلف إذا طرق الباب طارق يقول: اللهم إني أعوذ بك ممن يشغلني عن ذكرك.

السابعة والعشرون: عليك بزيارة الأيتام والعطف عليهم، وتذكر أنه سيأتي اليوم الذي تقفل فيه زوجتك بابها على نفسها وتبكي على فراقك - إن قدر الله لك الموت - قبلها وانظر إلى قول النبي (ﷺ): «**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه**». رواه ابن ماجه.

الثامنة والعشرون: الجار قبل الدار، وعليك أن تتأسى بقول النبي (ﷺ) لأبي ذر: «**يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**». رواه الطبراني.

ولا تكن من هذا الجار الذي قال في شأنه رسول الله (ﷺ): «**ثلاثة من الفواقر: إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شراً أذاعه، وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك**». رواه الطبراني.

وإياك إياك أن تؤذي جارك خاصة برفع صوت المذياع، وقد يبيع الرجل داره وبأقل من ثمنه هربًا من جار السوء، كما قال أحدهم عند بيع داره:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ∴ ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما ∴ بجيرانها تغلو الديار وترخص

وروى المدائني: أنه باع جار لفيروز داره بأربع آلاف درهم فجيء بها فقال البائع: هذا ثمن داري فأين ثمن جاري؟ قال: وللجار ثمن؟! قال: لا أنقصه والله عن أربعة آلاف درهم، فبلغ ذلك فيروز، فأرسل إليه بثمانية آلاف درهم وقال: هذا ثمن دارك وجارك والزم دارك ولا تبعها.

---

(١) قال العلماء: أي الجهة التي يرزق منها.

التاسعة والعشرون: قال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعلت لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم به.

الثلاثون: أكرم ضيفك، لقوله (ﷺ): «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**». رواه مسلم. وقال (تعالى) في وصف كرم إبراهيم (عليه السلام): ﴿**فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**﴾ [الذاريات:٢٦، ٢٧]، قال ابن كثير (رحمه الله): وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال: ﴿**أَلَا تَأْكُلُونَ**﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل. انتهى.

قال العباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته تممته، وقد نهى رسول الله (ﷺ) أن يتكلف الرجل في إكرام الضيف فقال (ﷺ): «**لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه**»، وسيأتي هذا الحديث إن شاء الله (تعالى) في باب المناهي.

فائدة:

دخل ضيف على عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) فقدم له نصف رغيف ونصف خيارة وقال له: كل فإن الحلال في هذا الزمان لا يحتمل السرف.

الحادية والثلاثون: إذا كنت تعمل عند إنسان بأجر أو سائقًا على سيارة بالأجرة ثم أتاك ما يسمونه بالوهبة، فإنها من حق صاحب المال إلا أن يأذن لك في أخذها، لما ورد أن النبي (ﷺ) استعمل رجلاً على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقال (ﷺ): «**أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا**». رواه أحمد. فإذا كانت الأجرة المستحقة لك نصف جنيه إلا خمسة قروش، فترك لك الراكب هذه القروش الخمسة، فإنها ـ كما قلنا ـ من حق صاحب المركبة ـ أي: السيارة ـ إلا أن يأذن لك، وتذكر قول ميمون بن مهران: ثلاث يؤدين إلى البر والفاجر: الأمانة والعهد وصلة الرحم.

الثانية والثلاثون: حاول ألا تنام بعد الفجر، وإليك بعض هديه (ﷺ) في النوم كما جاء في كتاب «الطب النبوي» المأخوذ من زاد المعاد لابن القيم: وقيل: نوم النهار خلق وخرق وحمق، فالخلق نومة الهاجرة ـ يعني الظهر ـ وهو خلق رسول الله (ﷺ)، والخرق: نومة الفجر يشغل عن أمر الدنيا والآخرة، والحمق: نومة العصر قال بعض السلف: من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه، وقال الشاعر:

ألا إن نومات الضحى تورث الفتى ∴ خبالاً ونومات العصر جنونًا

ونومة الصبح تمنع الرزق؛ لأن ذلك وقت تطلب فيه الخليقة أرزاقها وهو وقت قسمة الأرزاق. فنومه حرمان إلا لعارض أو ضرورة، وهو مضر جدًا، ورأى عبد الله بن عباس ابنًا له نائمًا نوم الصبحة فقال له: قم! أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق؟[1]. انتهى من زاد المعاد.

وروي أيضًا: تنسموا الصباح قبل أن تدنسه أنفاس العاصين.

الثالثة والثلاثون: حتى تكون دعوتك إلى الله ذات ثمرة، فابدأ بنفسك أولاً؛ لأن الله (تعالى) يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب:٥٩]، فأمر (تعالى) نبيه (ﷺ) أن يبدأ بنسائه وبناته قبل نساء المؤمنين.

الرابعة والثلاثون: قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٨]. وكان يقول: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه خانك، وروي أن حسان بن سنان مر بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال:

* (١) «زاد المعاد» لابن القيم جـ٤ ص٢٤٢.

تسألين عما لا يعنيك! لأعاقبنك بصوم سنة، فصامها. وقد روي أن من حاسب نفسه في الدنيا، خفَّ في القيامة حسابه، وحسُن منقلبه، ومن أهمل المحاسبة دامت حسراته. جاء في «مختصر منهاج القاصدين»: فلينظر الإنسان في أربعة أنواع: الطاعات، والمعاصي، والصفات المهلكات، والصفات المنجيات، فلا تغفل عن نفسك ولا عن صفاتك المباعدة عن الله (تعالى) والمقربة إليه، وينبغي على كل مسلم أن تكون له جريدة - ورقة - يثبت فيها جملة الصفات المهلكات والصفات المنجيات، وجملة المعاصي والطاعات، ويعرض ذلك على نفسه كل يوم، ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة، فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهي: البخل، والكبر، والعجب، والرياء، والحسد، وشدة الغضب، وشره الطعام، وشره الوقاع، وحب المال، وحب الجاه.

ومن المنجيات عشرة: الندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، واعتدال الخوف والرجاء، والزهد في الدنيا، والإخلاص في الأعمال، وحسن الخُلُق مع الخَلْق، وحب الله (تعالى)، والخشوع. فهذه عشرون خصلة: عشرة مذمومة وعشرة محمودة، فمتى كفي من المذمومات واحدة، خط عليها في جريدته وترك الفكر فيها، وشكر الله (تعالى) على كفايته إياها، وليعلم أن ذلك لا يتم إلا بتوفيق الله (تعالى) وعونه، ثم يقبل على التسع الباقية، وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع، وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالصفات المنجيات، فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم - مثلاً - خط عليها واشتغل بالباقي، فأما أكثر الناس من المعدودين في الصالحين، فينبغي أن يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة، كأكل الشبهات، وإطلاق اللسان بالغيبة والنميمة، والمراء، والثناء على النفس، والإفراط في موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء، والمداهنة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أكثر من يعد نفسه من الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه، وما لم تطهر الجوارح من الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره[1]. انتهى.

الخامسة والثلاثون: أد زكاة مالك إذا كنت ممن وجبت عليهم الزكاة بشروطها، وذلك لقول الله (تعالى): **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾** [التوبة: ١٠٣]، ولقوله (ﷺ): **«من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع[2] له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا كنزك أنا مالك»**، ثم تلا هذه الآية: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [آل عمران: ١٨٠]. رواه الشيخان، الشجاع الأقرع: الثعبان الكبير.

ويقول (ﷺ): **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»**.

ويقول الله (تعالى): **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** [التوبة: ٣٤، ٣٥]، جاء في «مختصر تفسير ابن كثير» ما مختصره: وأما الكنز فقال ابن عمر: هو المال الذي لا تؤدى زكاته. وعنه قال: ما أُدِّي زكاته فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز. وقال الإمام أحمد عن ثوبان: لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا: فأي المال نتخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك فأوضع على بعير فادركه وانا في أثره فقالوا: يا رسول الله! أي المال نتخذ؟ قال: **«قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة»** وقوله (تعالى): **﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾** [التوبة: ٣٥]. أي: يقال لهم هذا الكلام تبكيتًا وتقريعًا وتهكمًا، كما في قوله (تعالى): **﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾** [الدخان: ٤٩]، أي: هذا بذلك وهذا الذي كنتم تكنزون لأنفسكم، ولذلك يقال: من أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله عذب به، وهؤلاء لما كان جمع الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها، وكانت أضر الأشياء عليهم في الدار

---

* (١) «مختصر منهاج القاصدين» ص٣٧٩. وانظر جدول المحاسبة في آخر هذا الكتاب.
* (٢) «مختصر تفسير ابن كثير» جـ٢ ص١٣٩، ١٤٠.

الآخرة فيحمى عليها في نار جهنم، وناهيك بحرِّها، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، قال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار ديناراً ولا درهم درهماً، ولكن يوسع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدة. انتهى.

تنبيه:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصدقة والهدية أيهما أفضل؟ فأجاب: الحمد لله، الصدقة ما يُعطى لوجه الله (تعالى) عبادة محضة من غير قصد شخص معين ولا طلب غرض من جهته، لكن يوضع في مواضع الصدقة كأهل الحاجات، وأما الهدية فيقصد بها إكرام شخص معين، إما لمحبة، وإما لصداقة، وإما لطلب حاجة، ولهذا كان النبي (ﷺ) يقبل الهدية ويثيب عليها، فلا يكون لأحد عليه منة، ولا يأكل أوساخ الناس التي يتطهرون بها من ذنوبهم، وهي الصدقات، ولم يأكل الصدقة لذلك وغيره، وإذا تبين ذلك فالصدقة أفضل، إلا أن يكون في الهدية معنى تكون به أفضل من الصدقة، مثل الإهداء لرسول الله (ﷺ) في حياته محبة له، ومثل الإهداء لقريب يصل به رحمه، وأخ له في الله، فهذا يكون أفضل من الصدقة[1]. انتهى.

السادسة والثلاثون: بادر بالحج عند الميسرة، قال رسول الله (ﷺ): **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**. وقال (ﷺ): «... **فإن عمرة في رمضان تعدل حجة**». وفي رواية: **«تعدل حجة معي»**. رواه مسلم. ولمسلم - أيضاً - قال (ﷺ): «... **الحج يهدم ما كان قبله**»[2].

السابعة والثلاثون: علينا أن نتكلم باللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن.

الثامنة والثلاثون: لا تنبذ التمر والزبيب جميعاً، ولكن انبذ التمر على حدة والزبيب على حدة، ثم اخلطهما بعد إتمام النبذ، وذلك لما روي عن جابر عن رسول الله (ﷺ): **«أنه نهى أن ينبذ التمر والزبيب جميعاً، ونهى أن ينبذ الرطب والبسر جميعاً»**. رواه الجماعة إلا الترمذي. ويقول رسول الله (ﷺ): **«من يشرب من النبيذ منكم فليشربه زبيباً فرداً أو بسراً فرداً»**. أخرجه مسلم.

التاسعة والثلاثون: اجتنب المسكرات، واعلم أن التداوي بها داء وليس شفاء، وذلك لقول النبي (ﷺ): **«إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام»**. رواه أبو داود. وقال ابن مسعود في المسكر: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم. ذكره البخاري.

الأربعون: ابتعد عن شرب الدخان وما شابهه فإنه حرام، لقول الله (تعالى): **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾** [الأعراف: ١٥٧]، والدخان من الخبائث.

واعلم أنَّ لهذا الداء رائحة كريهة تؤذي الكلائكة والمؤمنين لقول النبي (ﷺ) في صحيح مسلم، بعد أن تكلم عن رائحة البصل: «... **وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**». بالإضافة إلى أن هذا المال ليس مالك أنت، وإنما هو مال الله (تعالى)؛ لأن الله (تعالى) يقول: **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾** [الحديد: ٧]، فلو أن هذا المال مالك أنت ما حاسبك الله عليه، فاستعن بالله، وصل ركعتين، واسأل الله أن يرفع عنك هذا البلاء، إن كنت ممن وقعوا فيه، خصوصاً أنك حينما تستأثر بجانب المال لنفسك، تكون بذلك قد جرت على أولادك، وأخذت منهم رزقهم، والله سائلك عن ذلك.

الحادية والأربعون: ابتعد عن القمار واللعب بالنرد وما في معنى ذلك، وذلك لما يلي:

قال (تعالى): **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾** [المائدة: ٩٠، ٩١]، قال ابن كثير (رحمه الله): يقول الله (تعالى) ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ٣١ ص ٢٦٩.

* (٢) من أقيم الكتب في «الحج»: «مناسك الحج والعمرة» للألباني مع التحفظ في مسألة إباحته لكشف الوجه.

والميسر وهو القمار. وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال: الشطرنج من الميسر. رواه ابن أبي حاتم. قال مجاهد وعطاء: كل شيء من القمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز. وروي عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب مثله، وقالا: حتى الكعاب والجوز والبيض التي تلعب بها الصبيان. وقال: ابن عمر وابن عباس: الميسر هو القمار، كانوا يتقامرون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام، فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة. وقال مالك: كان ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين. وقال الزهري: الميسر: الضرب بالقداح على الأموال والثمار. وقال القاسم بن محمد: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر، وكأن المراد بهذا هو النرد الذي ورد به الحديث في صحيح مسلم - الطاولة وما شابهها - قال رسول الله (ﷺ): **«من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»**. وفي موطأ مالك عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله (ﷺ): **«من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»**. وأما الشطرنج فقد قال عبد الله بن عمر: إنه شر من النرد، وتقدم عن علي أنه قال: هو من الميسر، ونص على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد، وكرهه الشافعي، (رحمهم الله تعالى).

فائدة:

ذكر ابن كثير (رحمه الله): قال ابن أبي حاتم: مر علي (رضي الله عنه) على قوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها.

الثانية والأربعون: إذا وجدت أن حسنات الإنسان أكثر من سيئاته، فلا تذكر سيئاته، وإذا وجدت أن سيئاته أكثر من حسناته، فلا تذكر حسناته. (معنى قول لابن المبارك).

الثالثة والأربعون: لا تدع يومًا يمر عليك إلا وتأمر فيه بمعروف، وتنهى فيه عن منكر، ولو أن تقول: يا فلان حي على الصلاة ...

الرابعة والأربعون: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الرجل إذا كان يتلو الكتاب العزيز بين جماعة، فقرأ سجدة، فقام على قدميه وسجد، فهل قيامه أفضل من سجوده وهو قاعد؟ أم لا؟ وهل فعل ذلك رياء ونفاق؟

فأجاب (رحمه الله): بل سجود التلاوة قائمًا أفضل منه قاعدًا، كما ذكر ذلك من ذكره من العلماء من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما، وكما نقل عن عائشة، بل وكذلك سجود الشكر كما روى أبو داود في سننه عن النبي (ﷺ) من سجوده للشكر قائمًا وهذا ظاهر في الاعتبار، فإن صلاة القائم أفضل من صلاة القاعد، وقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه كان أحيانًا يصلي قاعدًا فإذا قرب من الركوع فإنه يركع ويسجد وهو قائم، وأحيانًا يركع ويسجد وهو قاعد. فهذا قد يكون للعذر أو للجواز.

الخامسة والأربعون: قال الله (تعالى): ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. قال ابن القيم (رحمه الله): ولا يتم له سلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد، والإخلاص يعم. انتهى من كتاب «الجواب الكافي».

السادسة والأربعون: قال ابن القيم (رحمه الله) في كتيب «زاد المهاجر إلى ربه»:

مراتب الدعوة أربعة:

١- العلم بما جاء به الرسول (ﷺ).

٢- العمل بما جاء به الرسول (ﷺ).

٣- الدعوة إلى ما جاء به الرسول (ﷺ).

٤- الصبر على ما جاء به الرسول (ﷺ).

السابعة والأربعون: اثنان، أنصح نفسي وإياهما بالإعراض عن اللغو: الحلاق، والسائق - خاصة سائق

السيارة الأجرة ـ فللأول أن يضع في دكانه: تفسير القرآن، ومنهاج المسلم، ومختصر منهاج القاصدين، وللثاني أن يستمع إلى تسجيلات العلماء وشرائط القرآن.

الثامنة والأربعون: ابتعد عن الجدال وإن كنت محقًا، لقوله (ﷺ): **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وهو محق»**. رواه الطبراني. فإن الجدال مدخل من مداخل الشيطان، وامتثل للحق ولو أمام الناس، ولا تظن أن ذلك يقلل من شأنك، بل يرفعه، وذلك حتى لا تكون متكبرًا عن الامتثال للحق، ولقد ذم الله (تعالى) المعرضين عن سبيل الرشد فقال: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾** [الأعراف: ١٤٦].

التاسعة والأربعون: إذا أردت أن تنصح إنسانًا فلا تنصحه أمام الناس، ولتكن النصيحة بينك وبينه. قال الإمام الشافعي: من وعظ أخاه سرًا، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

الخمسون: جاء في باب سد الذرائع في «إغاثة اللهفان» لابن القيم: منع المقرض من قبول هدية المقترض، ما لم يكن بينهما عادة جارية بذلك قبل القرض، ففي سنن ابن ماجه عن يحيى بن أبي إسحاق الهنائي قال: سألت أنس بن مالك: الرجل منا يقرض أخاه المال، فيهدي إليه؟ فقال: قال رسول الله (ﷺ): **«إذا أقرض أحدكم قرضًا فأهدي إليه أو حمله على الدابة فلا يركبنها، ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك»**. انتهى.

ثم قال (رحمه الله): وكل ذلك سدًا لذريعة أخذ الزيادة في القرض الذي موجبه رد المثل.

الحادية والخمسون: الصمت حكم وقليل فاعله (قول للقمان الحكيم) واعلم أن من أعظم العبادة وأيسرها على البدن الصمت وحسن الخلق، لذا كان من صفات عباد الرحمن كما قال (تعالى): **﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾** [الفرقان: ٧٢]، ومن صفاتهم أيضًا قوله (تعالى): **﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾** [القصص: ٥٥]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾** أي: لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم. **﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ...﴾** أي: إذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق أعرضوا عنه، ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلم طيب: **﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾** أي: لا نريد طريق الجاهلية ولا نحبها[1]. انتهى.

وفي «مختصر منهاج القاصدين»: دخل عمر بن عبد العزيز ـ خامس الخلفاء الراشدين ـ المسجد في ليلة مظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا! فهم به الحرس، فقال عمر: مه، إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا!.

الثانية والخمسون: ما هي آخر مرة زرت فيها المقابر للعظة؟

الثالثة والخمسون: اكتب وصيتك الشرعية إذا كان عندك ما توصي به وإن التأخير دليل على طول أملك في الدنيا، قال رسول الله (ﷺ): **«ما من امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده»** متفق عليه وهذا لفظ البخاري. وقال رسول الله (ﷺ): **«من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة ومات مغفورًا له»**. رواه ابن ماجه.

الرابعة والخمسون: لا تتحرج في كتابة الدَّين، وإن كان المدين قريبًا لك خصوصًا إذا كنت تعلم أنه قد يماطل في الحق؛ لأن الله (تعالى) يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾** [البقرة: ٢٨٢]، قال ابن كثير (رحمه الله): هذه الآية أطول آية في القرآن العظيم، وقد قال الإمام أبو جعفر بن

---

* (١) «مختصر تفسير ابن كثير» جـ٣ ص١٨.

جرير عن سعيد بن المسيب أنه بلغه: أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين فقوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ هـذا إرشاد من الله (تعالى) لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها ... إلى أن قال (رحمه الله): فأمروا أمر إرشاد لا أمر إيجاب ـ كما ذهب إليه بعضهم ـ وقال (رحمه الله) في تفسير قوله (تعالى): ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة:٢٨٣]: وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: هـذه نسخت ما قبلها، وقال الشعبي: إذا ائتمن بعضكم بعضًا فلا بأس ألا تكتبوا أو لا تشهدوا[1]. انتهى. أي: أن الآية الثانية ـ والله أعلم ـ نسخت ما في الآية الأولى من الكتابة والإشهاد على سبيل الإيجاب، لكنها لم تنسخ العمل بهما على سبيل الاستحباب.

الخامسة والخمسون: أكثر دائمًا من قول: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي. فإن النبي (ﷺ) ـ كما في سنن الترمذي ـ قال لحصين: **«يا حصين! أسلم حتى أعلمك كلمات»**. فأسلم، فلما أسلم قال له: **«قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي»**.

السادسة والخمسون: أكثر من الاستغفار، خصوصًا عند الشدائد، وأيضًا عند تسميع القرآن، فقد ورد في الأولى آيات وأحاديث كثيرة، ويكفي قوله (تعالى): ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]. وروي عن ابن تيمية (رحمه الله) قوله: كان إذا حزبني أمر استغفرت الله ألف مرة، فيفرج الله عني هذا الأمر، وذكر العدد هنا كناية عن الكثرة، فلا ترتبط بعدد الشيخ (رحمه الله).

وأما عند تسميع القرآن: فقد ذكر ابن كثير في تفسيره لقول الله (تعالى) في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]: عن الضحاك قال: ما نعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾. ثم قال الضحاك: وأي مصيبة أكبر من نسيان القرآن الكريم؟[2] انتهى. لذا أرى والله أعلم: أنك إذا أردت أن تراجع حفظ سورة ما فاستغفر الله (تعالى) حتى يتساوى عدد مرات الاستغفار مع عدد الآيات، وإن زدت زادك الله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾.

السابعة والخمسون: تمسَّك بالسنة خاصة فيما يتصل بظاهرك، فإنها تذكر الناس بالله وكان شاه بن شجاع الكرماني يقول: من عمَّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة أبدًا.

ولا تظن أن هذه الأشياء من القشور، فإنه بالقشر يحفظ اللب، ومن أمثلة ذلك: العمامة، والقميص، والشرب جالسًا ثلاث مرات وعلى الأرض، فإنك قد تجد من يقول لا: هل حرم الشرب جلوسًا على الكرسي؟

وهنا أوضح عدة أمور:

(أ) قال الله (تعالى): ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، فمسألة الحرام والحلال مرجعها إلى الله لا إلى الأهواء.

(ب) وقد كان بعض السلف يتحرجون في الإفتاء فكانوا يقولون عند الإفتاء: «كانوا يقولون كذا». قال ابن كثير (رحمه الله): ويدخل في هذا ـ أي الافتراء ـ كل من ابتدع بدعة ليس فيها مستند شرعي، أو حلل شيئًا مما حرم الله أو حرم شيئًا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه[3]. انتهى. بل يمكنك أن تقول له: إن النبي (ﷺ) نهى عن الشرب واقفًا إلا في حدود ما استثني، فحينما تشرب وأنت جالس[4] على الكرسي تكون قد امتثلت لنهي

* (١) «مختصر تفسير بن كثير» جـ١ ص٢٥٢ ـ ٢٥٦.

(٢) «مختصر تفسير ابن كثير» جـ٣ ص٢٧٩.

* (٣) «مختصر تفسير ابن كثير» جـ٣ ص٣٥٠.

* (٤) سيأتي إن شاء الله (تعالى) حكم الشرب واقفًا.

النبي (ﷺ) ولكن إذا شربت جالسًا وعلى الأرض، فلك ثوابان: ثواب الجلوس، وثواب المتابعة للنبي (ﷺ).

(جـ) بعض الناس في هـذه الأيام ليس عندهم إلا كلمتا حلال وحرام، ولم يعلموا أن الأحكام التي للعبودية خمسة: واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح.

(د) تفهَّم فحوى النص، فمثلاً: ما رواه البخاري عن أنس (رضي الله عنه) قال: لم يأكل النبي (ﷺ) على خوان حتى مات، والخوان كما جاء في شرح هذا الحديث: المائدة ما لم يكن عليها طعام، فالحديث هنا يدل على الاستحباب لا على الوجوب. انتهى.

(هـ) قال ابن القيم (رحمه الله): «... والمقصود أن رسول الله (ﷺ) كان أكمل الخلق في كل صفة يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وقرة العين، وحياة الروح، فهو أكمل الخلق في هذا الشرح والحياة، وقرة العين مع ما خص به من الشرح الحسي، وأكمل الخلق متابعة له، أكملهم انشراحًا ولذة وقرة عين، وعلى حسب متابعته (ﷺ) ينال العبد من انشراح صدره، وقرة عينه، ولذة روحه ما ينال ... وهكذا لأتباعه نصيب من حفظ الله لهم وعصمته إياهم، ودفاعه عنهم وإعزازه لهم، ونصره لهم، بحسب نصيبهم من المتابعة، فمستقل، ومستكثر، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]. انتهى.

فالمتابعة له (ﷺ) مكيال ومن أوفى استوفى.

الثامنة والخمسون: لا تحرم وارثًا من إرثه، قال (تعالى): **﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾** [الفجر: ١٩]، وروي أن من حرم وارثًا من إرثه حرمه الله من ميراث الجنة، وهناك بعض الناس لا يعطون المرأة حقها في الميراث وهي أيضًا تتحرج أن تطالب بذلك خشية أن تنقطع صلتها بأقاربها.

التاسعة والخمسون: اهتم بقصص الأنبياء عليهم السلام، فإن الله (تعالى) يقول: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** [يوسف: ١١١]، وإذا أردت أن تقص على الناس فعليك بالسيرة؛ فإنها تشتمل على قصص الذين شهد لهم النبي (ﷺ) في الصحيح بالخيرية فقال: **«خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»**. قال راوي الحديث: لا أدري قالها مرتين أو ثلاثًا.

الستون: لا تُفتِ بغير علم. قال الإمام ابن القيم (رحمه الله) في «إعلام الموقعين»: وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتوى والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها. قال (تعالى): **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف: ٣٣]، فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهي الفواحش، وثنى بما هو أشد تحريمًا منها وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أشد تحريمًا منها وهو الشرك به (سبحانه)، ثم ربع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه (سبحانه وتعالى) بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله في دينه وشرعه.

الحادية والستون: جاء في تفسير ابن كثير: قال ابن مسعود (رضي الله عنه): من أراد أن ينظر إلى وصية الرسول (ﷺ) التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام: ١٥١- ١٥٣].

الثانية والستون: أحسن الظن بأخيك المسلم، خاصة عندما يدعوك إلى الله، فقد تدعو مسلمًا إلى الله فيقول لك: يا أخي هو أنا كافر؟ وقد يقول هذه الكلمة دون داع! يا أخي اتق الله، من قال إنك كافر؟ ... ليس

---

* (١) زاد المعاد لابن القيم جـ٢ ص٢٧.

حبيبك الذي يقدم لك المشروب، ولكن حبيبك الذي يقربك من المعبود، روي أن بعض الأئمة كان ماشيًا، **فألقي** عليه رماد، فسجد لله شكرًا فقالوا له: يا إمام! أتسجد لله شكرًا وقد ألقي عليك الرماد؟! فرد عليه الإمام قائلاً: الحمد لله الذي جعله رمادًا ولم يجعله نارًا. وقال عمر بن الخطاب: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً. وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: رأيت النبي (ﷺ) يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله (تعالى) حرمة منك، ماله ودمه وألا يظن به إلا خيرًا**». أخرجه ابن ماجه في سننه.

الثالثة والستون: لا تظهر الشماتة بأخيك المسلم، لقول النبي (ﷺ): «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال المحققون: رجاله ثقات، ومعنى الشماتة: الفرح ببلية الغير.

الرابعة والستون: جاء في «رياض الصالحين» (باب النهي عن تناجي اثنين دون ثالث بغير إذنه إلا لحاجة، وهو أن يتحدثا سرًا بغير أن يسمعهما وفي معناه إذا تحدث اثنان بلسان لا يفهمه):

قال الله (تعالى): ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ**﴾ [المجادلة: ١٠]، وقال (ﷺ): «**إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث**». متفق عليه ورواه أبو داود، قال أبو صالح: قلت لابن عمر: فأربعة؟ قال: لا يضرك.

الخامسة والستون: إذا أهديت إنسانًا هدية فلا ترجع فيها لقول النبي (ﷺ): «**الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه**». متفق عليه، وفي رواية: «**العائد في هبته كالعائد في قيئه**»[1].

السادسة والستون: إذا أردت في أي وقت أن تقوم من النوم ووجدت الشيطان يريد أن يصدك عن القيام فأذن، حيث إنه صح عن النبي (ﷺ) أنه يقول: «**إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين**».

السابعة والثلاثون: استجب لأمر النبي (ﷺ) بإعفاء اللحية، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وابن عمر (رضي الله عنهما): أمر رسول الله (ﷺ) بإعفاء اللحية، وقال بعض العلماء: ورد هذا الأمر بألفاظ مختلفة عدها النووي (رحمه الله) فبلغت خمسًا هي قوله (ﷺ): «**اعفوا، أوفوا، أرخوا، أرجوا، وفروا**». والأمر بهذا يفيد وجوب المأمور به، بحيث يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، وليست هناك قرينة تصرفه إلى الندب، ومنه يعلم أن حلق اللحية مخالفة صريحة لأمر رسول الله (ﷺ). انتهى. وقال (ﷺ): «**خالفوا المشركين. وفروا اللحى وأحفوا الشوارب**». رواه البخاري ومسلم. وجاء في فقه السنة تعليقًا على هذا الحديث: (حمل الفقهاء هذا الأمر على الوجوب وقالوا بحرمة حلق اللحية بناء على هذا الأمر). انتهى.

القرآن واللحية:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عند تفسير قوله (تعالى): ﴿**قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾ [طه: ٩٤]، ما نصه: فهذه الآية بضميمة آية الأنعام إليها، تدل على لزوم إعفاء اللحية، وعدم حلقها، وآية الأنعام المذكورة هي قوله (تعالى): ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٤]، ثم إن الله (تعالى) قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠]، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبينا (ﷺ) بالاقتداء بهم، وأمره (ﷺ) بذلك أمر لنا؛ لأن أمر القدوة أمر لأتباعه كما بينا إيضاحه بالأدلة القرآنية من هذا الكتاب المبارك في سورة المائدة[2]. وقد قلنا هناك: إنه ثبت في صحيح البخاري، إن مجاهدًا سأل ابن عباس (رضي الله عنهما): من أين أخذت السجدة في (ص)؟ قال: أو ما تقرأ: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ**... **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ فسجدها داود، فسجدها رسول الله (ﷺ). فإذا علمت بذلك أن

---

* (١) حسن كما قال الألباني ويستثنى من ذلك الهدية بعوض.

(٢) «أضواء البيان للشنقيطي» جـ٤ ص٥٠٦.

هارون كان موفرًا شعر لحيته بدليل قوله لأخيه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾؛ لأنه لو كان حالقًا لما أراد الأخـذ بلحيته، تبين من ذلك بإيضاح أن إعفـاء اللحية سمت من السمت الذي أمرنا به في القـرآن العظيم وأنه كان سمت الرسل الكرام (صلوات الله وسلامه عليهم). انتهى.

وكما يقال: اللحية تربيـها تربيك، وحينما يعفي الإنسان لحيته، يجدها تلزمـه بأشياء لا عليه ألا يقوم بها لو كان حالقًا لها، فلو مشى إنسان ملتح مع امرأة متـبرجة ـ حتى ولو كانت أخته ـ فإن الناس سوف ينظرون إليه نظرة فيها احتقار.

ومن الصعب على المسلم الملتحي أن يتردد على أماكن المعصية؛ لأن اللحية تقول بالمعنى الصامت: أنا أتبع النبي (ﷺ).

فوائد وتنبيهات:

١ـ قال البغوي (رحمه الله) في تفسير قوله (تعالى): ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. قيل: الرجال باللحى، والنساء بالذوائب.

٢ـ حلق اللحيـة استجابة لأمـر الوالدين بحجة أن طاعة الوالدين فـرض وإعفاء اللحيـة سنة: من تلبيس إبليس، وقد تقدم قول النبي (ﷺ): «**لا طاعة لأحد في معصية الله**».

٣ـ حلق اللحيـة رضوخًا لطلب الـزوجة بيان عظيم لقـول الله (عز وجل): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

خاتمة:

جاء في (موارد الظمآن): وفي اللحية خصال نافعة:

١ـ مخالفة المشركين.

٢ـ تمييز الرجل عن المرأة.

٣ـ تمييز الرجل عن الصبي وتغطية ما في منبتها من تشويه أو تَثَنٍ لا سيما في الكبر.

٤ـ تعظيم الرجل الذي يعفيها وتوقيره.

٥ـ أن إعفاءها من سنن المرسلين.

٦ـ تقديم من يعفيها على الجماعة وتفضيله.

٧ـ السلامة من تضييع قطعة من العمر في حلقها أو قصها. انتهى من موارد الظمآن. وفوق ذلك كله فهي امتثال لأمر الله، ويا سعادة من امتثل لأمر مولاه، فإن العز كل العز في طاعة الله، وإن الذل كل الذل في معصيته الله.

الثامنة والستون: إذا كنت من الدعاة إلى الله، واحتجت إلى بيت تسكن فـيه فيمكنك ـ والله أعلم ـ أن تدعو بهذا الدعاء: اللـهم ارزقني بيتًا يساعدني على طاعتك في المكان الذي تحب أن أدعو فيه إليك.

التاسعة والستون: الشرفة كالشارع خاصة بالنسبة للمرأة ويمكنك أن تقوم بعمل ستارة تغطي أحبال الغسيل من الخارج.

السبعون: أخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن عبد الأعلى التيمي أنه قال: من أوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن قـد أوتي من العلم ما لا ينفعه؛ لأن الله نعت أهل الـعلم فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾. انتهى. وذلك في نهاية قوله (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ـ ١٠٩].

الحادية والسبعون، من رسوخ العلم أن يكون من الكتاب، فقد ورد أن رجلاً سأل الإمام أحمد سؤالاً، فصعد الإمام أحمد إلى بيته كي يحضر الكتاب، فقال الرجل: حدثني من الذاكرة، فقال الإمام أحمد (رحمه الله): لا! بل من الكتاب. وقد يلبس عليك إبليس قائلاً: إنك إذا قرأت من الكتاب، قال الناس: إن حظك من العلم قليل. فإذا كنت عالمًا حقًا فلا يهمك أن تكون عالمًا عند الناس. وعمومًا يقول ابن القيم (رحمه الله): فالبصير الصادق، لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقده، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الثانية والسبعون، إذا كنت تقوم بإعطاء درس أو خطبة جمعة، فيمكنك أن تصلي صلاة الاستخارة، لا على إلقاء الدرس أو الخطبة وإنما على الموضوع - والله أعلم - وأيضًا يا حبذا لو صليت صلاة الحاجة قبل تحضير الخطبة، تسأل الله فيها الصواب والإخلاص.

الثالثة والسبعون، إذا كنت قد تعودت على السفر كثيرًا فاحذر طول الغياب، وأذكرك بقول الله (تعالى): ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، فإلى هذا الحد تصبر المرأة عن زوجها، حيث سأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ابنته حفصة أم المؤمنين (رضي الله عنها) عن ذلك، فأجابته بهذه الآية. وجاء في زاد المعاد لابن القيم (رحمه الله): وينبغي - أي للرجل - ألا يدع الجماع؛ فإن البئر إذا لم تنزح ذهب ماؤها[1].

الرابعة والسبعون، ضع في نيتك أن كل ما تنفقه على أهلك يعتبر نفقة في سبيل الله (تعالى)، حتى رغيف الخبز، ففي صحيح مسلم عن النبي (ﷺ) أنه قال: **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أفضلها الذي أنفقته على أهلك»**.

الخامسة والسبعون، إذا ذهبت إلى أخيك المسلم لمصلحة معينة كصلح بين اثنين متخاصمين ... فلا تبدأ في الموضوع إلا بعد أن تجعله يؤدي الصلاة، خصوصًا إذا كان من المواظبين على الصلاة، ولو كان الوقت ضيقًا، ويمكنك أن تسأله بهذه الكيفية: بأي سورة قرأ بكم الإمام اليوم في الصلاة؟

السادسة والسبعون، إذا كنت وسيطًا بين طرفين في أمر من أمور الخير كالصلح ... يمكنك أن تصلي ركعتين لله - صلاة الحاجة - تسأل الله (تعالى) فيهما التيسير والإخلاص وسرعة الإنجاز.

السابعة والسبعون، جاء في كتاب «الزهد» للإمام أحمد: قال سليمان بن داود لابنه (عليهما السلام): يا بني إن أحببت أن تغيظ عدوك فلا ترفع العصا عن ابنك، أي داوم على تأديبه - ولو بالعصا.

الثامنة والسبعون، لو جهزت المرأة قلبها لله (عز وجل) من صغرها بالتقوى وحفظ القرآن - خصوصًا سورة النور - والابتعاد عن الأغاني وعدم اختلاطها بالرجال وبقرارها في بيتها، وتوكلها على فاطرها بأنه هو النافع الباسط القابض، وبالدعاء في السجود بأن الله (تعالى) يرزقها بزوج صالح، يعفها، ويحفظ عليها دينها، وينفق عليها - لو جهزت بذلك قلبها لربها - لتزوجت بإذن الله (تعالى) قبل من تجهز لنفسها أثاث بيتها من صغرها: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]. يا مسكينة! توضئي واقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ... تململي بين يديه، وقولي: يا رب! إن الحلال يسير على من يسرته عليه فلا تردني.

التاسعة والسبعون، إذا رقيت إنسانًا بالفاتحة أو بغيرها فلا تنس أن تكون الرقية بالترتيل.

الثمانون، التزم بالترتيل في الصلاة السرية، فربُّ العلن هو رب السر.

الحادية والثمانون، قال رسول الله (ﷺ): **«أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بلغ ستين سنة»**. رواه البخاري. وفي الأثر: إن العبد إذا بلغ المشيب استحى الله منه فعليه أن يستحي هو من الله.

---

* (١) راجع هدي النبي (ﷺ) في الجماع في «زاد المعاد» جـ٤ ص٢٤٩.

الثانية والثمانون: عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «**إن الله (عز وجل) يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا**». رواه البخاري ومسلم والترمذي.

الثالثة والثمانون: عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**من غسل[1] واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة: صيامها وقيامها**». قال ابن كثير: هذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي.

الرابعة والثمانون: إذا استصعب عليك حمل شيء ما أو خفت مكروهًا، أو خفت فقرًا، فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله. عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مشيختنا أن أنه بلغهم أن أول ما خلق الله (عز وجل) - حين كان عرشه على الماء - حملة العرش، قالوا: ربنا لم خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي، فأعادوا عليه ذلك مرارًا، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فحملوه. رواه ابن أبي الدنيا. وروي أيضًا عن أسد بن وداعة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبدًا**».

الخامسة والثمانون: عن ابن عباس: إذا قلت: لا إله إلا الله فقل: الحمد لله؛ فإن الله (تعالى) يقول: ﴿**فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [غافر: ٦٥]. انتهى. وتمام الآية: ﴿**هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

السادسة والثمانون: قال الله (تعالى): ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا**﴾ [النساء: ٥].

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى): ينهى (سبحانه وتعالى) عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قيامًا، أي: تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها، ومن ها هنا يؤخذ (الحجر على السفهاء) وهم أقسام: فتارة يكون الحجر للصغر؛ فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه، وقال ابن عباس في قوله: ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم**﴾، قال: هم بنوك والنساء، وقال الضحاك: هم النساء والصبيان، وقال سعيد بن جبير: هم اليتامى، وقال مجاهد وعكرمة: هم النساء، وقال ابن أبي حاتم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن النساء سفهاء إلا التي أطاعت قيمها**». وقوله: ﴿**وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفًا**﴾، قال ابن عباس: لا تعمد إلى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة، فتعطيه امرأتك أو ابنتك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم. وقال ابن جرير عن أبي موسى قال: ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم؛ رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيهًا، وقد قال الله (تعالى): ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ**﴾، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه. وقال مجاهد: ﴿**وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا**﴾ يعني: في البر والصلة، وهذه الآية الكريمة تضمنت الإحسان إلى العائلة في الكساوي والأرزاق، بالكلام الطيب وتحسين الأخلاق[2]. انتهى.

تنبيه:

من إكرام الرجل لزوجته ألا يجعلها تذهب إلى السوق فإن شر الأماكن في الأرض الأسواق.

---

(١) غسل: جامع أهله.

* (٢) «مختصر تفسير ابن كثير» للصابوني جـ١ ص٣٥٧، ٣٥٨.

السابعة والثمانون: جاء في «تحفة الذاكرين» ما مختصره: قال رسول الله (ﷺ): «**إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو أن تعرض عليه شيئًا**». الحديث أخرجه الجماعة: البخاري ومسلم وأهل السنن الأربع. «**جنح الليل**» أي: طائفة منه وأراد به هنا الطائفة الأولى عند امتداد فحمة العشاء، «**فكفوا صبيانكم**» أي: امنعوهم من الخروج، «**فخلوهم**» : أي حلوهم عن ذلك الكف الذي كففتموهم، «**ولو أن تعرض عليه شيئًا**» يعني: أي شيء كان من عود أو غيره، فإن ذلك يكفي، وإن لم يستر جميع الإناء[1].

الثامنة والثمانون: جاء في «إغاثة اللهفان» ما مختصره: عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (ﷺ) مر بسعد وهو يتوضأ فقال: «**لا تسرف**»، فقال: يا رسول الله! أو في الماء إسراف؟ قال: «**نعم! وإن كنت على نهر جار**». رواه أحمد، وقال محمد بن عجلان: الفقه في دين الله إسباغ الوضوء وقلة إهراق الماء.

وقال الإمام أحمد: كان يقال: من قلة فقه الرجل ولعه بالماء. وفي جامع الترمذي من حديث أبي بن كعب: أن النبي (ﷺ) قال: «**إن للوضوء شيطانًا يقال له: الولهان فاتقوا وسواس الماء**»... وكما قال أبو حامد الغزالي وغيره: الوسوسة سببها إما جهل بالشرع، وإما خبل في العقل، وكلاهما من أعظم النقائص والعيوب[2]. انتهى.

التاسعة والثمانون: لا تسأل أخاك المسلم إذا لقيته: إلى أين تذهب؟ فربما لا يريد إعلامك بذلك. (ورد معنى ذلك في «مختصر منهاج القاصدين» وإنما من الممكن - والله أعلم - لو أن معك دابة أن تقول له: أنا طريقي في اتجاه كذا فإن أحببت أن تركب معي فافعل.

التسعون: إذا زرت عالمًا فلا تطل الزيارة عنده، فإن وقته للكتاب.

الحادية والتسعون: عن ابن عمر (رضي الله عنهما): أن رسول الله (ﷺ) لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة. متفق عليه.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. قال العلماء: الوشم: أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نياج فيزرق أثره أو يخضر، وفاعلته: الواشمة والتي يفعل بها: المستوشمة. وقال النووي (رحمه الله): الواصلة: التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر. والموصولة: التي يوصل شعرها، والمستوصلة: التي تسأل من يفعل ذلك لها. والمتفلجة: هي التي تبرد من أسنانها لتباعد بعضها من بعض قليلاً وتحسنها وهو الوشر. والنامصة: هي التي تأخذ من شعر حاجب غيرها وترفعه ليصير حسنًا. والمتنمصة: التي تأمر من يفعل بها ذلك.

الثانية والتسعون: قال الله (تعالى): ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وروي أن بعض الفقراء شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة، وأظهر شدة اغتمامه بذلك، فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: لا! قال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ قال: لا! قال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟ قال: لا! قال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف؟ قال: لا! قال: أما تستحي أن تشكو مولاك ولك عنده عروض بخمسين ألفًا؟

الثالثة والتسعون: جاء في الأثر: من أتلف شيئًا فعليه إصلاحه. فإن البعض قد يتحرج من ذلك ويقول: إنه لا يقبل العوض، وهذا خطأ، بل لو كسرت كوبًا، ولو بحسن نية فعليك ثمنه، إلا أن يعفو صاحب الكوب، وتظهر هذه المسائل في حوادث التصادم بالسيارات، فإنك قد تجد البعض يتحرج من أخذ حقه ظنًا منه - عن غير

---

* (١) «تحفة الذاكرين» للشوكاني ص٨٠.
* (٢) «إغاثة اللهفان» لابن القيم ص١٤٦ - ١٦٢.

علم - أن ما يسمونه بالعوض حرام.

الرابعة والتسعون: إذا بشرت بنعمة تسر، أو باندفاع نقمة، فاسجد شكرًا لله، ولو كنت على غير وضوء، أو في غير اتجاه القبلة، فعن أبي بكر أن النبي (ﷺ) كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به خر ساجدًا شكرًا لله (تعالى). رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه. وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

وهنا نكتة لطيفة: وهو أنه كلما سجدت شكرًا لله، ولو في الأمور التي قد تعد صغيرة عند البعض، كلما زادك الله رفعة وعطاء، وبالمناسبة! لا تمنعك هيبة الناس أن تسجد لله في الطريق، أو المركبة، أو عند أرباب المناصب، فلسجود الشكر، وسجود التلاوة أيضًا في هذه الأماكن لذة في القلب، لا تقل عن لذة السجود بين يدي الله (تعالى) في الليل، وللمرأة أيضًا أن تسجد شكرًا لله (تعالى) بعد كل عمل من أعمال بيتها كالطبخ.

الخامسة والتسعون: ابتعد عن لحوم العلماء، وخذ خير ما عندهم، واترك ما سوى ذلك وكما قال ابن عساكر: لحوم العلماء مسمومة. ومن أقواله أيضًا: من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب.

طلب من العلماء:

١- قراءة باب «تلبيس إبليس على العلماء» من كتاب «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.

٢- قراءة كتاب «مختصر منهاج القاصدين» بين الحين والحين، وتغذية خطبة الجمعة به.

٣- ختم القرآن مرتين على الأقل في الشهر، واعلم أن الله (تعالى) أودع قلبك كتابه لتذكره وتخشاه، لا لتهجره وتنساه، فالعلم هو الخشية.

٤- قراءة تفسير القرآن كل عام، خاصة قبل رمضان، على الأقل «تفسير الجلالين».

٥- كما قال ابن تيمية: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر، وضع نصب عينيك هذه الحكمة: «أكثروا الكلام عن الخير فينتشر، ولا تكثروا الكلام عن الشر فيندثر».

٦- كن في بيتك ومسجدك ومكان دعوتك كالنخلة، كما جاء في الحديث: «**يرمونها بالأحجار فترميهم بالثمار**».

٧- إذا ابتليت فاستتر، فإن الصغيرة في حقك كبيرة.

٨- لا تعرقل دعوتك إلى الله بالانتصار لنفسك، قال الله (تعالى): ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ قال موسى (عليه السلام): ﴿**قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾ فرد فرعون: ﴿**قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ**﴾ فرد موسى (عليه السلام): ﴿**قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ**﴾ فرد فرعون: ﴿**قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ فاستمر موسى (عليه السلام) في دعوته ﴿**قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ فقال فرعون: ﴿**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩].

اعلم أن الله (تعالى) لم يكرم الإنسان العالم فقط، بل كرم الكلب المعلم أيضًا، فكن أهلاً لثقة الله فيك، قال ابن القيم (رحمه الله) في فضل العلم والعلماء: إن الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها، وأباح صيد الكلب المعلم، وهذا أيضًا من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم، وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدل على شرف العلم وفضله. يقصد ابن القيم (رحمه الله): قوله (تعالى): ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [المائدة: ٤]، قال ابن كثير في تفسير: ﴿**وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ**﴾ الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم للصيد، وقال (رحمه الله) في تعريف الكلب المعلم: إذا أرسله استرسل، وإذا أشلاه استشلى، وإذا أخذ الصيد أمسكه على صاحبه حتى يجيء إليه ولا يمسكه لنفسه.

فائدة:

قال سفيان الثوري: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله (تعالى) ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

السادسة والتسعون: إن خفت ظالمًا فعليك بهذه الأدعية:

١- حسبنا الله ونعم الوكيل، قال الله (تعالى): ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

٢- حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا. أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «**وكيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ**» فكان ذلك ثقل على أصحاب رسول الله (ﷺ) فقال لهم: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**».

٣- قال رسول الله (ﷺ): «**من كان دعاؤه: اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة مات قبل أن يصيبه البلاء**». أخرجه ابن حبان وصححه، وأخرجه أحمد في «مسنده» والحاكم في «مستدركه»، وصححه الطبراني في «الكبير» واللفظ للطبراني.

٤- الاستغفار: وفي الحديث: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا**». ومن المعلوم أن سيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي ...**» ويجدر بك أن تصلي صلاة التوبة بين الحين والحين.

وقد جاء في تحفة الذاكرين في تفسير الهم والفرق بينه وبين الحزن ما يلي:

قيل: والفرق بين الهم والحزن: أن الهم إنما يكون لأمر متوقع وأن الحزن يكون من أمر قد وقع، وقيل: الحزن للماضي والهم للمستقبل، وقيل: الفرق بينهما بالشدة والضعف، فالهم أشد في النفس من الحزن لما يحصل فيها من الغم بسببه.

(جاء ذلك في تفسير الحديث رقم ١٧ من الأذكار).

٥- عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: إذا أتيت سلطانًا مهيبًا تخاف أن يسطو عليك فقل: **الله أكبر الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعًا، الله أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك للسماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس، اللهم كن لي جارًا من شرهم، جل ثناؤك، وعز جارك، ولا إله غيرك، ثلاث مرات: اللهم إنا نعوذ بك أن يفرط علينا أحد منهم أو أن يطغى.** أخرجه الطبراني في «الكبير» وابن أبي شيبة في «مصنفه»، وقال الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: والحاصل أن الحديث موقوف على ابن عباس.

٦- تقدم الحديث الذي ذكرناه في الأذكار في سنن أبي داود والنسائي عن أبي موسى أن النبي (ﷺ) كان إذا خاف ظالمًا قال: «**اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم**».

٧- اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله! علمني شيئًا أسأله الله، قال: «**سل الله العافية**». فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت: يا رسول الله! علمني شيئًا أسأله الله. قال: «**يا عباس! يا عم رسول الله! سل الله العافية في الدنيا والآخرة**». رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي». وفي «مستدرك الحاكم» عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) قال: «**ما سئل الله (عز وجل) شيئًا أحب إليه من أن يسأل العافية**»[1].

---

(١) يمكنك أن تدعو بالدعاء الوارد في أذكار الصباح والمساء: «**اللهم إني أسألك العافية ...**» أي الحديث رقم٧.

٨ـ اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك. أخرجه الترمذي والحاكم في «المستدرك». قال الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: وقد ذكر له الترمذي قصة وفيها: أن الله (عز وجل) قال للنبي (ﷺ): «**سل يا محمد، قال: قلت: اللهم إني أسألك ...**». الحديث إلخ ... وبعد هذه الكلمات قال رسول الله (ﷺ): «**إنها كلمة حق فادرسوها ثم تعلموها**». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٩ـ كثرة ذكر الله (تعالى)؛ لأن الله (تعالى) يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: ٤٥].

فائدة:

بعد أن علمت هذه الأدعية، أستحب لنفسي ولك - والله أعلم - أن تصلي ركعتين لله (تعالى) (صلاة الحاجة) ثم تدعو بتلك الأدعية السابقة، ومطبقًا عليها آداب الدعاء - خاصة الدعاء باسم الله الأعظم - وكلما ألححت على الله (تعالى) بالدعاء بأن تجعلها من أورادك اليومية كان ذلك خيرًا، فإن الله (تعالى) يحب الملحين في الدعاء. والدعاء إذا كان أقوى من البلاء فإنه يرده - كما تقدم في باب الدعاء.

السابعة والتسعون: روي أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن الله (تعالى) إذا استودع شيئًا حفظه**». وقيل - والله أعلم: إنه قول للقمان الحكيم. وعلى ذلك إذا تركت دابتك فقل: اللهم إني أستودعك إياها، وقس على ذلك باقي أمورك بأن تستودع الله أولادك، وبيتك، ومالك، ونفسك، حتى قلمك.

الثامنة والتسعون: إياك وسيف الحياء، كأن تأكل من البضاعة قبل وزنها، وحتى إذا أذن لك البائع فغالبًا يكون ذلك بسيف الحياء.

التاسعة والتسعون: يقول علي (رضي الله عنه): «لا يَرْجُوَنَّ عبد إلا ربَّهُ» فلا تقل لفلان: أرجوك، ولكن قل له: أرجو الله أن تفعل لي كذا.

المائة: قال ابن القيم (رحمه الله): علامة سعادة العبد: إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. من كتاب «الوابل الصيب».

الحادية بعد المائة: وجبات البدن: الإفطار، والغداء، والعشاء. ووجبات القلب: صلاة التوبة، وصلاة الاستخارة، وصلاة الحاجة. فداوم على صلاة التوبة، و«**استخر ربك حتى في شسع نعلك**»[1]. وإذا استطعت أن تداوم على صلاة الحاجة كمداومتك على كلمة يا رب! فافعل، وإن تعسر عليك أمر ودعوت الله (تعالى) وأحسست بعدم الإجابة فصل صلاة التوبة، ثم ارجع إلى صلاة الحاجة كرة أخرى؛ لأن الله (تعالى) يقول: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

الثانية بعد المائة: اهتم بتربية أولادك ودينهم خمس اهتمامك ببطونهم.

الثالثة بعد المائة: بعض الناس يتخذ من يوم مولده عيدًا، ويسميه عيد الميلاد. إن الاحتفال بمولد النبي (ﷺ) بدعة، فما بالك بغيره (ﷺ)؟! ... ليس في الإسلام أعياد سوى عيد الفطر وعيد الأضحى، ولكن لك أن تفعل في اليوم السابع من الميلاد ما يسمى بالنسيكة - أي: العقيقة - لقوله (ﷺ): «**كل غلام مرهون بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى ويحلق رأسه**». رواه أبو داود والنسائي وصححه غير واحد.

الرابعة بعد المائة: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رجلاً قال للنبي (ﷺ): أوصني، قال: «**لا تغضب**». فردد مرارًا، قال: «**لا تغضب**». رواه البخاري.

الخامسة بعد المائة: جاء في «صحيح مسلم» «باب النهي عن الشرب قائمًا»: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال:

---

* (١) كما جاء في الحديث. وقد تقدم.

قال رسول الله (ﷺ): «**لا يشربن أحد منكم قائمًا فمن نسي فليستقئ**». وجاء فيه أيضًا «باب الرخصة في الشرب قائمًا من زمزم»: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: سقيت رسول الله (ﷺ) من زمزم فشرب قائمًا واستسقى وهو عند البيت، وإليك فقه هذين الحديثين:

بوب الإمام النووي في كتاب «رياض الصالحين» قائلاً: «باب جواز الشرب قائمًا وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب جالسًا» وجاء في «زاد المعاد» لابن القيم (رحمه الله): وكان أكثر شربه ـ أي: النبي (ﷺ) ـ قاعدًا، بل زجر عن الشرب قائمًا، وشرب مرة قائمًا. فقيل: هذا نسخ لنهيه. وقيل: بل فعله لبيان جواز الأمرين، والذي يظهر فيه ـ والله أعلم ـ أنها واقعة عين شرب فيها قائمًا، وسياق القصة يدل عليه، فإنه أتى زمزم وهم يسقون منها، فأخذ الدلو وشرب قائمًا، والصحيح في هذه المسألة: النهي عن الشرب قائمًا، وجوازه لعذر يمنع من الشرب قاعدًا، وبهذا تجمع أحاديث الباب ـ والله أعلم. انتهى من «زاد المعاد»[1]. وجاء فيه أيضًا عن أبي قتادة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) نهى أن يتنفس في الإناء[2].

وجاء فيه أيضًا عن أنس (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (ﷺ) يتنفس في الشراب ثلاثًا ويقول: «**إنه أروى وأبرأ وأمرأ**». قال أنس: فأنا أتنفس في الشراب ثلاثًا، انتهى. ومعنى هدي النبي (ﷺ) في ذلك أنه كان يبعد الإناء عن فيه أثناء الشرب مرتين ويضعه في الثالثة.

السادسة بعد المائة: قال رسول الله (ﷺ): «**لا آكل متكئًا**». رواه البخاري. قال النووي في رياض الصالحين: قال الخطابي: المتكئ هنا هو: الجالس معتمدًا على وطاء تحته، قال: وأراد أنه لا يعتمد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام، بل يقعد مستوفزًا لا مستوطنًا ويأكل ببلغة[3]. هذا كلام الخطابي. وأشار غيره إلى أن المتكئ هو المائل على جنبه ـ والله أعلم ـ انتهى كلام النووي (رحمه الله). وجاء في «زاد المعاد» لابن القيم (رحمه الله): والاتكاء على ثلاثة أنواع: أحدها: الاتكاء على الجنب، والثاني: التربيع، والثالث: الاتكاء على إحدى يديه والأكل بالأخرى، والثلاثة مذمومة. انتهى.

السابعة بعد المائة: أنقل إليك هنا بعض المنهيات الواردة في «صحيح الجامع للألباني»[4]، وقد راعيت ـ بعون الله (تعالى) ـ أن تكون هذه المنهيات بقدر الاستطاعة من التي لا تثير خلافًا بين العلماء:

١، ٢ـ قال رسول الله (ﷺ): «**لا أمس يد النساء**». طس، عن قيلة بنت عبيد. صحيح وجاء فيه أيضًا: قال رسول الله (ﷺ): «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**». الطبراني عن معقل بن يسار. صحيح.

٣ـ قال رسول الله (ﷺ): «**لا يبيتن رجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم**». م، عن جابر. صحيح.

٤ـ قال رسول الله (ﷺ): «**لا تسأل الناس شيئًا ولا سوطك وإن سقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه**». حم عن أبي ذر. صحيح.

٥ـ «... **لا تقبل صلاة حائض إلا بخمار**». حم، ت، عن عائشة. صحيح. (الحائض هنا أي: التي بلغت سن المحيض).

٦ـ «**لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه لاعبًا ولا جادًا، وإن أخذ عصا صاحبه فليردها إليه**» م، عن أبي

---

* (١) «زاد المعاد» جـ١ ص١٤٩، ١٥٠.
* (٢) وفي «صحيح الجامع»: نهى رسول الله (ﷺ) أن يتنفس في الإناء، أو ينفخ فيه، حم، د، ت، عن ابن عباس. صحيح.

(٣) ويأكل ببلغة أي: يكتفي ويجتزئ به.

(٤) صحيح الجامع للألباني جـ٦ ص٤٠ باب المناهي، ص١١٩ باب اللام ألف.

هريرة. صحيح.

٧ـ «**لا عقر**[1] **في الإسلام**». هـ ـ عن أنس. صحيح.

٨ـ ـ«**لا يتكلفن أحدكم لضيفه ما لا يقدر عليه**». هب عن سليمان . صحيح.

٩ـ «**لا يحل لمسلم أن يروِّع أخاه**» حم، هـ جـ د، عن رجال. صحيح.

١٠ـ «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله، فمن خَلَقَ الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله ورسوله**»م، هـ عن أبي هريرة. صحيح.

١١ـ «**لا يُشِر أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**» حم، ت، عن أبي هريرة. صحيح. (وفي معنى ذلك: السكين). انتهى.

تنبيه:

هذه المنهيات تزيد عن المائتين بكثير، ولكني اكتفيت بهذا العدد حتى ألفت نظرك إلى قراءتها.

الثامنة بعد المائة: حكم رواية الحديث الضعيف وحكم العمل به:

جاء في كتاب «تيسير مصطلح الحديث» للشيخ الطحان[2] (أثابه الله تعالى) ما يلي:

١ـ متى يروى الحديث الضعيف؟

يجوز عند أهل الحديث وغيرهم رواية الأحاديث الضعيفة، والتسهيل في أسانيدها من غير بيان ضعفها ـ بخلاف الأحاديث الموضوعة فإنه لا يجوز روايتها إلا مع بيان ضعفها ـ بشرطين:

الأول: ألا تتعلق بالعقائد، كصفات الله (تعالى).

الآخر: ألا تكون في الأحكام الشرعية مما يتعلق بالحلال والحرام.

يعني يجوز روايتها في مثل المواعظ والترغيب والترهيب والقصص وما أشبه ذلك. وممن روي عنه التساهل في روايتها، سفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل، وينبغي التنبيه إلى أنك إذا رويتها من غير إسناد فلا تقل فيها: قال رسول الله (ﷺ)، وإنما تقول: روي عن رسول الله (ﷺ) كذا وأبلغنا عنه كذا، وما أشبه ذلك لئلا تجزم بنسبة ذلك الحديث للرسول وأنت تعرف ضعفه.

٢ـ متى يعمل بالحديث الضعيف؟

اختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف، والذي عليه جمهور العلماء على أنه يستحب العمل به في فضائل الأعمال، بشروط ثلاثة أوضحها الحافظ ابن حجر وهي:

أ ـ أن يكون الضعف غير شديد.

ب ـ أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

جـ ـ ألا يعتقد عند العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط.

التاسعة بعد المائة: مختصر أسباب شرح الصدر، وحصولها على الكمال له (ﷺ) كما ذكرها ابن القيم (رحمه الله).

١ـ التوحيد: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

٢ـ النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان.

---

(١) لا عقر: أي لا ذبح عند القبر، وفي معناه التصدق عنده بخبز أو نحوه. كذا في «فيض القدير».

(٢) تيسير مصطلح الحديث للطحان ص٦٢.

٣ـ العلم: وليس هذا لكل علم بل العلم الموروث عن رسول الله (ﷺ) وهو العلم النافع.

٤ـ الإنابة إلى الله (تعالى) ومحبته بكل القلب والإقبال عليه والتنعُّم بعبادته.

٥ـ دوام ذكر الله (تعالى) على كل حال وفي كل موطن.

٦ـ الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه، والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان.

٧ـ إخراج ما دخل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه وعذابه، وتحول بينه وبين حصول البرء.

٨ـ ترك فضول النظر، والكلام، والاستماع، والمخالطة، والأكل، والنوم. ومن أقواله (رحمه الله): حال العبد في القبر كحال القلب في الصدر[1].

العاشرة بعد المائة: قال (تعالى): ﴿**أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت: ٤٠].

❑ ● ❑

(١) راجع شرح هذه النقاط في «زاد المعاد» جـ٢ ص٢٣ـ ٢٨.

مواضيع كان ينبغي إدراجها ضمن هذا الكتاب

أولاً: الصلاة

١ - مقدار صلاة رسول الله (ﷺ).

جاء في كتاب «الصلاة» لابن القيم (رحمه الله) تحت عنوان «المسألة العاشرة» ما مختصره: «وأما المسألة العاشرة، وهي مقدار صلاة رسول الله (ﷺ) فهي من أجل المسائل وأهمها، وحاجة الناس إلى معرفتها أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وقد ضيعها الناس من عهد أنس بن مالك (رضي الله عنه)، ففي صحيح البخاري من حديث الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت...». فإذا أردت معرفة مقدار صلاته (ﷺ) فارجع إلى الكتاب السالف ذكره «كتاب الصلاة» من ص٨١ ـ ١١١. ولقد قام ابن القيم الصلاة (رحمه الله) في هذه الصفحات بالكلام عن مقدار صلاته (ﷺ)، وتعرض (رحمه الله) لحجج المخففين للصلاة والرد عليها من جانب المقيمين للصلاة.

ومما قاله (رحمه الله) في تعليقه: «وفي الصحيحين عنه ـ أي: أنس (رضي الله عنه)-: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم صلاة من صلاة رسول الله (ﷺ)» زاد البخاري: «وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه، فوصف صلاته (ﷺ) بالإيجاز والإتمام، والإيجاز هو الذي كان يفعله، لا الإيجاز الذي كان يظنه من لم يقف على مقدار صلاته (ﷺ)، فإن الإيجاز أمر نسبي إضافي راجع إلى السنة لا إلى شهوة الإمام ومن خلفه، فلما كان يقرأ في الفجر بالستين إلى المائة ـ في الركعتين أو إحداهما كما في البخاري ـ كان هذا الإيجاز بالنسبة إلى ستمائة إلى ألف، ولما قرأ في المغرب بالأعراف، كان هذا الإيجاز بالنسبة إلى البقرة.

وفي سنن أبي داود ـ عن أنس أيضًا: وكان رسول الله (ﷺ) إذا قال: «سمع الله لمن حمده» قام حتى نقول: «قد أوهم ـ أي: نسي ـ ثم يكبر ويسجد، وكان يقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم، وقال (رحمه الله) عن سنة رسول الله (ﷺ): ولا نأخذ منها ما سهل علينا، ونترك منها ما شق علينا لكسل، وضعف عزيمة، واشتغال بدنيا قد ملأت القلوب وملكت الجوارح وقرت بها العيون بدل قرتها بالصلاة، فقامت على خدمة المخلوقين كأنها على الفرش الوثيرة والمراكب الهنية، وقامت في حق خدمة ربها وفاطرها كأنها على الجمر المحرق، تعطيه الفضل من قواها وزمانها، وتستوفي لأنفسها كمال الحظ، ولم تحفظ من السنة إلا: «**أفتان أنت يا معاذ؟**» و«**يا أيها الناس إن منكم منفرين**» ووضع الحديث على غير موضعه وقد قال (رحمه الله)[1] في «زاد المعاد»: وأما العشاء الآخرة فقرأ فيها بـ«التين والزيتون» ووقعت لمعاذ فيها بـ«والشمس وضحاها» و«سبح اسم ربك الأعلى» و«الليل إذا يغشى» ونحوها، وأنكر عليه قراءته بـ«البقرة» بعدما صلى معه، ثم ذهب إلى بني عمرو بن عوف، فأعادها لهم ـ أي: العشاء ـ بعدما مضى من الليل ما شاء، وقرأ بهم بـ«البقرة» ولهذا قال له: «**أفتان أنت يا معاذ؟**»، فتعلق النقارون بهذه الكلمة ولم يلتفتوا إلى ما قبلها ولا إلى ما بعدها.

وعاد (رحمه الله) مرة أخرى إلى التخفيف والتطويل فقال: بل المرجع في ذلك والتحاكم إلى ما كان يفعله من شرع الصلاة للأمة وجاءهم بها من عند الله، وعلمهم حقوقها وحدودها وهيئاتها وأركانها، وكان يصلي وراءه الضعيف والصغير والكبير وذو الحاجة، ولم يكن بالمدينة إمام غيره (صلوات الله وسلامه عليه)، فالذي كان يفعله (صلوات الله وسلامه عليه)، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] وقد سئل بعض أصحاب رسول الله (ﷺ) فقال: ما لك في ذلك من خير، فأعادها عليه، فقال: كانت صلاة الظهر تقام، فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضي حاجته، ثم يأتي أهله فيتوضأ ثم يرجع إلى المسجد، ورسول الله (ﷺ) في الركعة الأولى مما

(١) «زاد المعاد» ج ١ ص ٢١١ـ ٢١٣ ومن المعلوم أن هديه (ﷺ) في العشاء التخفيف.

يطولها. رواه مسلم في الصحيح.

وقال عبد الله بن عمر: إن كان رسول الله (ﷺ) ليأمرنا بالتخفيف، وإن كان ليؤمنا بـ«الصافات» رواه الإمام أحمد والنسائي. (ومن المعلوم أن سورة الصافات ١٨٢ آية).

وقال (رحمه الله): وأما قراءته (ﷺ) في الفجر بالمعوذتين، فهذا إنما كان في السفر كما هو مصرح به في الحديث، والمسافر قد أبيح له أو أوجب عليه قصر الصلاة لمشقة السفر، فأبيح له تخفيف أركانها، فهلا علمتم بقراءته في الحضر بمائة آية في الفجر؟ وأما قراءته (ﷺ) بسورة التكوير في الفجر، فإنه كان في السفر.

وأما حديث تسبيحه في الركوع والسجود ثلاثًا فلا يثبت، والأحاديث الصحيحة بخلافه، وقد قال أنس: إن عمر بن عبد العزيز كان أشبه الناس صلاة برسول الله (ﷺ)، وكان مقدار ركوعه وسجوده عشر تسبيحات.
وقال (رحمه الله): فإن جاءهم حديث صحيح خالف ما ألفوه واعتادوه قالوا: هذا منسوخ أو خلاف الإجماع، ولو كانت أحاديث التطويل منسوخة، لكان أصحاب رسول الله (ﷺ) أعلم بذلك، ولما احتجوا بها على من لم يعمل بها، ولا عمل بها أعلم الأمة بها وهم الخلفاء الراشدون. فهذا صديق الأمة وشيخ الإسلام صلى الصبح فقرأ بـ«البقرة» من أولها إلى آخرها، وخلفه الكبير والصغير وذو الحاجة، فقالوا: يا خليفة رسول الله! كادت الشمس تطلع علينا، قال: لو طلعت الشمس لم تجدنا غافلين، ومضى على منهاجه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وكان يقرأ في الفجر بـ«النحل ويوسف وهود وبني إسرائيل ونحوها من السور». انتهى.

٢. ما هي الصلاة؟:

كل ما تقدم كان مقدمة لما أقوله الآن: فقد بحث ابن القيم (رحمه الله) هذه النقطة من ص٩٤ إلى ص١٠٦ من كتابه السالف ذكره «الصلاة» بحثًا قيمًا يفوق الوصف ويمكنني أن أقول بفضل الله (تعالى): لو لم يؤلف ابن القيم (رحمه الله) سوى هذا الجزء فقط لكفاه.

٣. سياق صلاته (ﷺ):

أما إذا أردت معرفة سياق صلاته (ﷺ) من حين استقباله القبلة وقوله الله أكبر، إلى حين سلامه كأنك تشاهده عيانًا فعليك بقراءة كتاب «زاد المعاد» لابن القيم (رحمه الله) بتحقيق الأرناؤوط (أثابه الله).

تنبيه:

قد تقدمت الإشارة إلى أهمية قراءة مسألة الجماعة للصلاة من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٢٣ ص٢٣٩ـ٢٤٣ فلا بد من قراءتها، وأيضًا لا بد من قراءة أعذار التخلف عن صلاة الجماعة من «فقه السنة».

ثانيًا: الحلال والحرام

١ـ قوله (ﷺ): «**إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**».
«جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي من ص٥٨ ـ ٦٦.

٢ـ آداب الكسب والمعاش وفضله وصحة المعاملة وما يتعلق بذلك، خصوصًا «بيان الحلال والحرام» من ص٨٢ ـ ٩٦.

٣ـ قوله (ﷺ): «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين** فقال (تعالى): ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾ [المؤمنون: ٥١]. «جامع العلوم والحكم» من ص٨٥ ـ ٩٣.

ثالثًا: الربا

١ـ قوله (تعالى): ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ..**﴾ [البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٨١]. «مختصر تفسير ابن كثير» للصابوني جـ١ من ص٢٤٥ ـ ٢٥٢.

٢ـ «منهاج المسلم» للشيخ الجليل أبي بكر الجزائري ص٣٧٠ ـ ٣٧٧.

رابعًا: آفات اللسان

«مختصر منهاج القاصدين» ص ١٦٥ ـ ١٧٨.

خامسًا: حد العورة بالنسبة للرجل والمرأة:

١ـ عورة الرجل مع الرجل.

٢ـ عورة المرأة مع المرأة.

٣ـ عورة الرجل مع المرأة وبالعكس.

«روائع البيان» للصابوني جـ٢ ص١٥٢ ـ ١٥٨.

سادسًا: المحرمات من النساء

١ـ المحرمات تحريمًا مؤبدًا.

٢ـ المحرمات تحريمًا مؤقتًا.

سابعًا: في تكملة الكلام عن التوبة

«منهاج المسلم» ص٤٤٤ ـ ٤٤٧.

١ـ قوله (تعالى) في سورة النساء: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ...﴾ الآية [١٧، ١٨] مختصر تفسير ابن كثير للصابوني جـ١ ص٣٦٧ وتفسير ابن كثير «الأصل» جـ١ ص٢٦٤ لعدم كفاية المختصر في تفسير الآية [١٨].

٢ـ قوله (تعالى) في سورة الفرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾ الآية [٧٠، ٧١] «مختصر تفسير ابن كثير» للصابوني جـ٢ ص٦٤٠، ٦٤١ ويا حبذا قراءة وصف عباد الرحمن من تفسير السورة «مختصر تفسير ابن كثير للصابوني جـ٢ ص٦٣٨ ـ ٦٤٢.

ثامنًا: سور وآيات

١ـ تفسير سورة الفاتحة. «مختصر تفسير ابن كثير» جـ١ ص١٥ ـ ٢٥.

٢ـ تفسير آية الكرسي. «مختصر تفسير ابن كثير» جـ١ ص٢٢٧ ـ ٢٣١ سورة البقرة ٢٢٥.

٣ـ خواتيم سورة البقرة. «مختصر تفسير ابن كثير» جـ١ ص٢٥٦ ـ ٢٦١.

٤ـ تفسير سورة النور. «مختصر تفسير ابن كثير» جـ٢ ص٥٨٠ ـ ٦٢٢.

٥ـ تفسير قل هو الله أحد والمعوذتين. «مختصر تفسير ابن كثير» جـ٣ ص٦٩١ ـ ٦٩٧.

تاسعًا: النية والإخلاص والصدق

١ـ قوله (تعالى): ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. «مختصر تفسير ابن كثير» جـ٢ ص٤٤٠، ٤٤١.

٢ـ «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي. في شرح حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ٥ ـ ١٩.

٣ـ «مختصر منهاج القاصدين» ص٣٥٩ ـ ٣٦٩ ومعه باب الرياء ـ أعاذنا الله منه ـ ص٢١٤ ـ ٢١٦ من نفس الكتاب.

عاشرًا: هدي النبي (ﷺ) في الجمعة وذكر خصائص يومها

«زاد المعاد» لابن القيم جـ١ ص٣٦٤ ـ ٤٤٠.

حادي عشر: القرآن

هدي النبي (ﷺ) في قراءة القرآن واستماعه ... آداب التلاوة:

١ـ «زاد المعاد» لابن القيم جـ١ ص٤٨٢ ـ ٤٩٣ وأيضًا من نفس الكتاب ص٣٣٧ ـ ٣٤٠.

٢ـ «مختصر منهاج القاصدين» ص٥٠ ـ ٥٤.

٣ـ «الأذكار النووية» ص٥ ـ ٩٤.

ثاني عشر: الزواج وأحكامه

«فقه السنة» للشيخ الجليل سيد سابق كل من الجزء السادس والسابع «حجم صغير» أو المجلد الثاني «حجم كبير».

ثالث عشر: ألفاظ كان النبي (ﷺ) يكره أن تقال

«زاد المعاد» لابن القيم: فصل في هديه (ﷺ) في حفظ المنطق واختياره الألفاظ جـ٢ ص٣٥٢ ـ ٣٦٤، فصل آخر في ألفاظ كان يكره النبي (ﷺ) أن تقال جـ٢ ص٤٦٨ ـ ٤٧٥.

رابع عشر: العلم وفضله وما يتعلق به

١ـ «مختصر منهاج القاصدين» ص١٣ ـ ٢٦.

٢ـ كتيب ابن رجب الحنبلي عن العلم.

٣ـ كتاب «العلم» «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني جـ١ ص١٤٠ ـ ٢٣٢.

خامس عشر: التوكل

١ـ «مختصر منهاج القاصدين» ص٣٣٠ ـ ٣٣٧.

٢ـ «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي: الحديث التاسع عشر ص١٦٠ ـ ١٧٤، الحديث التاسع والأربعون ص٣٧٩ ـ ٣٨٥.

«مختصر ابن كثير» جـ٣ ص٥١٤، ٥١٥.

ما تزول به عقوبة الذنوب

جاء في كتاب «الإيمان الأوسط» لابن تيمية (رحمه الله) ما مختصره: أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أشياء:

١ـ التوبة: وهذا متفق عليه بين المسلمين، قال (تعالى): ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

٢ـ الاستغفار: في «صحيح مسلم» عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم**».

٣ـ الحسنات الماحية: كما قال (تعالى): ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤].

٤ـ دعاء المؤمنين للمؤمن: مثل صلاتهم على جنازته، فعن عائشة (رضي الله عنها) وأنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**». رواه مسلم.

٥ـ ما يُعمل للميت من أعمال البر: كالصدقة ونحوها.

٦ـ شفاعة النبي (ﷺ) وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة: كما تواترت عنه أحاديث الشفاعة، مثل قوله (ﷺ) في الصحيح: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». وكما روي عنه (ﷺ): «**خيِّرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكثر، أترونها للمتقين؟! لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين**».

٧ـ المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا: كما في الصحيحين عنه (ﷺ) أنه قال: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله بها من خطاياه**».

٨ ـ ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة: فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

٩ـ أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

١٠ـ رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد. انتهى[١].

---

(١) راجع شرح هذه النقاط في الكتاب السالف ذكره لابن تيمية ص٢٩ ـ ٤٣.

خاتمة

أستغفر الله من هذا الكتاب: إن الاستغفار بعد الطاعة لا يقل عن الاستغفار بعد المعصية، قال ابن القيم (رحمه الله) فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماقاتها، وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارًا عقيب الطاعات؛ لشهودهم تقصيرهم فيها وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده.

وقد أمر الله (تعالى) وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات، وهو أجلّ المواقف وأفضلها. فقال: ﴿**فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩]. وقال الله (سبحانه وتعالى): ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾ [آل عمران: ١٧]، قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون الله (عز وجل). وفي الصحيح أن النبي (ﷺ) كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثًا ثم قال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**». وأمره الله (تعالى) بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها وقضاء فرض الحج واقتراب أجله، فقال في آخر سورة أنزلت عليه: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر: ١ - ٣]، ومن ها هنا فهم عمر وابن عباس (رضي الله عنهم) أن هذا أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه به فأمره أن يستغفره عقب أداء ما كان عليه، فكأنه إعلام بأنك قد أديت ما عليك، ولم يبق عليك بشيء فاجعل خاتمته الاستغفار كما كان خاتمة الصلاة والحج وقيام الليل وخاتمة الوضوء أيضًا أن يقول بعد فراغه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين. انتهى.

يا رب! «تم نورك فهديت، فلك الحمد، عظم حلمك فغفرت فلك الحمد، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه وجاهك أعظم الجاه وعطيتك أفضل العطية وأهنأها، تطاع ربنا فتشكر وتُعصى فتغفر، وتجيب المضطر وتكشف الضر وتشفي السقيم وتغفر الذنب وتقبل التوبة ولا تجزي بآلائك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل».

«يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، ويعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطرات الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماءً ولا أرض أرضًا ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره اجعل خير أعمارنا آخرها وخير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك».

«يا رب! لو سئلت ما هو الذ شيء عندي في هذه الدنيا لقلت: يا مولاي! لذة السجود بين يديك بعد طول القيام لك: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ [إبراهيم: ٤١]. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم.

أبو ذر القلموني

عبد المنعم بن حسين بن حنفي بن حسن بن الشاهد. مصر - الواحات الداخلة - القلمون.

تم - بعون الله (تعالى) وفضله - الانتهاء من كتابة هذا الكتاب في يوم الإثنين السابع عشر من شعبان ١٤٠٤ هـ. بمصر - الجيزة - ميت عقبة.

استدراك:

جدول محاسبة النفس

من المهلكات	من المنجيات	من الذنوب الخفية
١ـ البخل.	الندم على الذنوب.	المعاصي الظاهرة كأكل الشبهات.
٢ـ الكبر.	الصبر على البلاء.	إطلاق اللسان بالغيبة والنميمة.
٣ـ العجب.	الرضا بالقضاء.	المراء.
٤ـ الرياء.	الشكر على النعماء.	الإفراط في موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء.
٥ـ الحسد.	اعتدال الخوف والرجاء.	المداهنة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٦ـ شدة الغضب.	الزهد في الدنيا.	
٧ـ شره الطعام.	الإخلاص في الأعمال.	
٨ـ شره الوقاع.	حسن الخلق مع الخلق.	
٩ـ حب المال.	حب الله تعالى.	
١٠ـ حب الجاه.	الخشوع.	

الفهرس